دراسات فى

تاريخ مصر البيزنطية

دكتور
ابراهيم خميس ابراهيم
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

١٩٩٦

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير ـ الأزاريطة ـ ت ٤٨٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس ـ الشاطبي ت ٥٩٧٣١٤٦

أحوال برقة وطرابلس في اوائل العصور الوسطي
(٢٨٤ - ٤٥٥ م)

قبل أن نشرع فى الحديث عن احوال كل من برقة وطرابلس منذ أواخر القرن الثالث حتي منتصف القرن الخامس الميلادى ، يجب التنويه إلى ما ذكرته المصادر عنهما خلال هذه الفترة وإلى ما اشار إليه المؤرخون عن هذه المنطقة. إذ تشير المصادر إلى أن المنطقة الشمالية من القارة الافريقية الممتدة من غربى مصر حتي ساحل المحيط الاطلنطى كانت تعرف باسم ليبيا[١] أو افريقيه الشمالية[٢] ، وتذكر بعض المصادر أن ليبيا كانت تنقسم إلي منطقتين هما : ليبيا الشرقية وتضم منطقة برقة، وليبيا الغربية وتمتد من طرابلس حتى ساحل المحيط[٣].

---

(١) Theophanes, Chronographia, cf. P.G.M.
Tom. CV111, Paris, 1863, P.30 b;
Cantacuzenus, Chronicom, cf. C.SH.B., Bonn,
1882, P.18;
Excerpta Edixippo, Historiorum Reliquiae, cf.
C.S.H.B., Bonn, 829, p.15

(٢) Procopius of Caesarea, The Anecdota or
Secrst History, Tr. H.B.Deving, London, 1969, P.11;
Zosimus, Commentarus Historicus cf.C.H.S.B,
Bonn 1837, P.17.
Merobaudes et Corippus, Panegurici Reliquiae, cf C..S.H.B.,
Bonn, 1845, P.8;
Michael Clycos, Annalium, cf.C.S.H.B, Bonn, 1836, P.126;
Georgius Cederenus, Historiarum Compendium, cf.P.G.H.
Tomcxx1,Paris, 1864, P.66

(٣) Theophanes, op.cit, P.430;
Excerpta Edixippo, Ibid;
Georgius Monchus Hamartolus, Chroicon, cf.p.G.M.
Tom. CX,Paris, 1863, P.803.

ولا نجد تفسيرا لهذا التقسيم سوي انة تقسيماً ادارياً فحسب لم يجر الا في منتصف القرن الخامس الميلادي تقريبا . إذ ظلت كل من برقة وطرابلس مرتبطان ادارياً منذ عام ٢٨٤ م حتي عام ٤٤٢ [١].

ولم تكن النظم الادارية وحدها هى التى تربط كل من برقة وطرابلس، وانما جمعتهما وحدة الطبيعة[٢]، ووحدة العادات والتقاليد للعنصر البشري الذى عاش فيهما[٣]. إذ كانت القبائل المورية تقطن المنطقة الصحراوية الشاسعة التى تقع بهما كل من برقة وطرابلس[٤]، هذا بالاضافة إلي أن الأحوال الدينية والاقتصادية والعسكرية في كل منهما تكاد تكون متشابهه[٥]. لكل هذه الأسباب رأينا دراسة أحوال كل من برقة وطرابلس منذ أواخر القرن الثالث حتي منتصف القرن الخامس الميلادى. على اساس أنهما يمثلان وحدة واحده لم تكن بينها أية حواجز، وأنهما يعتبران امتداداً طبيعياً لحدود مصر من جهة الغرب[٦].

---

(١) انظر ما يلي عن النظام الادارى في كل من برقة وطرابلس.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الاسكندرية (د.ت)، ص ١٤-١٨.

(٣) شارل اندرى جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب محمد مزلى ، & البشير بن سلامة، تونس ١٩٦٩م، ص ١٢.

(٤) Zosimos, Op.cit., P. 66.

(٥) انظرم يلى عن هذه النظم فى كل من برقة وطرابلس.

(٦) حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ البيزنطية، القاهرة ١٩٨٣م، ص ٧٨.

وعند الاشارة إلى النظام الاداري في برقة وطرابلس في عهد الإمبراطور دقلديانوس Diocletian (٢٨٤ - ٣٠٥م) نجد أنهما كانتا يشكلان معا مقاطعة واحدة من ثماني مقاطعات[١] تتكون منهم ولاية افريقيا[٢] ، وكانت تعرف باسم مقاطعة طرابلس ، وتضم عدة مناطق Tractus هي لوبيه، ومراقيه ، واويا، ولبده، وصبره، كما انقسمت هذه المناطق بدورها إلى عدة وحدات Regiones هي سرت، والبطنان، والجبل الأخضر، وبرقة الحمراء. وكانت كل حدة تنقسم إلى عدد من القري[٣].

وكان على رأس هذه المقاطعة موظف اداري يعرف باسم رئيس الابروشية[٤] وله نائب وديوان للادارات المختلفة[٥] المالية والقضائية والمحفوظات والإنشاء.

---

(١) Theophanes, Op. cit., P. 306.

(٢) المقاطعات هى تريبوليتانا Tripolitana (طرابلس) ، وموريتانياستيفنسيس Mouretania. Sitifinsis. وموريتانيا سيزار نسيس Mouretania Caesariensis ، ونوميديا Numidia ، وموريتانيا تنجيتانا Mouretania Tingitana ، وبيزا سنا Byzacena ، وزيوجيتانا Zeugitatna . (زعوان) نظر:
Bury, J.,History of the latter Roman Empire, 2 Vol., New York, 1985, Vol. I, P.255.

(٣) سعد زغلول : المرجع السابق، ص ٦-٩، شارل اندري: المرجع السابق، ص .

(٤) Zasimus , Op. cit., P. 17.

(٥) Theophanes, Ibid.

كما كان يترأس عدداً كبيراً من الموظفين المدنيين، وكنت مهمة هذا الجهاز الاداري تقدير الضرائب وجمعها، وممارسة أعمال القضاء، وارسال الضرائب إلى حاكم ولاية افريقية في قرطاج تمهيداً لارسالها للإمبراطور(١).

وكانت مدينة طرابلس هي عاصمة هذه المقاطعة ومقر الحاكم الاداري وجهازه من الموظفين، وكان لهذه العاصمة مجلس بلدي Ordo-Decurionum تمثل الطبقة الارستقراطية في طرابلس معظم أعضائه، وكان يرأسه اثنان من الموظفين الاداريين يتم انتخابهما كل عام بواسطة أعضاء المجلس(٢)

أما عن المناطق، فكان على رأس كل منطقة موظف اداري يساعده مجلس للشورى يتكون أيضاً من الطبقة الارستقراطية التي تعيش داخل هذه المنطقة وكان مسئولاً عن المحافظة على النظام في منطقته، وتقديراً الضرائب وجمعها وأعمال القضاء(٣).

---

(١) Zosimos, Op. cit., PP. 71, 95, 98
(٢) Theophanes,Op.cit., p. 308
(٣) Zosimos, Op. cit., P. 95.

وكان على رأس كل وحدة من الوحدات الادارية موظف أقل مرتبة من حاكم المنطقة، ويساعده مجلس يتكون من شيوخ هذه الوحدة[1].

* وطبقا لسياسة الأصلاح التى وضعها الإمبراطور دقلديانوس، والتى كان من أهم معالمها فصل السلطة المدنية عن السلطة العسكرية[2] لم يقم هؤلاء الموظفون بنشاط حربى طوال عهد الإمبراطور دقلديانوس رغم التهديدات التى تعرضت لها المقاطعة نتيجة لغارات القبائل البدوية. إذ تشير بعض المصادر البيزنطية إلى أن هذه القبائل شنت الغارات على المناطق الزراعية فى العام الخامس عشر من عهد الإمبراطور دقلديانوس*، واحدثوا كثيراً من الاضطرابات مما أزعج نظيره مكسيميان Maximian ، فقاد الجيش النظامى للامبراطورية، ورافقة القائد رومينوس Ruminus ، ونجح فى القضاء على تمرد هذه القبائل. ورغبة من مكسيميان فى إجبار هذه القبائل على الاخلاد للسكينة، أتفق مع شيوخهم على الصلح[3] ، ولكن بمجرد رحيل الإمبراطور والجيش عادت هذه القبائل إلى شن الغارات واحداث الشغب، ولذلك أطلقت عليهم بعض المصادر اسم

---

(1) Zosimos, Op. Cit., P. 79;
Theophanes, op. Cit., p. 306.

(2) Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State, Oxford,1956, P.31.

(3) لم تشر المصادر إلى شروط هذا الصلح.

Pacati اى ناقضى السلام[١].

علي أية حال استمر هذا النظام الأدارى فى مقاطعة طرابلس منذ عهد الإمبراطور دقلديانوس حتي عهد الإمبراطور ثيودسيوس الثانى Theodosius II (٤٠٨ - ٤٥٠)[٢]، وفى الوقت نفسه استمرت غارات البدو علي المناطق الزراعية خلال هذه الفترة[٣] مما جعل حاكم مقاطعة طرابلس يجمع بين السلطتين المدينة والعسكرية[٤].

ولم يكن جمع السلطتين فى يد الحاكم هو التغير الوحيد الذى طرأ على هذه المقاطعة ، وانما أدت المعاهدة التى عقدها. فالنشيان الثالث Valentinian III امبراطور القسم الغربى من الأمبراطورية الرومانية (٤٢٥ - ٤٥٥م ٩ مع الوندال عام ٤٤٢م[٥] إلى نتائج مؤثرة على التقسيم الاداري في كل من برقة وطرابلس. إذ انسلخت

---

(١) Meroboudes, Op. cit, P. 225;
Theophanes, Op. cit., P. 306.

(٢) Zosimos, Op. cit., P. 98;
Theophanes, Op. cit., P. 308.

(٣) Meobaues, Ibid.

(٤) Babour, N., A Survey of North Africia, New York, 1959, PP. 10-11.

(٥)لمزيد من التفاصيل عن هذه المعاهدة:
محمود سعيد عمران: مملكة الوندال فى شمال افريقيا ، الاسكندرية ١٩٨٥، ص ٣٢-٣٦، وأيضا:
Gibbon, E.,The history of the Decline and Fall of the Roman empire, 7Vols, London, 1925, Vol. III, PP. 481-484;
Lot, F., The end of the Ancient world and the Beginning of the Middle age, London, 1931, PP.207-210.

برقة عن مقاطعة طرابلس واصبحت تمثل مقاطعة قائمة بذاتها ضمن ولاية مصر [١]، بينما تطلع الوندال إلى السيطرة على طرابلس حتى نجحوا في عام ٤٥٥ م من الاستيلاء عليها [٢].

أما عن النظام الحربى، فقد كانت كل من برقة وطرابلس مركزا للفرق العسكرية المعروفة بجيش الأطراف أو لحدود Limitanei الذى يقوم أفراده بزراعة الارض التى يحوزنها كنوع من الأقطاع العسكرى، وترتبط أحقيتهم فى ملكية هذه الأرض بأداء الخدمة العسكرية، ويسمح لأبنائهم أن يرثوا هذا الأقطاع بشرط أدائهم للخدمة الحربية. وقد تمتع أفراد هذا الجيش بالإعفاء من دفع الضرائب والالتزامات البلدية عندما يبلغ أحدهم سن الاربعين ويتم إعفاؤه من الخدمة [٣].

وكانت مهمة جيش الأطراف حراسة الحدود، والمناطق الحصينة التي شيدت بالقرب من المناطق الزراعية لحمايتها من غارات البدو [٤]، وكان يتولي قيادة هذا الجيش في مقاطعة طرابلس أحد

---

(١) محمد محمد مرسى الشيخ: تاريخ مصر البيزنطية، الأسكندرية ١٩٩٤، ص ٤٩.

(٢) محمود سعيد عمران : المرجع السابق، ص ٣٩.

(٣) Zosimos, Op.cit., P. 98;
Theophanes, Op. cit., P. 225.

(٤) Merobaudes, Op. cit., P. 225.

القادة العسكرين الذي يعينه دوق ولاية افريقيا.(١)

والى جانب جيش الاطراف في مقاطعة طرابلس كانت هناك فرق عسكرية أخري منها الفرق المحالفة من قبائل المورين(٢). اذ لجأت الأمبراطورية البيزنطية إلى ما يعرف بنظام المحالفة أو المعاهدة، ويعني التحالف مع الشعوب التي تعيش على أطراف حدود الأمبراطورية، حيث ارتبط هؤلاء المحالفين بمعاهدة تحالف مع الأمبراطورية تعهدوا فيها بحماية انفسهم وحماية حدود الأمبراطورية في مقابل إعفائهم من الضرائب أو الاتاوات، وتطور الأمر إلى أن أصبح هؤلاء المحالفين يحصلون على أموال من الأمبراطورية مقابل اداء هذه الخدمات.(٣)

ومن الفرق العسكرية التى وجدت ايضا فى مقاطعة طرابلس فئة من الجند المأجورين الذين كانوا بمثابة حرس خاص لكبار الموظفين أو بعض ملاك الاراضي الزراعية، ولم تكن هناك صلات تربطهم بالجيش أصلا حتى قام الاقطاعيون وسادة هؤلاء الجند بعرض خدماتهم

---

(١) Zosimos, Op. Cit, P. 98.

(٢) Joannes Zonaras, Annalium, cf. P.G.M., Tom. Cxxxiv, Paris, 1864, P. 62.

(٣) محمد محمد مرسي الشيخ: المرجع السابق، ص ٧١.

(٤) Zosimos, Ibid.

على الدولة مقابل حصولهم على بعض الأموال[١].

وعن الأحوال الدينية فى كل من برقة وطرابلس، نجد أن انتشار المسيحية فى هذه المنطقة كان بطيئا ومحدوداً [٢]، ولعل هذا الأمر يرجع إلى ابتعاد برقة وطرابلس عن مراكز نشر المسيحية فى مصر وقرطاج، وقلة عدد رجال الدين الذين توجهوا إلى المراكز العمرانية فى المنطقة للتبشير بالمسيحية، وصعوبة ملاحقة القبائل البدوية فى هذه الصحراء الشاسعة، هذا بالاضافة إلى اضطهاد الرومان لاتباع المسيحية فى المرحلة الأولى قبل عهد الأمبراطور قنسطنطين.

ومهما يكن من أمر فقد بدأت المسيحية تشق طريقها إلى هذه المنطقة فى أواسط القرن الثالث الميلادى نتيجة لجهود احد القديسين ويدعى سيبيريان St Cyprien. إذ نجح فى آقناع بعض الأفراد باعتناق المسيحية خاصة عددا من الجند في جيش الاطراف. بيد أن هؤلاء المسيحين بدأوا يتعرضون للاضطهاد من السلطات الرومانية الحاكمة وبلغ هذا الاضطهاد ذورته فى عهد الإمبراطور دقلديانوس مما دفع الكثير ين منهم إلى الأرتداد عن دينهم [٣].

---

(١) محمد محمد مرسى الشيخ: المرجع السابق، ص ٧١.

(٢) Merobaudes, Op. cit., P. 42.

(٣) Theophanes, Op. cit., P. 313.

وبعد أن اعترف الإمبراطور قنسطنطين Constantine (٣٠٥ - ٣٢٧م) بالمسيحية كاحدى الديانات الرسمية في الإمبراطورية[١]، عادت المسيحية إلى الانتشار في برقة وطرابلس إذ شيدت بعض الكنائس في المدن الرئيسية التابعة لهذه المقاطعة، وظهرت فى هذا المجتمع طبقة جديدة من رجال الدين سواء كانوا من الاساقفة أو القساوسة أو الشماسة، وبدأت المدارس الدينية الملحقة بهذه الكنائس فى تعليم الصغار كى يصبحوا مؤهليين لتقلد الوظائف الدينية[٢].

وعلى الرغم من انتشار المسيحية انتشاراً حثيثاً خلال القرنين الرابع والخامس الميلادين الا أن رجال الدين في برقة وطرابلس واجهوا كثيراً من الصعوبات بسبب الخلافات التى بدأت تلوح في الأفق، ومنها كيفية معاملة الأفراد المرتدين عن الدين زمن الاضطهاد، بالاضافة إلى الأختلافات المذهبية [٣].

---

(١) Vasiliev. A. A., History of the Byzantine Empire, 2 Vols, Univer. of Wisconsin Press, 1961 - 1962, Vol. I, P. 52.

(٢) Theophanes, Op. cit., P. 310.

(٣) عن هذه الاختلافات انظر: شارل اندرى : المرجع السابق، ص ٢٨٨ - ٢٩٠، سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص ٦٦.

اما عن الأحوال الاقتصاديه، فقد كانت حرفتي الزراعه والرعى تمثلان عماد النشاط الأقتصادى في كل من برقة وطرابلس. إذا انتشرت الزراعة فى السهول الساحلية المطلة على البحر المتوسط، وفي الواحات ولا سيما واحة برقة.

واعتمدت الزراعة فى هذه المناطق على مياه الآبار والأمطار التى يتم تخزينها فى خزانات تبني تحت مستوي سطح الأرض لتتجمع بها هذه المياه، ثم يتم رفعها بواسطة أنابيب لرى الاراضى الزراعية[1].

وكانت لأراضى الزراعية في بداية الامر ملكا للدولة أو الأمبراطورية ثم حدثت تطورات هامة علي ملكية هذه الأراضى فى أواخر القرن الثالث الميلادى. إذ شاع حق ملكية الاراضى للافراد منذ عهد الإمبراطور دقلديانوس، وتقرر تأجير أو بيع هذه الاراضى بشرط أن يقبل المشترى أن يتحمل مسئولية تسديد ما عليها من التزامات وضرائب [3].

---

(١) Michael Clycas, Op. cit., P. 126.

(٢) Zosimos, Op. cit., P. 21.

(٣) محمد محمد مرسى الشيخ: المرجع السابق، ص ٥٥.

وكانت أهم المحاصيل التي تزرع في هذه المناطق هى الحبوب من القمح والشعير، واشجار الزيتون، وبساتين الكرم والتين إلى جانب النخيل [١].

وكانت هذه المحاصيل تمثل أساس النشاط الإقتصادى فى هذه المناطق [٢]. اذكان انتاج الزيتون والكروم والتين والنخيل يفيض عن حاجة السكان، ومن ثم قامت عليها صناعات مختلفة منها تجفيف التين والكروم والتمر، وصناعة النبيذ، وزيت الزيتون.

وإلى جانب هذه الصناعات، عرف سكان برقة وطرابلس بعض الصناعات البدائية الاخرى. لا سيما صناعة الاونى الفخارية، وصناعة المنسوجات [٣].

أما عن الرعى، فقد عاش البدو الرعاه حياة التنقل بين أراضى العشب والمراعى الممتدة في هذه الصحراء لرعى الأغنام والماعز، والابل

(١) Michoel Clycas, Op. cit, P 126

(٢) سعد زغلول عبد الحمد : المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) Michael Clycas, Op. cit., P. 42; Zosimos, Op. cit., PP. 77, 91

والخيول للاستفادة من لحومها والبانها ووبرها، والمتاجرة فيها. وقامت على هذه الحرفة ايضا بعض الصناعات منها صناعة منتجات الالبان، وغزل الصوف لصنع الملابس، وايضا صناعة الخيام من جلود الماعز[(١)].

وبالنسبة للتجارة، فقد كان التين، والزيتون وزيته أهم السلع التجارية لهذه المناطق [(٢)]، ولم تزدهر التجارة في برقة بسبب قلة المنتجات التجارية من جهة، ومن جهه أخرى أدت غارات البدو المتكررة على المدن الرئيسية التى تعثر التجارة بها.

اما عن الضرائب فلقد تدخل اعضاء المجالس البلدية فى توزيع قيمة الضرائب علي الوحدات، وجباتها تنفيذا لاوامر الإمبراطور كل عام. إذ لم يكن مقدار الضريبة المطلوبة ثابتا، وانما يجرى تقديره كل عام بمقتضى أمر امبراطورى بناء على التقارير التى يرفعها مندوبون عينوا لهذه المهمه [(٣)].

---

(١) Joannes Zonaras, Op. cit., P. 246.

(٢) Zosimos, Op. cit., P. 91.

(٣) محمد محمد مرسى الشيخ : المرجع السابق، ص ٦١.

وكان تقدير الضرائب على الاراضى الزراعية يختلف من منطقة إلى أخري حسب خصوبة تربتها وكيفية ريها ، ومساحتها ، وتجري جباية ضريبة الارض عينا ، اما الضريبة التي فرضت علي الإبل، والحمير، والماعز، والخيول، فكان يتم تقديرها حسب اعدادها ، وتدفع نقديه(١).

أما عن الأحوال الاجتماعية، فقد انقسم سكان المناطق فى برقة وطرابلس إلى فئتين رئيسيتين هما البدو والحضر، ولم تكن الفوارق الطبقية واضحة بين سكان البادية، بينما ظهرت بوضوح فى مجتمع الحضر الذى استقر بالقرب من المناطق الزراعية، لا سيما بين الطبقة الارستقراطية التي امتلكت الأراضى الزراعية، وطبقة الزراع الذين كانوا يعملون في هذه الاراضى. إذ عاشت الطبقة الاولى حياه ناعمة داخل المنازل الفخمة والقصور، بينما عانت طبقة الزراع من قسوة المعيشة، وعاشوا داخل بيوت متواضعة(٢)،وان كانت حياتهم افضل بكثير من البدو الرحل الذين نظروا بعين الحسد إلى مجتمع الحضر ، وظلوا يشنون الغارات المتتالية علي المناطق الزراعية.

(١) Theophanes, Op. cit., P. 308.

(٢) Zosimos, Op. cit., PP. 71. 294 .

ونختم حديثنا عن هذه المنطقة بالاشارة إلى النشاط العمرانى فى برقة وطرابلس. اذ شيدت المنشأت المعمارية كالحمامات والمسارح والملاعب في كثير من المدن الرئيسية التابعة لمقاطعة طرابلس، وبنيت المنشأت الدينية كالمعابد والكنائس والمدارس فى هذه المناطق، هذا بالاضافة إلى المنشأت العسكرية كالقلاع والحصون عند اطراف الحدود، وبالقرب من المناطق الزراعية لحمايتها من غارات البدو، كما تم تعبيد الطرق لسهولة انتقال الفرق العسكرية الى مناطق الخطر الذى يهدد المنطقة[١].

هذا عرض لاهم ملامح المجتمع الليبى فى كل برقة وطرابلس منذ أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الخامس الميلادي.

---

(١) Geargius Cedrenus, P. 954.

قائمة باسماء المصادر والمراجع

أولاً: بيان المختصرات التي وردت في الحواشي:

C. S. H. B : Corpus, Scriptorum Historiae Byzantinae.

P. G. M. : Patrologia Greaeca Ed Migne.

ثانياً: المصادر الاجنبية:

Cantacuzenus, Chronicom, cf. C. S. H. B., Bonn,1882.

Excerpta Edixippo, Historiarum Reliquiae cf. C.S.H.B., Bonn, 1829.

Georgius Cederenus, Historiqruum Cpmpendium, cf.P.G.M.Tom. CXX1, Paris, 1846.

Georgius Monchus Hamartolus, Chroicon, cf. P. G. M., Tom. Cx, Paris 1863.

Joanes Zonaras, Annalium, cf. P.G.M., Tom Cxxxiv, Paris, 1864.

Merobaudes et Carippus, Pangurici Reliquiae cf. C. S. H. B., Bonn, 1845.

Michael Clycos, Annalium, cf. C. S. H. B., Bonn, 1836.

Procopius of Caesarea, The Anecdota or Secret. History, Tr. H.B. Dewing,London, 1969.

Theophanes, Chronographia, cf. P. G. M., Tom. CV11, Paris, 1863.

Zosimos, Commentorus Historicus, cf. C.S.H.B., Bonn, 1837.

ثالثاً: المراجع الاجنبية

Babour, N., A Survey of North Africia, New York, 1959.

Bury, J., History of he Latter Roman Empire, 2 Vols, New York, 1985

Gibbon, E., The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, 7 Vols, London, 1925.

Lot, F., The end of the Ancient World and the Beginning of the Middl Ages, London, 1931.

Ostrogorsky, G., History of the Byzantine state, Oxford, 1956.

Vasilive, A. A., History of the Byzantine Empire, 2 Vols, Univer. of Wisconsin Press, 1961-1962.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة

حسنين محمد ربيع (دكتور):

«دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية »، القاهرة ١٩٨٣م.

سعد زغلول عبد الحميد (دكتور):

« تاريخ المغرب العربى » ، الاسكندرية (د . ت).

شارل اندرى جوليان:

« تاريخ إفريقيا الشمالية » ، تعريب محمد مزالى & البشير أبن سلامة ، تونس ١٩٦٩م.

محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور):

« تاريخ مصر البيزنطية »، الاسكندرية ١٩٩٤م.

محمود سعيد عمران (دكتور):

« مملكة الوندال فى شمال افريقيا » ، الاسكندرية ١٩٨٥م.

معاهدات السلام بين المسلمين والبيزنطيين

فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى

الفصل الثاني

معاهدات السلام بين المسلمين والبيزنطيين

في النصف الثاني من القرن السابع الميلادى

تتمثل فى مبادىء الدين الإسلامى كل معانى المودة والسلام ، ويحوى سجل المسلمين على امتداد تاريخهم الطويل مجموعة متعددة من نماذج المهادنة التى تحقن الدماء ، وتمد رواق الأمان ، وتغمد سيوف الحرب ، وتكف السهام الراشقة وتعقل الرماح الخطاره ، وذلك أنقياداً لأمر المولى عز وجل للرسول عليه الصلاة والسلام بالمطاوعه على الصلح ، والإجابه إلى السلم (وأن جنحوا للسلم فاجنح لها توكل على الله) . (١)

ويمكن أن تنتخب من السجل الإسلامى مايدل على هذا دلالة واضحة فى هذا البحث المعنون " معاهدات السلام بين المسلمين والبيزنطيين فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى/ الثلث الثانى من القرن الأول الهجرى " . ولا أدعى أن هذا الموضوع الذى انتقيته من صفحات التاريخ الإسلامى بالغ الأهمية لأن موضوع العلاقات السياسية بين الدولة الأموية والدوله البيزنطية من أكثر الموضوعات التى تصدى لها المؤرخون القدامى والحديثون بالكتابة . بيد أن المهادنات بين الفريقين فى القرن الأول والهجرى / القرن السابع الميلادى تعتبر من أكثر الموضوعات الشائكة التى اختلفت حول تاريخها وترتيب احداثها المصادر التاريخية

واذا قصرنا النظر على دائره أضيق وانتقلنا من التعميم إلى التخصيص وجدنا ان كتابات المؤرخين القدامى قد اختلفت حول المعاهدات التى عقدها معاوية بن ابى سفيان بصفه خاصة مع البيزنطيين .

وإذا نظرنا بعين الاعتبار إلى المصادر العربية ، نلحظ أن الروايات التى أشارت إلى تلك المعاهدات يمكن أن تنقسم إلى ثلاث مجموعات رئيسية : الأولى تتضمن ما أورده كل من ابن قتيبه (٢) والطبرى (٣) والدينورى (٤) إذ يشيرون إلى أن " قيصر الروم " زحف بجنده لمقاتلة

---

(١) سورة الأنفال ، آيه ٦١ .

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ٢ج (فى مجلد واحد) مصر ١٩٠٤م ، جـ١ ، ص١٦٠ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ١٠ج ، بيروت ١٩٧٩م ، جـ٦ ، ص١٨٦ .

(٤) الدينورى : كتاب الأخبار الطوال ، بغداد ١٩٥٩م ، ص١٥٧ .

المسلمين أثناء فترة النزاع بين على بن أبى طالب ومعاوية ، وأن عمرو بن العاص قدم النصيحة لمعاوية بضرورة موادعة قيصر الروم فى تلك الفتره بإعطائه المال والحلل ، بإطلاق سراح الأسرى. وبذلك لم تحدد تلك الرواية التاريخ الدقيق لتلك المعاهدة ، وأنما اكتفت بالإشارة إلى أنها كانت أثناء فتره النزاع بين على بن أبى طالب ومعاوية .

أما المؤرخ ابن كثير فكان اكثر تحديداً ، وأشار إلى أن " ملك الروم " قد طمع فى معاوية بعد أن كان يخشاه . فزحف بجيش كبير لمحاربة المسلمين ، عندئذ أرسل إليه معاوية كتاباً يتوعده ، فبعث يطلب المهادنة ، ثم كان من أمر التحكيم " [1] وبذلك يحدد ابن كثير تاريخ المهادنة ويجعلها قبل أمر التحكيم بين على ومعاوية .

أما عن المجموعة الثانية فتضم رواية كل من خليفة بن خياط ، واليعقوبى . إذ يشير الأول إلى أن معاوية قد " صالح الروم " فى عام ٤١ هـ / ٦٦١ م [2] . أما اليعقوبى فيورد أن معاوية قد بلغه فى عام ٤١ هـ / ٦٦١ م أن " طاغية الروم قد زحف فى جموع كثيرة وخلق عظيم فخاف أن يشغله عما يحتاج إلى تدبيره وإحكامه فوجه إليه فصالحه على مائة ألف دينار " [3] .

وبالنسبة للمجموعة الثالث وتتضمن إشارات عابرة لكل من ابن سلام [4] والبلاذرى [5] والشيبانى [6] ، وابن الطقطقى [7] ، تفيد أن مهادنة تمت بين معاوية وبين الروم .

---

(١) ابن كثير : البدايه والنهاية ، ١٤ج فى ٧ مجلدات ، ط٣ ، بيروت ١٩٨٠م ، جـ٨ ، ص١١٩ .

(٢) خليفة بن خياط تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د . اكرم ضياء العمرى ، الرياض ١٩٨٥ م ، ص ٢٠٥ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣ج ، النجف ١٣٥٨ هـ ، جـ٢ ، ص١٦٣ ، ٢١٢ .

(٤) ابن سلام : كتاب الأموال ، مصر ، (د . ت) ، ص١٦٢ .

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ، ليدن ١٨٦٦ م ، ص ١٥٩ .

(٦) الشيبانى : شرح كتاب السير الكبير ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص١٧٥٣ .

(٧) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ، مصر (د. ت) ، ص ٥٩ - ٦٠ .

اما المسعودى والنويرى فقد أشارا فى رواية مختصرة إلى أن معاوية بن أبى سفيان قد هادن كل من الإمبراطور البيزنطى قنسطانز الثانى[1] Constans 11 (٦٤١ - ٦٦٨م / ٢١- ٤٨ هـ) ، وابنه الإمبراطور قنسطنطين الرابع [2] Constantine IV (٦٦٨ - ٦٨٥م / ٤٨ - ٦٥ هـ) [3] .

وأهم ما نلحظه فى الكتابات العربية حول تلك المعاهدات أنها جميعا لم تحدد بنود الصلح التى اتفق عليها الجانبان ، وأنها - فيما عدا ما أورده كل من خليفة بن خياط واليعقوبى - لم تحدد التاريخ الدقيق لتلك المهادنات .

أما عن المصادر البيزنطية فتبدأ بروايات ثيوفانيس Theophanes والتى تشير الى أن معاوية بن ابى سفيان قد عقد ثلاث معاهدات مع البيرنطيين . الأولى كانت فى العام الخامس من حكم ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان (٢٤ - ٣٥هـ / ٦٤٤ - ٦٥٦ م) وفى اثناء الفترة الممتده من أول سبتمبر عام ٦٥٠ م / ٢٨ ذى الحجة عام ٢٩ هـ وحتى ٣١ أغسطس عام ٦٥١ م / ٨ المحرم عام ٣١ هـ عندما كان معاوية أميراً على الشام . إذ أرسل الإمبراطور قنسطانز الثانى رسولاً يدعى بركوبيوس Prokopios لعرض رغبة الإمبراطور فى عقد اتفاقية للسلام بينهما . وتشير الرواية إلى أن المعاهدة قد أبرمت بالفعل فى تلك الفترة وكانت لمدة عامين ، وأن معاوية قد أحتجز بعض الرهائن البيزنطيين فى دمشق ومن بينهم جريجورى [4] Gregory ابن ثيودور Theodore . [5]

---

(١) يطلق عليه المسعودى اسم « مورق بن مورق » والنويرى اسم « فوق بن مورق »

(٢) يطلق عليه المسعودى اسم « قلفط بن مورق » والنويرى اسم « فلقط بن مورق » .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ ج ، بيروت١٩٨٣م ، جـ١ ، ص٣٢٩ : النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ٢٧ ج ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ، جـ١٥ و ص ٢٨٠ .

(٤) Theophanes , The Chronicle of Theophanes (A.D 602 - 813) Tran . By Harry Turtledove , U. S. A., Pensylvania , 1982 , p . 44 .

(٥) ثيودور هو شقيق الإمبراطور قنسطانز الثانى . انظر : Theophanes , op . cit , p 47

ونلحظ فى هذه الرواية أن مبادرة السلام جاءت من جانب الإمبراطور البيزنطى ، وأنها لم تشر إلى بنود اتفاقية السلام بين الجانبين ، وأن هذا الاتفاقية عقدت بين الإمبراطور البيزنطى وبين معاوية رغم كونه والياً على الشام ، وأن الرواية لم تشر إلى قيام الخليفة عثمان بن عفان بالتوقيع على تلك الاتفاقية .

أما عن المعاهدة الثانية التى يشير إليها المؤرخ ثيوفانيس فكانت فى العام الثالث بعد مقتل الخليفة عثمان [١] بن عفان وفيما بين عامى ٦٥٨ - ٦٥٩م/ ٣٨ - ٣٩هـ بعد أن أرسل معاوية لعقد اتفاقية للهدنة مع البيزنطيين ، وتنص الاتفاقية على قيام المسلمين بدفع الف نوميسماتا Nomismata [٢] ، وحصاناً ، واطلاق سراح اسير بيزنطى كل يوم [٣] .

وأهم ما يسترعى الانتباه فى تلك المعاهدة انها عقدت فى الفترة التى نشب خلالها النزاع بين معاوية وعلى بن أبى طالب ، وأن الرواية لم تشر إلى تبادل الرهائن بين الجانبين ، ولم تحدد مدة المعاهدة بينهما .

وبالنسبة للمعاهدة الثالثة ، فقد أورد ثيوفانيس أنها عقدت فى العام التاسع من حكم الإمبراطور قنسطنطين الرابع فيما بين عامى ٦٧٧ - ٦٧٨م/ ٥٧ - ٥٨هـ ، وفيها تعهد معاوية بدفع اتاوة سنوية للبيزنطيين عبارة عن ثلاثة الاف نوميسماتا وخمسين حصانا أصيلاً، وأطلاق سراح خمسين أسيراً من الأسرى البيزنطيين ، وأن تكون مدة المعاهدة ثلاثين عاماً[٤]. وتوضح الرواية أسباب أنعقاد تلك المهادنة فتشير إلي أن المردة [٥] قد ثاروا فى منطقة جبل

(١) كان مقتله فى يوم الجمعة ١٨ ذى الحجة عام ٣٥ هـ/ ١٧ يونيو عام ٦٥٦م . انظر: الطبرى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٤١١ - ٤١٢ .

(٢) عمله بيزنطية تساوى $\frac{١}{٧٢}$ من الرطل ذهباً - انظر محمود سعيد عمران : ادارة الامبراطورية البيزنطية ، بيروت ١٩٨٠م ، ص ٨٥ ، ح(١١) .

(٣) Theophanes , op Cit . p . 45 .

(٤) I bid . p . 54

(٥) هم الجراجمة ، واطلق عليهم أسم المردة لكثرة عصيانهم . ولمزيد من التفاصيل عن الجراجمة . أنظر البلاذرى . المصدر السابق ، ص ١٥٩ -١٦٣ ؛ وايضا : فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى . الاتصال الحضارى ، ٢ج ، القاهرة ١٩٦٦م، جـ١ ، ص ٣٦٢ ؛ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ٢ج ، القاهرة ١٩٧٩م جـ٢ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

لبنان ، وانضم اليهم كثير من العبيد والاسرى والاهالى ، فزاد عددهم إلى الوف كثيرة مما أزعج معاوية ومستشاريه ، فأرسلوا سفارة إلى الإمبراطور قنسطانز الثانى لطلب عقد المهادنة فى مقابل دفع إتاوة سنوية . ولقد أستقبل الإمبراطور البيزنطى رسل معاوية بالترحاب والتكريم، وعند عودتهم الى الشام أرسل فى صحبتهم رسولاً يدعى حنابتزيجودس John Ptzigaudis الذى وصفه ثيوفانيس بانه «مكث فترة طويلة يعمل فى الجهاز الادارى ، ويتصف بالفطنة والحكمة » ، وكان الغرض من بعثته الاتفاق مع العرب على شروط السلام . وقد استقبله معاوية فى مدينة دمشق بكل الإعزاز .

وبعد مداولات طويلة بين الجانبين تم الاتفاق علي عقد معاهدة السلام بينهما علي ان تذيلها صيغة اليمين المعهود لدى الطرفين . وبعد تدوين بنود المعاهدة ، وترقيع الجانبين على نسختين منها ، وبعد اداء اليمين احتفظ كل جانب بنسخة من تلك المعاهدة ، وعاد المبعوث الإمبراطورى إلى موطنه محملاً بكثير من الهدايا النفيسة [١] .

وتتفق رواية المؤرخ موناخوس همرتولوس Monachus Hamartolus مع رواية ثيوفانيس بشأن المعاهدة الأولى التى كانت بين معاوية وبين الإمبراطور البيزنطى قنسطانز الثانى فى عام ٦٥١م/٣١هـ ، ويشير إلى أن الأتفاقية بينهما أنتهت بمهاجمة معاوية لجزيرة رودس عام ٦٥٣م/ ٣٣ هـ [٢] كما تتفق ايضا رواية كل منهما حول المعاهدة التى كانت بين الجانبين الاسلامى والبيزنطى فى عام ٦٧٨م/٥٨ هـ ، ويحدد موناخوس تاريخ الهجوم الذى قام به المردة على لبنان بعام ٦٧٧م/٥٧ هـ .والأختلاف الوحيد بين الروايتين ينحصر فى أن موناخوس قد أورد ضمن بنود هذه المعاهدة أن العرب تعهدوا بتقديم مائة من الجياد الأصيلة كل عام [٣]، بينما يحددها ثيوفانيس بخمسين فقط .

---

(١) Theophanes , op . cit ., pp. 53 - 54 .

(٢) Georgius Monachus Hamartolus , Chronicon , Ed . Migne , Patrologia Greaca , Tome , cx , Paris , 1863 , 1863 , CoL . 862 .

(٣) Hamartolus , op . cit ., col . 895 .

ويتفق ما أورده كل من جوزيف جنزيوس Joseph Genesus ونقفور-Nicephorus . Patri-archae مع رواية ثيوفانيس بشأن معاهدة عام ٦٧٨ م / ٥٨ هـ ، ولكنهما لم يذكرا أنها كانت بسبب المردة . (١)

ويشير من جورج كدرينوس(٢) Georguis Cedrenus وحنا زوناراس Joannes(٣) Zonatas ، وليوجراما تيكوس Leo Grammaticus (٤) إلى المعاهدة التى عقدت بين معاوية وبين الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الرابع عام ٦٧٨ م / ٥٨ هـ ، ولكنهم لم يحددوا بنود تلك المعاهدة .

أما عن المصادر الأرمينية ، فيورد المؤرخ سبيوس Sebeos أن الاتفاقية التى كانت بين العرب وبين البيزنطيين . انتهت فى العام الثانى عشر من حكم الإمبراطور قنسطانز الثانى (٥) (فى عام ٦٥٣ م / ٣٣ هـ) . وإذا أخذنا هذه الرواية بعين الاعتبار وجدنا أنها تتفق مع رواية كل من ثيوفانيس ، وموناخوس همرتولوس بشأن المعاهدة الأولى عام ٦٥١م / ٣١ هـ .

وبالنسبة للمصادر السريانية ، يشير المؤرخ ميخائيـل السريانى Michel le Syrien إلى أن معاوية عقد الهدنة مع الإمبراطور البيزنطى قنسطانز الثانى اثناء النزاع مع على بن أبى

---

(١) Genesus , J ., Historia De Rebus Constantinopolitanis , Ed . Migne , Pa-trologia Greaca , Tome CIX , Paris , 1863 , CoL . 13 ;
Nice phrus patriarchae , Breviarum Historicum , Ed. Migne Patrolo-gia Greaca , Tome C , CoLs ., 930 , 936 .

(٢) Cedrenus , G., Historiarum Compendium , Ed . Migne , Patrologia Greaca , Tome CXXI - CXXII , Paris , 1864 - 1894 , Tome CXXI , CoL . 843 .

(٣) Zonaras ,. J., Epitome Historriarum , Ed . Pender , M. 3 vols , Bonne , 1841 - 1892 , vol . , p. 321 .

(٤) Leo Grammaticus , Chronogaphia , Corpus Scriptorum Historiae By-zantinae , Bonne , 1892 , p. 162 .

(٥) Sebeos , Histoire d'Herclius , Tr . Macler , F., Paris , 1904 , p. 137 .

طالب ، كما عقد معاهدة مع الإمبراطور قنسطنطين الرابع عام ٦٧٨ م / ٥٨ هـ [١] . ومن المؤرخين النصارى الذين دونوا كتاباتهم باللغة العربية يشير أجابيوس بن قسطنطين المعروف بالمنبجى Agapius إلى أنه في العام الثالث من عهد الخليفة عثمان بن عفان وجه ملك الروم " قسطوس "[٢] رسلا إلى معاوية يسأله الصلح ، وكان الرسول " منويل " ومنه بعض الروم ، " فأجابه معاوية إلى ذلك على أن يترك عنده عده من أهل بيته رهائن [٣] " ونلحظ أن هذه الرواية تتفق مع ماأورده ثيوفانيس عن المعاهدة التى عقدت بين الإمبراطور البيزنطى وبين معاوية عندما كان الأخير والياً على الشام ، وأن الاختلاف بين الروايتين ينحصر فى تاريخ المعاهدة ، واسم الرسول الذى أورده كل منهما .

ومن خلال العرض السابق للروايات العربية وغير العربية للمعاهدات التى أبرمها معاوية مع البيزنطيين يتضح أن المؤرخين القدامى قد حددوا أربعة تواريخ لهذه المعاهدات : الأول فى عام ٦٥١ م / ٣١ هـ ، والثانى يحددها فى فترة النزاع بين على بن أبى طالب ومعاوية ، والثالث يشير إلى أنها كانت فى عام ٦٦١ م / ٤١ هـ أو عام ٦٦٢ م / ٤٢ هـ ، والرابع يحددها فى عام ٦٧٨ م / ٥٨ هـ .

وعند مقارنة هذه الروايات لاستقصاء الوقائع وربط بعضها ببعض للوصول الى نتيجة محددة نلحظ أن الذين قالوا أن ثمة معاهدة عقدت عام ٦٥١ م / ٣١ هـ هم المؤرخون الغربيون، بينما أنفرد بعض المؤرخين المسلمين بالقول أنها عقدت عام ٦٦١م / ٤١ هـ أو عام ٦٦٢ م / ٤٢ هـ ، وأن هناك تشابهاً بين الروايات العربية وغير العربية فيما يتعلق بمعاهدتين كانت الأولى منهما فى أثناء الصراع بين على ومعاوية ، والثانية فى عام ٦٧٨ م / ٥٨ هـ .

ولما كان تحديد تاريخ هذه المعاهدات على جانب كبير من الأهمية لتوضيح التسلسل التاريخى ، وتقويض الأسس التى أدت إلى الأخطاء التاريخية فينبغى استعراض هذه الروايات ومناقشتها .

(١) Michel le Syrien , Chronique , Texet Syriaque et Trad . Fr . Par J.B. Chabot , 4 vals , Paris , 1899 , Val 11 , p. 450 , 469 .

(٢) المقصود الإمبراطور قنسطانز الثانى

(٣) المنبجى : المنتخب من تاريخ المنبجى ، انتخبه وحققه أ . د . عمر عبد السلام تدمرى ، لبنان ١٩٨٦ م، ص ٥٧ .

أن الرواية التى تشير الى أن ثمة معاهدة عقدت بين المسلمين والبيزنطيين عام ٦٥١ م / ٣١ هـ بمبادره من جانب البيزنطيين ، وهى التى اشارت إليها المصادر غير العربية . يرى الباحث ان هذه المبادرة جاءت نتيجة انتصارات المسلمين المتلاحقه [١] على البيزنطيين [٢] . وعلى الرغم من أن تلك المصادر لم تشر إلى بنود هذه المعاهدة ، واكتفت بالإشارة إلى أمدها ، وأنها كانت لمدة عامين ، فمن المرجح أن بنود هذه المعاهدة كانت فى صالح المسلمين [٣] .

أما عن الرواية الثانية ، والتى أوردتها المصادر العربية وغير العربية . وعلى الرغم أنها أتفقت على أن المعاهدة أبرمت اثناء فترة النزاع بين على ومعاوية إلا أنها اختلفت فى التحديد الدقيق لتاريخها . فيذكر ابن كثير أنها حدثت قبل التحكيم [٤] .فى الوقت نفسه يشير خليفة بن خياط إلى أن التحكيم بين على ومعاوية حدث فى صفر عام ٣٧ هـ / يوليو عام ٦٥٧م[٥] . وعلى هذا يكون ابن كثير قد أومأ إلى أن هذه الاتفاقية عقدت قبل يوليو عام ٦٥٧ م / صفر عام ٣٧ هـ .

غير أن المؤرخ ثيوفانيس وهو من الذين قالوا أيضا بعقدها خلال فترة النزاع بين على ومعاوية فقد جاء فى عرضه لهذه الاتفاقية بعض الاضطراب فقد أورد هذه الاتفاقية ضمن احداث الفترة الممتدة من أول سبتمبر ٦٥٨ م / ٢٥ ربيع الأول عام ٣٨ هـ - حتى ٣١ أغسطس عام ٦٥٩ م / ٦ ربيع الثانى عام ٣٩ هـ فى الوقت الذى دون فيه تلك المعاهده بعد اشارته إلى خروج قوات كل من على ومعاوية للقتال ولمحاربة بعضهما فضلا عن اشارته إلى أن هذه الاتفاقية عقدت فى نفس العام الذى توفى فيه البابا مارتن الأول Martin I (٦٤٩ - ٦٥٦ م / ٢٩ - ٣٦ هـ) . وهكذا اشار ثيوفانيس مرة الى عقدها قبل التحكيم بين على ومعاوية ومرة بعد هذا التحكيم .

(١) عن تلك الأنتصارات انظر : فتحى عثمان : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٢ - ٢٩ .

(٢) Vasiliev , A.A., History of the Byzantine E mpire (324 - 1453) , 2 Vols , Madison 1958 - 1961 , Vol . I , p. 212 .

(٣) Lot,F., L'art Militaire et les Armee au Moyen Age en Eurpe et dans le Proche Orient , Paris , 1946 , p. 61 .

(٤) ابن كثير : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ١١٩ .

(٥) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ص ١٩١ .

ولما كانت قوات على بن أبى طالب ومعاوية قد خرجت للقتال فى معركة صفين فى ذى الحجة عام ٣٦ هـ / مايو ٦٥٧ م [١] ، وكانت وفاة البابا مارتن الأول فى عام ٦٥٦ م / ٣٦ هـ [٢] . بذلك يمكن القول أن هذه المعاهدة قد أبرمت فى عام ٦٥٦ م / ٣٦ هـ .

أما الراوية الثالثة التى ترى أن المعاهدة بين معاوية بن ابى سفيان والإمبراطور البيزنطى قنسطانز الثانى قد عقدت فى عام ٦٦١ م / ٤١ هـ أو فى عام ٦٦٢ م / ٤٢ هـ ، فهذا الرأى يحتاج إلى مناقشة خاصة وأننا نعلم جيداً أن الاضطرابات الداخلية التى واجهت معاوية فى بداية عهده كادت أن تنتهى ، بعد أن خمدت الفتنة [٣] وبالتالى لم يكن معاوية بحاجة ماسة إلى مهادنة بيزنطية وتهدئة الأمور معها لاسيما أن المصادر لم تشر إلى قيام الإمبراطور البيزنطى بمهاجمة المسلمين فى الشام فى تلك الفترة كما أشار اليعقوبى [٤] . وبذلك لم تكن ثمة اسباب قاهرة تجعل معاوية بن ابى سفيان يضطر لدفع مبلغ كبير للبيزنطيين خاصة أن هذا الصلح لم يستمر سوى عاماً واحداً حسبما اكد أصحاب هذه الرواية [٥] . كما أن أحوال الدولة العربية الإسلامية فى تلك الفترة كانت اكثر استقراراً إذا قورنت بالأوضاع فى الدولة البيزنطية. فقد أورد ثيوفانيس أن الإمبراطور البيزنطى قام بنفى البابا مارتن الأول حتى مات فى منفاه ، كما قام الإمبراطور قنسطانز الثانى أيضا عام ٦٦٠ م / ٤٠ هـ بقتل أخيه ثيودور [٦] مما عرضه للكراهية من جانب رجال الدين [٧] ، والسخط من جانب سكان العاصمة البيزنطية [٨] ، هذا فضلاً عن تعرض أملاك الدولة البيزنطية فى جنوب ايطاليا للهجمات من

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ٩ج ، بيروت ١٩٧٩ م ، جـ٣ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٢) Ostrogorsky , G. History of the Byzantin state , tr . J. Hussey , Ox ford , 1956 , p. 106 .

(٣) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٢٧٢ .

(٤) انظر ماسبق ص ٣ .

(٥) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ، اليعقوبى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢١٣ .

(٦) Theophanes , op. cit ., p. 47 .

(٧) Paul the Deacon , History of the Lombards , Ed . W.D. Foulkf , Phhaldelphia , 1907 , p. 235 .

(٨) Ostrogorsky , op . cit ., p. 109 .

قبل اللومبارديين [١] . لكل هذه الأسباب ، ترك الامبراطور قنسطانز الثانى العاصمة القسطنطينية ، واتجه إلى صقلية عام ٦٦١ م / ٤١ هـ ، وظل بها حتى تعرض لمؤامرة انتهت بقتله عام ٦٦٨ م / ٤٨ هـ . [٢]

نخلص من العرض السابق أن أحوال الدولة البيزنطية كانت قد اضطربت فى الداخل وتعرضت أملاكها فى الغرب الأوربى للتهديد من جانب اللومبارديين الأمر الذى جعلها لا تمثل خطراً على الدولة الإسلامية وقتذاك ، أو ترغم معاوية على دفع الإتاوه لهم .

وعلى عكس ذلك أشار اليعقوبى إلى أن الأمبراطور البيزنطى الذى كان يتلقى الأموال من معاوية قد تغيرت أحواله ، فأرسل الى معاوية يطلب الصلح على أن يدفع لمعاوية أضعاف ما كان يتلاقاه من المسلمين من قبل . فلم يوافق معاوية على طلبه [٣] .

ويفسر اليعقوبى أسباب هذا التحول فى موقف البيزنطيين بالإشاره إلى أن الأمور قد استقامت لمعاوية بعد مرور عام واحد على الصلح ، فأصدر معاوية أوامره لأمراء الشام بغزو الأراضى البيزنطية ، " فقام بسر بن أرطأه بغزو أرض الروم عام ٤٣ هـ / ٦٥٣ م" [٤]

واكد كل من المنبجى ، وثيوفانيس ، وابن العبرى هذا الأمر فأشاروا فى كتاباتهم إلى أن أهل أرمينيه استغلوا حالة الاضطراب التى تعانى منها الإمبراطورية البيزنطية وقتذاك فرفعوا راية العصيان على البيزنطيين [٥] ، وأرسل الحاكم الأرمينى سابور Saborios رسولا يدعى سرجى Sergios إلى معاوية فى أواخر عام ٦٦٧ هـ / أواخر عام ٤٦ هـ ، يطلب منه العون ضد البيزنطين . فلما علم قنسطنطين [٦] ابن الإمبراطور قنسطانز الثانى

---

(١) Paul Deacon , op . cit ., p. 234 .

(٢) Theophanes , op . cit ., pp. 50 - 51 .

(٣) اليعقوبى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٩٣ .

(٤) اليعقوبى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢١٣ .

(٥) المنبجى : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٦) هو قنسطنطين الرابع الذى كان يتولى ادارة الحكم فى القسطنطينية نيابة عن ابيه الإمبراطور الذى كان وقتذاك فى صقلية .

بذلك ، أرسل رسولاً إلى معاوية يدعى أندرو Andrew يطلب عدم تأييد الأرمن فى موقفهم ضد البيزنطيين [١] . فلما أستمع معاوية إلى طلب الرسول البيزنطى رد عليه قائلاً : " إن اعطيتمونا كل خراج بلادكم نبقى لكم اسم المملكة وإلا أزحناكم عنها " [٢] . فعاد الرسول البيزنطى دون تحقيق الهدف الذى جاء من أجله [٣] .

وتعتبر الرواية التى أوردها كل من المنبجى وثيوفانيس وابن العبرى هى الأرجح لأنها تتفق مع أحوال الدولة البيزنطية وقتذاك . وعلى ضوء ماسبق يمكن القول أن رواية كل من خليفة بن خياط واليعقوبى التى تشير إلى أن معاوية قد عقد الصلح مع البيزنطيين عام ٦٥١ م / ٤١ م أو عام ٦٥٢ م / ٤٢ هـ ، لا تستند إلى دعائم قوية ولا تقدم تبريرا كافيا لقيام معاوية بدفع مائه ألف دينار للبيزنطيين فى مثل تلك الظروف ولهذا فإن هذه الرواية - فى رأينا - مشكوك فى صحتها ولا يمكن قبولها فى ضوء ما قدمناه من دلائل .

أما عن الرواية الرابعة التى تشير إلى عقد معاهدة بين معاوية بن أبى سفيان وبين الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الرابع عام ٦٧٨ م / ٥٨ هـ ، فالملاحظ أن المصادر غير العربية هى التى اتفقت على هذا التاريخ ، بالإضافة إلى اشارة كل من المسعودى والنويرى التى يمكن اعتبارها تتفق مع ما أوردته تلك المصادر رغم أنهما لم يحددا تاريخاً لتلك المعاهدة [٤] . ونظراً إلى أنه لم يرد فى المصادر المتاحة تاريخاً مغايراً لما جاء فى المصادر الغربية ، فإننا نوافق بحذر على ما جاء فى هذه الرواية .

وفى ضوء ماسبق ، تستطيع القول أن معاوية بن أبى سفيان قد أبرم ثلاث معاهدات مع البيزنطيين الأولى فى عام ٦٥١ م / ٣١ هـ ، والثانية فى عام ٦٥٦ م / ٣٦ هـ ، والثالثة فى عام ٦٧٨ م / ٥٨ هـ .

---

(١) Theophanes , op . cit ., p. 48 .

(٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، بيروت ١٩٥٨ م ، ص ١٠٩ .

(٣) Theophanes , op . cit ., p. 351 .

(٤)

أما عن الروايات التى وردت فى المصادر العربيه بشأن المعاهده التى كانت بين الخليفه الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م) والإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الرابع وابنه الإمبراطور جستنيان الثانى Justinian 11 (٦٨٥ - ٦٩٥ م / ٦٥ - ٧٥ هـ ، ٧٠٥ - ٧١١ م / ٨٦ - ٩٢ هـ)[1] فيمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات .

المجموعة الأولى : تتضمن رواية المؤرخ المسعودى . إذ أشار إلى أنه فى عام ٦٦ هـ/ ٦٨٥ - ٦٨٦ م وفى الليله التى أتى فيها لعبد الملك خبر مقتل قائده عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان ، جاءه أيضا أن الإمبراطور البيزنطى جستنيان الثانى [2] " قد نزل المصيصة [3] يريد الشام " ، وعلم فى الوقت نفسه أن مصعب بن الزبير قد خرج من المدينة المنورة إلى فلسطين ، وأن " عبيد دمشق وأوباشها قد خرجوا على أهلها ونزلوا الجبل " ، وأن السجناء فى دمشق قد فروا من السجن " وخرجوا فى مكابره " وأن خيل الأعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع . ولكن عبد الملك واجه تلك المصاعب بالتجلد والثبات ، فبعث بأموال وهدايا إلى الإمبراطور البيزنطى كى يثنيه عن مهاجمه المسلمين فى الشام ، كما عقد الهدنه معه.[4]

وأهم ما نلحظه من هذه الرواية ، أن الإمبراطور البيزنطى هاجم المصيصة عام ٦٦ هـ / ٦٨٦ م ، وأن الهدنة التى عقدت بين عبد الملك والبيزنطيين كانت بعد مقتل عبيد الله بن زياد. كما نلحظ أن رواية المسعودى لم تشر إلى بنود الصلح مع البيزنطيين ولم تحدد مقدار المال الذى أرسله عبد الملك إلى الإمبراطور البيزنطى .

وتتفق رواية اليعقوبى مع رواية المسعودى فى الإشاره إلى مهاجمه الإمبراطور البيزنطى للمصيصة ، وأن عبد الملك لم يحاربه " لا ضطراب البلدان ، فصالحه ، وحمل إليه أموالاً كثيرة حتى عاد إلى بلاده " [5] .

(١) ينقسم عهد الإمبراطور جستنيان إلى فترتين .

(٢) يطلق عليه المسعودى اسم " لاوى بن قلنط " .

(٣) المصيصة : ثغر من ثغور الشام ، وتقع بالقرب من مدينه أنطاكيه ، وبينها وبين ساحل البحر اثنا عشر ميلاً . أنظر : الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، بيروت ١٩٧٥ م ، ص ٥٥٤ .

(٤) المسعودى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٠٥ - ١٠٦ .

(٥) اليعقوبى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٥

كما تتفق أيضا روايه السيوطى مع ما أشار إليه المسعودى فى أن عبد الملك واجه - فى الليله التى قتل فيها عبيد الله بن زياد - خطراً آخر ، عندما " إنتقض ملك الروم " ما كان بينه وبين عبد الملك . [1]

ورغم أن اليعقوبى والسيوطى لم يحددا تاريخ الهجوم البيزنطى ، إلا أن إشاره السيوطى تعتبر على جانب كبير من الأهميه ، وتبين أن هناك معاهده سابقه بين المسلمين والإمبراطور البيزنطى ، إنتقضها الأخير عندما هاجم المصيصة . وهكذا تمثلت هذه المجموعة فيما رواه كل من المسعودى واليعقوبى والسيوطى الذين اتفقت رواياتهم فيما يختص بالمهادنة ، وإن اضاف السيوطى أن ثمة هدنة كانت بين الطرفين نقضها الإمبراطور فى السنة المذكوره .

اما المجموعة الثانية : فتضمن الروايات التى تشير إلى مهاجمة الجراجمه للمناطق القريبه من لبنان . إذ أورد ابن الأثير أنه فى عام ٦٩ هـ / ٦٨٨ - ٦٨٩ م خرج " قائد من قواد الضواحى " فى جبل اللكام ، وأتبعه خلق كثير من الجراجمه والعبيد وغيرهم ، واتجهوا إلى لبنان ، فلما فرغ عبد الملك من عمرو بن سعيد ، " أرسل إلى هذا الخارج " الف دينار تدفع كل جمعه ، مما جعل القائد الثائر يركن إلى الهدوء ويكف عن الفساد ، ثم أصدر عبد الملك الأوامر لقائده سحيم بن المهاجر لمواجهه هذا القائد الخارج ومن أعانه من الروم ، ونجح سحيم فى مهمته، ولجأ إلى الحيله فقتل الخارج وأعوانه . [2]

ونلحظ من روايه ابن الأثير أن القائد الثائر من قاده منطقه الثغور الإسلاميه وانه تلقى العون والتأييد من جانب البيزنطيين ، وأن هذا الثائر بدأ يعبث الفساد فى عام ٦٩ هـ / ٦٨٨ - ٦٨٩ م .

وتختلف رواية البلاذرى عما أورده ابن الأثيير ، إذ يشير إلى أن هذه الأحداث كانت فى عام ٧٠ هـ / ٦٨٩ - ٦٩٠ م ، وأن " خيل الروم " هى التى خرجت إلى جبل اللكام " وعليها قائد من قوادهم " ، وذلك فى الوقت نفسه الذى كان عبد الملك يستعد فيه للزحف إلى

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٣٥١ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٣٠٤ .

العراق لمواجهه مصعب بن الزبير . وتتفق الأحداث الباقية من روايه البلاذرى مع ما أورده ابن الأثير بشأن موادعة عبد الملك للروم فى جبل لبنان ، ومنحهم ألف دينار كل جمعه مما جعلهم لا يعبثون الفساد . كما تتفق الروايتان فى أن سحيم بم المهاجر قد نجح يالحيله فى القضاء على هذا الخطر [١] .

وبالنسبة للمجموعة الثالثة : فتتضمن الروايات التى تشير إلى مهاجمه البيزنطيين للشام . فيروى كل من الطبرى وابن الاثير ، وابن كثير إلى أنه حدث فى عام ٧٠ هـ / ٦٨٩-٦٩٠ أن " ثار الروم واستجاثوا على من بالشام [٢] من المسلمين [٣] ، واستضعفوهم لما يرون من الأختلاف بين بنى مروان ، وابن الزبير " [٤] فعقد عبد الملك الصلح مع الإمبراطور البيزنطى [٥] وهادنه [٦] على أن يدفع للبيزنطيين فى كل جمعه ألف دينار خوفا منه على المسلمين [٧] .

أما البلاذرى فيشير إلى أن الخليفه الأموى عبد الملك بن مروان بعدما صالح الروم الذين هاجموا لبنان عام ٧٠ هـ / ٦٨٩ - ٦٩٠ م ، أرسل كل من حميد بن حريث بن نجد الكلبى ، وكريب بن ابراهه بن الصباح الحميرى [٨] كرسولين إلى الإمبراطور البيزنطى يحملان الهدايا والألطاف ، وكتاب من عبد الملك يسأل فيه الإمبراطور الموادعه على أن يدفع إتاوه وهو " مال

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٦٠ ؛ أنساب الأشراف ، تحقيق د. إحسان عباس ، ٥ج ، بيروت ١٩٧٩ ، جـ٥ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٧٠ .

(٣) الطبرى : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص١٨١ .

(٤) ابن كثير : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٣١٣ .

(٥) الطبرى : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص١٨١ .

(٦) ابن كثير : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٣١٣ .

(٧) الطبرى : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص١٨١ .

(٨) كان من أشراف مصر ، وأحد القاده فى جيش مروان بن الحكم : البلاذرى : أنساب الأشراف ، جـ٥ ، ص١٤٩ ؛ الكندى : الولاه وكتاب القضاه ، بيروت ، ١٩٠٨ م ، ص٤١ .

يؤديه " . فتقبل الإمبراطور البيزنطى الهدايا ، ووافق على " ما بذل له الخليفه الأموى من الإتاوه ، وأرسل رهائن من البيزنطيين إلى عبد الملك ، فأرسلهم الأخير إلى بعلبك [1] .

ونلحظ مما سبق ، أن هذه الجزئية من رواية البلاذرى تتفق مع رواية كل من الطبرى وابن الأثير وابن كثير فى أن عبد الملك بن مروان صالح الإمبراطور البيزنطى عام ٧٠ هـ / ٦٩٠م، وإن لم يحدد مقدار المال الذى أرسله عبد الملك للإمبراطور ، كما أنه ينفرد عن الروايات السابقة بالإشارة إلى إرسال الإمبراطور البيزنطى رهائن من الروم إلى عبد الملك ضماناً لعدم إنتقاض المعاهده من جانبه بعد حصوله على أموال الإتاوه .

أما ابن العماد ، فيذكر أن الروم قد ثاروا " وقووا على المسلمين " لأختلاف كلمتهم ، فصالح عبد الملك الإمبراطور البيزنطى على أن يؤدى له " كل جمعه الف مثقال من الذهب " ، ويشير ابن العماد إلى أن هذا الصلح يعتبر " أول وهن دخل على المسلمين والأسلام " . [2] وبهذه الرواية اختلف ابن العماد مع الروايات السابقة فى مقدار المال الذى كان عبد الملك يرسله إلى الإمبراطور البيزنطى كل أسبوع .

أما عن قول ابن العماد بأن الصلح كان أول وهن دخل على الأسلام والمسلمين . فنرى أن هذا الكلام لا تمليه الحكمه وفيه تجاوز كبير ، ويختلف أيضا مع ما قال به الفقهاء . إذ يشير ابن الحسن الشيبانى إلى قول الأمام أبى حنيفه بأنه " لا بأس بالموادعه بين المسلمين وبين أهل دار الحرب أن لم يكن بالمسلمين قدرة عليهم ، ولا بأس من إعطاء المال إليهم حتى لا يظهروا على نفوس المسلمين " [3] . وفى ضوء هذا فان مصالحه عبد الملك للبيزنطيين حسبما أشار مؤرخى تلك المجموعة لا يمثل نوعاً من الوهن ولا يعتبر دليلاً على الدعة وايثار العافيه ، كما أن عبد الملك ليس أول من صالح البيزنطيين وهادنهم فقد سبق وأن أشرنا فى الصفحات السابقة إلى قيام معاويه بعقد صلح مع البيزنطيين ودفع لهم أموالاً كثيره .

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف ، جـ٥ ، ص٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ٨ج فى ٤ مجلدات ، بيروت ، دار الأفاق الجديده ، (د . ت) ، جـ١ ، ص٧٧ .

(٣) الشيبانى : المصدر السابق ، ص١٦٨٩ ، ١٩٩٢ .

وبالنسبة للمجموعة الرابعة : وتتضمن الروايات التى تشير إلى المفاوضات والمراسلات بين عبد الملك بن مروان ، والإمبراطور البيزنطى جستنيان الثانى . فيروى محمد بن سعد أن " صاحب الروم " كتب إلى عبد الملك يهدده بأنه قد جمع له جموعاً كثيره ، فكتب إليه عبد الملك يقول : " اولا تدرى أن لله فى كل يوم ثلاثمائه وستون لحظه فى كل لحظه ثلاثمائه وستون قضيه . فلعله يكفيناك فى قضيه من قضاياه " [١] .

أما ابن قتيبه فيشير إلى أنه عندما انشغل عبد الملك بمحاربة مصعب بن الزبير أجتمع " وجوه الروم " وأشاروا على الإمبراطور بغزو الأراضى الإسلامية بعد أن واتتهم الفرصه بأنشغال المسلمين بعضهم ببعض فنهاهم الإمبراطور عن ذلك ، وبين لهم أن المسلمين فى وقت الخطر يمكن أن يطرحوا نزاعهم جانباً ، ويتحدون لمواجهه الأخطار [٢] .

ويذكر ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد رواية تتشابه مع رواية ابن سعد فى أن الإمبراطور البيزنطى كتب إلى عبد الملك بن مروان يهدده بأنه سوف يغزوه بمائه الف من الجنود. فكتب إليه عبد الملك رساله تتفق فى دلالتها [٣] مع اشار إليه ابن سعد .

كما أورد المسعودى رواية تتفق مع الروايات السابقة بشأن مكاتبة عبد الملك للإمبراطور البيزنطى ، ولكنه يتفرد بالإشاره إلى أن الرسل الذين أرسلهم معاويه إلى الإمبراطور البيزنطى، كانوا لا يمكثون فتره طويلة فى العاصمة البيزنطية فيما عدا رسولاً واحداً [٤] .

تلك كانت أهم الروايات التى تضمنتها المصادر العربيه بشأن المعاهده بين عبد الملك بن مروان والإمبراطور البيزنطى ، وأهم ما نلحظه من هذه الروايات العربيه أنها حددت تاريخ هذه المعاهده فى الفتره ما بين عامى ٦٦ - ٧٠ هـ / ٦٨٥ - ٦٩٠ م .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٨ج ، بيروت ١٩٥٧ - ١٩٨٠ ، جـ٥ ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) ابن قتيبه : عيون الأخبار ، ٢ج ، القاهره ١٩٢٥ م ، جـ١ ، ص١١٦ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ٦ج + فهرس ، بيروت ١٩٥٣ - ٢٩٦٢ م ، جـ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٤) المسعودى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص١٢٣ - ١٢٤ .

اما عن المصادر البيزنطية ، فيشير المؤرخ ثيوفانيس إلى عقد معاهده بين عبد الملك والإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الرابع فى الفتره الممتده من أول سبتمبر عام ٦٨٤ م / ١٤ المحرم عام ٦٥ وحتى ٣١ أغسطس عام ٦٨٥ هـ / ٢٤ المحرم ٦٦ هـ ويقول : " فى الوقت نفسه الذى تفشى فيه الوباء ، وعمت المجاعه فى الشام ، ووصل فيه الوباء إلى عنفوانه وقمة فتكه ، قام المرده بمهاجمه لبنان " عندئذ أرسل عبد الملك سفاره إلى الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الرابع يطلب منه تجديد المعاهده التى سبق أن عقدها مع معاويه [١] على أن يدفع عبد الملك للبيزنطيين ثلاثمائه وخمس وستين الف نوميسماتا ، ويرسل إليهم ثلاثمائه وخمسة وستين حصانا أصيلاً ، ويطلق سراح ثلاثمائه وخمس وستين اسيراً من البيزنطيين [٢] .

ويتفق ما أورده كل من ليوجراماتيكوس [٣] ، وموناخوس هموتولس من بنود هذه المعاهده مع رواية ثيوفانيس ، على الرغم من أنهما لم يحددا تاريخ هذه المعاهده . ويشير موناخوس إلى أن أمد هذه المعاهده كان عشر سنوات ، وأن الإمبراطور البيزنطى تعهد بإيقاف هجمات المرده على الأراضى الإسلاميه [٤] .

ويشير جوزيف جنزيوس إلى أن هذه المعاهدة كانت فى السابع من يوليو عام ٦٨٥ م / الثامن والعشرين من ذى القعده عام ٦٥ هـ ، وأن أمد هذه المعاهدة كان ثلاث سنوات [٥] .

اما عن المعاهدة الثانية ، فيشير ثيوفانيس إلى أنها كانت فى الفترة من أول سبتمبر عام ٦٨٦ م / ٥ صفر عام ٦٧ هـ وحتى ٣١ أغسطس عام ٦٨٧ م / ١٥ صفر عام ٦٨ هـ ، عندما أرسل عبد الملك بن مروان سفاره إلى الإمبراطور جستنيان الثانى لعقد اتفاقيه سلام بينهما تنحصر بنودها فى أن يقوم الإمبراطور البيزنطى بترحيل قوات المرده من لبنان بعد أيقاف هجماتهم ، وفى مقابل ذلك يدفع عبد الملك للبيزنطيين كل يوم الف نوميسماتا ويرسل

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٤

(٢) Theophanes , op. cit ., p. 59 .

(٣) Leo Grammaticus , op. cit ., p. 162 .

(٤) Hamartolus , op . cit . col . 898 .

(٥) Genesus , op . cit ., col . 31 .

لهم حصاناً أصيلاً كل يوم ، ويطلق سراح أسيرٍ واحدٍ منهم كل يوم أيضا . كما يقوم الجانبان الأسلامي والبيزنطي بأقتسام الضرائب التي تجبى من قبرص وأرمينيه وأيبيريا (١) .

وبعد أن أستمع الإمبراطور لعرض السفاره الإسلاميه ، ووافق عليه ، أرسل مندوباً يدعى بولس Poul إلى عبد الملك لتدوين بنود معاهدة السلام بينهما وتذيلها بشهادة الشهود . وعاد المندوب الإمبراطوري بعد أن أستقبل وودع بكثير من الحفاوة والتكريم . (٢)

ويتفق المؤرخان كدرينوس وزوناراس مع ما أوردة ثيوفانيس بشأن بنود هذه المعاهدة ، ولكنهما يختلفان معه في تحديد تاريخها ، فيشيران إلى انها كانت في السنة الأولى من حكم الإمبراطور جستنيان (٣) اى في عام ٦٨٥ م / ٦٥ - ٦٦ هـ .

أما المؤرخان ليوجراماتيكوس وموناخوس همرتولس فيشيران إلى أن الإمبراطور جستنيان الثاني هو الذي أرسل وفداً إلى عبد الملك بن مروان لتأكيد أتفاقية السلام التي عقدت مع أبيه الإمبراطور قنسطنطين الرابع (٤) .

واكتفى المؤرخ نقفور بالإشاره إلى أن جستنيان الثاني قد نقض في عام ٦٨٨ م / ٦٨-٦٩ هـ " المعاهده التي عقدها والده مع العرب " (٥) .

---

(١) أيبيريا : مملكه مسيحيه تقع في منطقه جبال القوقاز بين البحرين الأسود وقزوين .

أنظر : وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطور البيزنطية والدوله الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص٤٢ ، ح (٣) .

(٢) Theophanes , op . cit ., p. 61 .

ويلاحظ حرص عبد الملك على أن يجرى دفع هذه الإتاوة مجزأة وعلى مدى الأيام ضمانا لاستمرار سريانها في المدة المتفق عليها خوف من أن ينقضها الإمبراطور إذا حصل على الإتاوة دفعة واحدة وقبل انقضاء امد الهدنة .

(٣) Cedrenus , op . cit ., col . 642 ; Zonaras , op . cit ., p. 321 .

(٤) Leo Grammaticus , op . cit ., p. /163 ; Hamartolus , op . cit ., col . 898

(٥) Nicephrus , op . cit ., col . 936 .

ويتفق المؤرخ جوزيف جنزيوس مع المؤرخ نقفور فى أن هذه المعاهدة كانت فى عام ٦٨٨م/ ٦٨ - ٦٩ هـ ، ويشير إلى أن أمدها كان عشر سنوات ، ثم يبدى تردده فيما يتعلق بالبنود الخاصه بالمال والجياد والأسرى ويقول كانت : تدفع كل يوم ، وقيل كل اسبوع " (١)

وفى ضوء ما سبق يتضح أن هناك شبه اتفاق بين المصادر البيزنطيه فى تحديد تاريخ أتفاقية السلام بين عبد الملك بن مروان والإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الرابع عام ٦٨٥م/ ٦٥ - ٦٦ هـ . بينما أختلفت روايات المصادر البيزنطية فى تحديد تاريخ المعاهده التى عقدت بين العاهل الأموى (عبد الملك) والعاهل البيزنطى (جستنيان الثانى) ، وجعلتة ينحصر فى الفتره ما بين عامى ٦٨٥ - ٦٨٨ م / ٦٥ - ٦٩ هـ .

أما عن المصادر السريانية فتتفق رواية ميخائيل السريانى مع الروايات البيزنطية التى تحدد المعاهده الأولى بين عبد الملك والإمبراطور قنسطنطين الرابع عام ٦٨٥ م / ٦٥ - ٦٦ هـ، ويرى ان أمدها كان عشر سنوات كما تتفق أيضا مع تلك الروايات فى تحديد عام ٦٨٧ م / ٦٧ - ٦٨ هـ تاريخا للمعاهده بين عبد الملك والإمبراطور جستنيان الثانى ، وتشير إلى أن أمد هذه المعاهده كان أيضا عشر سنوات . وتتفق البنود التى أوردها ميخائيل السريانى للمعاهده الثانية مع ما أورده ثيوفانيس (٢) .

أما ابن العبرى فينفرد بالإشاره إلى أن الإمبراطور " يوسطنيانوس (٣) استجاش على من بالشام من المسلمين " عام ٧٠ هـ / ٦٨٩ - ٦٩٠ م ، فصالحه عبد الملك على أن يؤدى إليه كل جمعه الف دينار ، " وقيل كل يوم الف دينار وفرساً ومملوكا " (٤) .

ومن المصادر اللاتينيه ، يشير بولس الشماس Paul the Deacon إلى أن الإمبراطور جستنيان الثانى عقد أتفاقية سلام مع المسلمين " تشمل البر والبحر (٥) " . ولم يحدد بولس

---

(١) Genesius , op . cit ., col . 31 .

(٢) Michel le Syrien , op . cit ., Vol . 11 , p. 469 .

(٣) المقصود جستنيان الثانى .

(٤) ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ١١٢ .

(٥) Paul the Deacon , op . cit ., pp. 258 - 259 .

الشماس تاريخ وبنود تلك الأتفاقية .

اما المنبجى ، فيشير إشاره عابره إلى المعاهدة بين عبد الملك والإمبراطور قسطنطين الرابع فى العام الذى تفشى فيه الوباء ، ويقول : " وفيه صالح عبد الملك الروم " . كما يتفق المنبجى مع ميخائيل السريانى على أن أمد المعاهده بين عبد الملك وجستنيان الثانى كان عشر سنوات ، وعلى الرغم من أنه لم يحدد تاريخاً لتلك المعاهده ، واكتفى بالإشاره إلى أنها كانت فى عهد الإمبراطور جستنيان إلا أن البنود التى أوردها لهذه المعاهده تتفق مع ما أورده ثيوفانيس ، ولكنه ينفرد بالإشاره إلى أن هذه البنود الزمت الإمبراطور " أن يخرج الروم فى جبل لبنان ويردهم إلى بلد الروم " ، وعلى هذا فإن المنبجى يعتبر الجراجمة فى لبنان من الروم . كما أنه يكتفى بالإشاره إلى أقتسام المسلمين والبيزنطيين جزيره قبرص [1] ، ولم يقرن بهذا الإقتسام كل من أرمينيه وأيبيريا حسبما أشارت بعض المصادر البيزنطيه .

أما المؤرخ الأرمينى جيوفوند Ghevond فيشير إلى أن أقتسام أرمينيه كان من بين بنود المعاهدة بين عبد الملك بن مروان ، والإمبراطور جستنيان الثانى عام ٦٨٩ م / ٦٨ - ٦٩هـ[2]

وفى ضوء العرض السابق للرويات العربية وغير العربية عن المعاهدات بين المسلمين والبيزنطيين فى عهد عبد الملك بن مروان نلحظ أن الروايات العربية حددت تاريخ هذه المعاهدات فيما بين عامى ٦٦ - ٧٠ هـ / ٦٨٥ - ٦٩٠ م ، كما حددتها الروايات غير العربية فى الفتره نفسها . كما نلحظ أن الروايات غير العربية أشارت إلى أن عبد الملك عقد معاهدتين مع البيزنطيين : الأولى عام ٦٨٥ م / ٦٥ - ٦٦ هـ ، والثانية فيما بين عامى ٦٨٥- ٦٩٠ م / ٦٥ - ٦٦ هـ ، بينما تعددت الروايات العربية فى هذا الشأن .

وإذا أنتقلنا من التعميم إلى التخصيص ، فى محاوله لمقارنة هذه الروايات بعضها ببعض. نجد أن ثمة تشابه بين الرواية البيزنطية [3] ، ورواية المجموعة الأولى من المؤرخين

---

(١) المنبجى : المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٢) Ghevond , Histoire des Guerres et des Conquetes des Arabes en Armenie , Tr . G.V. Chahnazarian Paris , 1856 , pp. 65 - 97 .

(٣) انظر ما سبق ص ١٧ - ١٨ .

المسلمين [1] بشأن المعاهده الأولى التى عقدت بين الخليفه الأموى عبد الملك بن مروان ، والإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الرابع فى ٦٨٥ م / ٦٥ - ٦٦ هـ ، على الرغم من أن المصادر البيزنطية قد أغفلت الإشاره إلى أن الإمبراطور قنسطنطين الرابع قد هاجم المصيصة . كما يمكن أن نفسر إشاره السيوطى بأن الإمبراطور قد انتقض ما كان بينه وبين عبد الملك بالهجوم على المصيصة ، بأن المؤرخ السيوطى كان يعنى بهذه الإشاره المعاهدة التى سبق أن عقدها معاوية مع الإمبراطور قنسطنطين الرابع عام ٦٧٨ م / ٥٨ هـ ، والتى كان أمدها ثلاثين عاماً ، وعلى ذلك كانت المعاهدة سارية فى عهد عبد الملك بن مروان ، وإنتقضها الإمبراطور قنسطنطين الرابع عندما هاجم المصيصة . فاضطر عبد الملك إلى عقد المعاهده معه ليتفرغ لمواجهه ابن الزبير .

ويشير ثيوفانيس إلى أن المعاهده التى عقدت بين عبد الملك والإمبراطور قنسطنطين الرابع كانت بمثابة تجديد للمعاهده التى سبق أن عقدها الأخير مع معاوية وبالبنود نفسها . ولكن إذا أمعنا النظر فى بنود المعاهدة التى عقدها عبد الملك – حسبما أوردتها المصادر البيزنطية [2] – نجد أن الأختلاف واضح للغايه بين بنود المعاهدتين [3] . مما يجعلنا نستنتج أن عبد الملك عقد مع الإمبراطور قنسطنطين الرابع معاهده أخرى ، ولها بنود مختلفة عن معاهده معاوية مع البيزنطيين .

أما عن تاريخ هذه المعاهده ، فتتفق روايه المجموعة الأولى من المصادر العربية على أنه كان بعد مقتل عبيد الله بن زياد [4] ، وكان مقتل ابن زياد حسبما اشار خليفه بن خياط فى عام ٦٦ هـ / ٦٨٥ - ٦٨٦ هـ [5] ، ويرى ثيوفانيس أنها كانت فيما بين عامى ٦٨٤ -

---

(١) انظر ما سبق ص ١٢ - ١٣ .

(٢) انظر ما سبق ، ص ١٧ .

(٣) عن المعاهده بين معاويه والإمبراطور قنسطنطين الرابع انظر ما سبق ص٤ .

(٤) انظرما سبق ، ص ١٧ - ١٨ .

(٥) خليفه بن خياط : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

٦٨٥ م [١] / ٦٥ - ٦٦ هـ ، ويشير جنزيوس إلى أنها فى ٧ يوليو عام ٦٨٥ [٢] / ٢٨ ذى القعده عام ٦٥ هـ ، وعلى هذا تكون بدايه الفتره التى حددها ثيوفانيس ، والتاريخ الذى أورده جنزيوس قبل مقتل ابن زياد ، وليس بعده حسبما أشارت المصادر الأسلاميه . ويجب أن نلاحظ أيضا أن هذه المعاهدة كانت بين عبد الملك بن مروان والإمبراطور قنسطنطين الرابع كما أشارت إلى ذلك الرواية البيزنطية ، ومن المسلم به أن يكون عقد هذه المعاهدة بعد تولى عبد الملك الحكم فى رمضان عام ٦٥ هـ . أبريل عام ٦٨٥ [٣] ، وقبل وفاه الإمبراطور قنسطنطين الرابع فى سبتمبر عام ٦٨٥ م / صفر عام ٦٦ هـ [٤] وعلى هذا يمكن القول أن تاريخ هذه المعاهدة كان فى الفتره بين أبريل وسبتمبر ٦٨٥ م / (رمضان عام ٦٥ - صفر عام ٦٦ هـ) ولما كان هذا التحديد يتفق مع التاريخ الذى اشارت إليه روايه المجموعة الأولى من المصادر العربية . نرى أن الروايتين البيزنطية والعربية قد إتفقتا حول تاريخ هذه المعاهده . أما عن أسباب هذه المعاهدة وبنودها ، والشخصية التى عقد معها عبد الملك هذه الأتفاقية وأمدها ، فنلاحظ :

أولاً : فيما يتعلق بأسباب هذه المعاهدة اتفقت المصادر البيزنطية على أن هجوم المرده على لبنان كان من أهم الأسباب التى دفعت عبد الملك إلى عقد هذه الهدنه مع الإمبراطور قنسطنطين [٥] بينما تشير رواية المجموعة الأولى [٦] من المصادر العربية إلى أن هجوم الإمبراطور على المصيصة كان هو الدافع لعقد المعاهدة . واتفقت روايه المجموعة الثانية من المصادر العربيه مع الرواية البيزنطية فى أن هجوم الجراجمه على لبنان هو الذى دفع عبد الملك إلى مصالحتهم .

---

(١) انظر ما سبق ، ص ١٧ .

(٢) انظر ما سبق ، ص ١٧ .

(٣) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

(٤) Hamartolus , op . cit ., Col . 898 .

(٥) انظر ما سبق ص ، ١٧ .

(٦) انظر ما سبق ، ص ١٣ .

ثانيا : أوجزت المصادر البيزنطية بنود هذه المعاهدة ، إذ تعهد الإمبراطور البيزنطى بايقاف هجمات المرده على لبنان ، وهى إشاره واضحه إلى أن الإمبراطور كان هو المحرض على تلك الهجمات . مقابل أن يدفع عبد الملك ثلاثمائه وخمس وستين الف نوميسماتا ، ويرسل ثلاثمائه وخمسه وستين حصاناً أصيلاً ، ويطلق سراح ثلاثمائه وخمس وستين أسيراً بينزنطياً كل عام . وهكذا إذا جرى تقسيم ماتعهد بإرساله عبد الملك على أيام السنه لكان الناتج الف نوميسماتا ، وحصانا ، وأسيراً كل يوم .

واذا أمعنا النظر فى هذا الناتج ، نجد أنه يتفق مع ما جاء فى البنود التى أشارت إليها بعض المصادر البيزنطية عندما تحدثت عن المعاهده التى عقدها فيما بعد عبد الملك بن مروان مع جستنيان الثانى [١] ، وهذا يعنى بعباره واضحه أن المصادر البيزنطية أشارت إلى البنود نفسها فى المعاهدتين ، فأشارت إلى أنها تدفع كل عام فى المعاهده الأولى ، وكل يوم فى المعاهده الثانيه .

وفى الوقت نفسه نجد هذا التكرار فى روايات المصادر العربية . فتشير روايه المجموعة الثانية إلى أن عبد الملك صالح الجراجمة فيما بين عامى ٦٩ - ٧٠ هـ / ٦٨٨ - ٦٩٠ م على أن يدفع لهم كل جمعه ألف دينار [٢] ، وفى الوقت نفسه تشير رواية المجموعة الثالثة من المصادر العربية إلى أن عبد الملك صالح الإمبراطور البيزنطى عام ٧٠هـ / ٦٨٩ - ٦٩٠ م على أن يدفع للبيزنطيين فى كل جمعه الف دينار [٣] .

هذا التكرار هو الذى جعل كل من جنزيوس وابن العبرى يتأرجحان فى الإشاره إلى هذه البنود ، فذكرا أنها تدفع " كل يوم أو كل جمعه " [٤] .

---

(١) أنظر ما سبق ، ص ١٧ - ١٨ .

(٢) أنظر ما سبق ، ص ١٣ .

(٣) أنظر ما سبق ، ١٤ .

(٤) المنبجى : المصدر السابق ؛ ص ٧٨ .

ولقد حسم المنبجى الأختلاف بين الرواية العربية ، والرواية البيزنطية عندما أشار إلى أن بنود المعاهدة التى عقدها عبد الملك مع جستنيان الثانى كانت " تدفع كل يوم عوضا عن إخراج الروم الذين كانوا فى جبل لبنان " (١) .

ونميل إلى ترجيح رواية المنبجى ، لأن إجلاء الجراجمه من المناطق التى عاشوا فيها فتره طويله (٢) ، ونقلهم بكل أمتعتهم إلى مناطق أخرى كان يحتاج إلى أموال كثيره تعهد بدفعها عبد الملك حتى يكسر شوكتهم ، ويهدم هذا السور النحاسى ، حسبما أشار المؤرخ ثيوفانيس (٣) .

وفى ضوء ما سبق نرى أن رواية المجموعة الثانية من المصادر العربية هى أقرب إلى الحقيقه ، وهى التى أشارت إلى أن ما تعهد به عبد الملك طبقا لشروط المعاهده التى عقدها مع البيزنطيين - عام ٦٥٨ م / ٦٦ هـ - كانت تدفع كل جمعه .

ونرجع أيضا أن هذه البنود كانت تنص على أن يدفع الف دينار رومى للبيزنطيين ، ويرسل حصانا أصيلاً لهم ، ويطلق سراح أسير واحد من البيزنطيين .

ثالثاً : تتفق روايه المجموعة الأولى من المصادر العربية مع الرواية البيزنطية فى أن عبد الملك قد صالح الإمبراطور البيزنطى عام ٦٦ هـ / ٦٨٥ هـ . فى الوقت الذى اشارت فيه رواية المجموعة الثانية من المصادر العربية إلى أن الصلح كان مع الروم والجراجمه فى لبنان ، ولا يمثل ذلك أختلافا جوهرياً مع رواية المجموعة الأولى طالما أن الإمبراطور هو المحرض الأساسى للروم والجراجمه فى لبنان كما سبق أن أشرنا .

رابعاً : لم تشر المصادر العربيه إلى أمد المعاهده التى عقدها عبد الملك مع الإمبراطور قنسطنطين الرابع عام ٦٨٥ م / ٦٧٦ هـ . بينما أشار المؤرخ جنزيوس إلى أن أمدها كان ثلاث

---

(١) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(٢) Theophanes , op . cit ., p . 62 .

سنوات [١] ، ويرى المؤرخ ميخائيل السريانى [٢] أنها كانت لمده عشر سنوات . ولا نرى أن هذا يمثل أختلافا كبيراً أيضا ، فربما كان أمد المعاهده عشر سنوات ولكن الإمبراطور نقضها بعد مرور ثلاث سنوات من توقيعها .

وهكذا ، يمكن القول أن ثمه تشابة بين الرواية البيزنطية وكل من روايه المجموعة الأولى والمجموعة الثانية من المصادر العربيه بشأن المعاهده التى عقدت بين عبد الملك بن مروان والإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الرابع عام ٦٨٥ م / ٦٦ هـ .

أما عن المعاهده التى عقدها عبد الملك بن مروان والإمبراطور جستنيان الثانى ، فقد أختلفت الروايات حول تاريخها ، فيشير كل من كدرينوس زوناراس إلى أنها كانت فى عام ٦٨٥ م / ٦٥ - ٦٦ ، ويذكر ثيوفانيس أنها كانت فيما بين عامى ٦٨٦ - ٦٨٧ م / ٦٧- ٦٨ هـ ، ويرى ميخائيل السريانى أنها عقدت فى عام ٦٨٧ م / ٦٧ - ٦٨ هـ ، بينما أشار كل من جنزيوس ونقفور إلى أنها كانت فى عام ٦٨٨ م / ٦٨ - ٦٩ هـ ، ويرى جيوفوند أنها فى عام ٦٨٩ م / ٦٩ - ٧٠ هـ ، ويشير كل من البلاذرى ، والطبرى ، وابن الاثير ، وابن العبرى إلى أنها جرت فى عام ٧٠ هـ / ٦٨٠ - ٦٩٠ م ، أما ليو جراماتيكوس ومونا خوس وبولس الشماس والمنبجى فقد أشاروا إلى هذه المعاهده دون تحديد تاريخ لها .

ويمكن أن نستبعد رأى كل من كدرينوس وزوناراس لأنهما يتفقان مع تاريخ المعاهده التى سبقت الإشاره إليها بين عبد الملك والإمبراطور قنسطنطين الرابع . ونلحظ من روايه ثيوفانيس أن الاتفاق النهائى وبدايه تنفيذ المعاهده كان فى العام التالى لأرسال عبد الملك الرسل إلى الإمبراطور البيزنطى للتشاور على عقد أتفاقيه السلام بينهما [٣] . ونلحظ أيضا أن هناك تشابه بين الروايه الأرمينية لجيوفوند ، والسريانية لابن العبرى ، والعربية للبلاذرى ، والطبرى،

---

(١) Genesus , op . cit ., Col . 31 .

(٢) Michel le Syrien , op . cit ., Vol . 11 , p. 469 .

(٣) Theophanes , op . cit ., pp. 61 - 62 .

وابن الاثير فى تحديد عام ٦٨٩ م / ٧٠ هـ وإذا أعتبرنا أن هذا العام يمثل تاريخ الاتفاق النهائى على هذه المعاهده ، فيكون العام السابق - حسبما أشار ثيوفانيس - هو العام الذى بدأ فيه الرسل فى التفاوض بشأن المعاهده ، ونضم بالتالى رأى كل من جنزيوس ونقفور إلى اتفاق هؤلاء المؤرخين .

وعلى هذا يمكن القول أن عبد الملك بن مروان أرسل سفاره إلى الإمبراطور البيزنطى جستنيان الثانى للتفاوض على عقد الصلح بينهما فى أواخر عام ٦٨٨ م / أوائل عام ٦٩ هـ ، وأن الجانبين تبادلاً أرسال السفراء ، وأستمرت المفاوضات إلى أن تم توقيع المعاهده بينهما فى منتصف ٦٨٩ م / أوائل عام ٧٠ هـ .

أما عن بنود تلك المعاهده ، وحسبما اتفقت المصادر غير العربيه ، فتنحصر فى أن يدفع عبد الملك للبيزنطيين الف دينار رومى ، ويرسل إليهم حصانا أصيلاً ، ويطلق سراح أسير منهم كل يوم ، ويقتسم الجانبان الأسلامى والبيزنطى الضرائب التى تجبى من قبرص وأرمينيه وأيبيريا ، على أن يقوم الإمبراطور البيزنطى بترحيل الجراجمه من الشام إلى الأراضى البيزنطيه ، وأن يكون أمد هذه المعاهده عشر سنوات .

ونستنتج من العرض السابق ، أن المسلمين عقدوا مع البيزنطيين خمس معاهدات سلام فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى / الثلث الثانى من القرن الأول الهجرى ، عقد معاويه منها ثلاث معاهدات : الأولى مع الإمبراطور قنسطانز الثانى عام ٦٥١ م / ٣١ هـ، وكان معاويه والياً على الشام حينذاك ، والثانية مع الإمبراطور نفسه فى عام ٦٥٦ م / ٣٦هـ اثناء النزاع على بن ابى طالب ، والثالثة مع الإمبراطور قنسطنطين الرابع فى عام ٦٧٨ م / ٥٨ هـ ، بعد أن صارت له الخلافه . أما عبد الملك بن مروان فقد عقد معاهدتين مع البيزنطيين الأولى عام ٦٨٥ م / ٦٦ هـ مع الإمبراطور قنسطنطين الرابع ، والثانية عام ٦٨٩ م / ٧٠ هـ مع الإمبراطور جستنيان الثانى .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً . المصادر العربية والمعربه

ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) عز الدين ابو الحسن على بن ابى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى :

" الكامل فى التاريخ) ٩ج ، بيروت ١٩٧٩ م .

ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ - ٨٤٥ م) محمد بن سعد بن منيع الزهرى كاتب الواقدى :

" الطبقات الكبرى " ٨ج ، بيروت ١٩٥٧ م .

ابن سلام (ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ ، ٨٣٩ م) ابو عبيد القاسم :

" الأموال " مصر (د. ت) .

ابن الطقطقى (ت ٧٠٩ هـ / ١٣١٠ - ١٣١١ م) محمد بن على بن طباطبا :

" الفخرى فى الآداب السلطانية " مصر (د . ت) .

ابن العبرى (ت ٦٨٥ م / ١٢٨٦ م) ابو الفرج غريغوريوس بن أهرون الطيب :

" تاريخ مختصر الدول " بيروت (د . ت) .

ابن العماد (ت ١٠٨٩ / ١٦٧٩ م) ابو الفلاح عبد الحى بن على بن محمد :

" شذرات الذهب فى أخبار من ذهب " ٨ج ، بيروت (د . ت) .

ابن عبد ربه (ت ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م) ابو عمر أحمد بن محمد القرطبى الأندلسى :

" العقد الفريد " ١٦ج + فهرس ، بيروت ١٩٥٣ - ١٩٦٢ .

ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) ابو محمد بن عبد الله بن مسلم

" الأمامه والسياسة ٢ج (فى مجلد احد) ، مصر ١٩٠٤ م .

" عيون الأخبار " ٢ج ، القاهرة ١٩٢٥ .

ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) عماد الدين ابو الفد اسماعيل بن عمر :

" البداية والنهاية " ١٣ج ، بيرت ١٩٧٤م .

البلاذری (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ابو الحسن احمد بن ريحيى بن جابر البغدادی :

" أنساب الأشراف " تحقيق د . أحسان عباس ، بيروت ١٩٧٩ م

" فتوح البلدان " ليدن ١٨٦٦ م .

الحميری (ت أواخر القرن التاسع الهجری / أو اخر القن الخامس عشر الميلادی) ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم :

" كتاب الروض المعطار فی خبر الأقطار " تحقيق د . أحسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ م .

خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) ابو عمرو خليفة بن خياط بن ابی هبيره العصفری :

" تاريخ خليفة بن خياط " تحقيق د . أكرم ضياء العمری ، الرياضی ١٩٨٥ م .

الدينوری (ت ٨٨٢ هـ / ١٨٩٥ م) ابو حنيفه احمد بن داود :

" كتاب الأخبار الطوال " بغداد ١٩٥٩ م .

السيوطی (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) جلال الدين عبد الرحمن بن ابی بكر :

" تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين " تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٥ م .

الشيبانی (ت ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ - ١٠٩٧ م) محمد بن الحسن الشيبانی :

" شرح كتاب السير الكبير " تحقيق عبد العزيز احمد ، القاهرة ١٩٧٢ م .

الطبری (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ابو جعفر محمد بن جرير :

" تاريخ الأمم والملوك " ١٠ج ، بيروت ١٩٧٩ م .

الكندی (ت ٣٥٠ م / ٩٦١ م) ابو عمر محمد بن يوسف المصری :

" كتاب الولاة وكتاب القضاة" بيروت ١٩٠٨ م .

المسعودى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) ابى الحسن على بن الحسين بن على :

" مروج الذهب ومعادن الجوهر " ٤ ج ، بيروت ١٩٨٣ م .

المنبجى (عاش فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) أغابيوس بن قسطنطين المنبجى :

" المنتخب من تاريخ المنبجى " انتخبه وحققه أ . د عمر عبد السلام تدمرى ، بيروت ١٩٨٦ م .

النويرى (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب :

" نهاية الأرب فى فنون الآدب " ٢٧ج ، القاهرة ١٩٧٥ - ١٩٧٦ م .

اليعقوبى (ت بعد عام ٢٩٢ هـ / بعد عام ٩٠٤ م) أحمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب لمعروف بابن واضح الكاتب :

" تاريخ اليعقوبى " ٣ج ، النجف ١٣٥٨ هـ .

ثانيا : المصادر الأجنبية

Cedrenus , G., Historiarum Compendium , Ed . Migne Patrologia Graeca , Tome Cxxl - Cxx11, Paris 1964 - 1894 .

Genesius , J. Historia De Rebus Constantinopolitanis , Ed. Migne Patrologia Graeca ,. Tome Clx , Paris , 1963 .

Georgius Monachus Hamartolus , Chronicon , Ed.Migne Patrologia Graeca ,Tome Cx , Paris , 1863 .

Ghevond , Histoire des Guerres et des Conquetes des Arabes en Armenie , Tr. G.V. Chahnazarian , Paris , 1856 .

Leo Grammaticus , Chronographia ; Ed . Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae , Bonn , 1892 .

Michel le Syrien , Chronique , Texet Syriaque et Trad . Fr . Par Chabot , 4vols , Paris , 1899 .

Nicephrus Patriarchae , Breviarum Historicum , Ed . Migne Patrologia Graeca , Tome C, Paris , 1860 .

Paul the Deacon , History of the Lombards , Tr . By , W.D. Faulke , Phhaldelphia , 1907 .

Sebeos , Histoire d'Heraclius , Trad . F. par, F. Macler, Paris , 1904 .

Theophanes , The Chronicle of Theophanes , (A.D. 602 - 813) Tr. by, H. Turthedove, U.S.A., Pensylvania , 1982 .

Zoharas , J., Epitome Historriarum , Ed . M.Pender, 3 Vols , Bonne , 1841 - 1892 .

ثالثا ، المُراجع العربية

فتحى عثمان (دكتوز) :

" الحدود الاسلامية البيزنطية بين الأحتكاك الحربى والأتصال الحضارى " ٢ج ، القاهرة ١٩٦٦ .

عبد المنعم ماجد (دكتور) :

" التاريخ السياسى للدولة العربية " ، ٢ج ، القاهرة ١٩٧٩ م

محمود سعيد عمران (دكتور) :

" ادارة الإمبراطوريه البيزنطية " بيروت ، ١٩٨٠ م .

وسام عبد العزيز فرج (دكتور) :

" العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن السابع الميلادى " الاسكندرية ، ١٩٨١ م .

رابعاً ، المراجع الأجنبية

Lot, F. L'art Militaire et les Armees , Paris , 1946 .

Ostrogorsky , G., History of the Byzantin State , Tr., J.Hussey , Oxford , 1956 .

Vasiliev , A.A., History of the Byzantine Empire (324 - 1453) , 2 Vols , Madisom , 1958 - 196 .

الفصل الثالث

دراسة

الصراع على عرش مملكة بيت المقدس، ومقتل كونراد دي مونتفرات

(١١٨٨-١١٩٢م/٥٨٤-٥٨٨هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

يعتبر النزاع على تاج مملكة بيت المقدس الصليبية من أهم القضايا التى شغلت الرأى العام الصليبى فى المشرق الأسلامى خلال الفترة الممتدة من عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ حتى عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ.

بدأ هذا النزاع بالتنافس بين إثنين من زعماء الصليبين وهما جاى دى لوزجنان Guy de Lusignan ملك بيت المقدس (الأسمى)، والمركيز كونراد دى مونتفرات Conrad de Montferrat حاكم مدينة صور، ثم مالبث أن إتسعت دائرته، وإنغمس فيه بعض طوائف الصليبيين من ملوك ونبلاء وجماعات تجارية وأخرى رهبانية عسكرية وأصبح يشغل حيزاً كبيراً فى السياسة الصليبية فى بلاد الشام مما كان له أكبر الأثر على الصراع الصليبى الأسلامى خلال هذه الفترة.

ومما يدعو للدهشة، أنه عندما بدأ هذا الصراع لم تكن مملكة بيت المقدس تخضع للسيادة الصليبية، بعد أن أنكسرت شوكة الفرنج فى معركة حطين عام ١١٨٧م-٥٨٣هـ وضاعت هيبتهم، وتمزقت أوصال المملكة، ونجح المسلمون فى استعادة معظم إراضيها[١] وقد اهتمت المصادر الأسلامية والغربية بهذا الصراع، وتتبعت مراحلة منذ بدايته حتى مقتل كونراد، فمن المؤرخين المسلمين الذين أشاروا إلى هذا النزاع: عماد الدين الكاتب[٢]، وابن

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى، ٢ ج، القاهرة ١٩٦٣، ص٨٠٩-٨٢٣؛ ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة د. السيد الباز العرينى، ٣ج، بيروت ١٩٦٧-١٩٦٩، جـ٣، ص٧٣٩-٧٥٤.

(٢) عماد الدين الكاتب : الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح، القاهرة ١٩٦٥م، ص ٢٨٩-٥٩٠.

الأثير[١]، وابن شداد[٢]، وأبو شامة[٣]، وابن واصل[٤]، وأبو الفدا[٥]. ومن ناحية أخرى اهتم المؤرخون الغربيون بهذه القضية أيضاً منهم: صاحب كتاب تاريخ هرقل[٦] وارنول[٧]، وجوفرى دى فينسوف[٨]، وإمبرواز[٩]، وامادى[١٠]، ورروجر الهوفدنى[١١]، ومتى الوستمنسترى[١٢]، ورالف[١٣].

---

(١) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، ٩ج، بيروت ١٩٧٨م، جـ٩، ص١٨٧-٢١٩.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية (سيرة صلاح الدين) تحقيق د.جمال الدين الشيال، الاسكندرية ١٩٦٤، ص ٩٨-٣٨٢.

(٣) أبو شامه: كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٢ج فى مجلد واحد، القاهرة ١٢٨٧-١١٢٨هـ، ص١٨٣-١٩٦.

(٤) أبن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق وتعليق د.جمال الدين الشيال، ٣ج، القاهرة ١٩٥٧، جـ٢، ص٢٨٤-٣٨٢.

(٥) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ٤ ج فى مجلدين، بيروت (د.ت)، جـ٣، ص٨٢.

(٦) Eracles, L'Estoire d'Eracles Empereur et de Conquest de la Terre d' Outre mer, cf, R.H.C, H. Occ., Tom. II, Paris, 1839, pp. 124-324.

(٧) Ernoul, Chronique d' Ernoul et de Bernard le Trésorier, ed. M. L. de Mas Latrie, Paris, 1871, pp. 240-291.

(٨) Geffrey de Vinsauf, Itinerary of Richard I and Others to the Holy Land, cf C.C., London, 1848, pp. 234-282.

(٩) Ambroise B., The Crusade of Richard Lion-Heart, ed.J.L. La Monte, New York, 1941, pp. 334-338.

(١٠) Amadi, Chronicles d' Amadi et de Strambaldi, ed M. L. de Mas Latrie, 2 vols, Paris, 1891-1893, pp. 36-39.

(١١) Roger de Hoveden Annals, 2 Vol, London, 1853., Vol II, pp. 174-812.

(١٢) Matthew of Westminster, the Flowers of History, 2 Vols., London, 1853, Vol. II, p. 83.

(١٣) Ralph Diceto, Ymagins Historiarum, ed. W. Stubbs, 2 Vols, London, 1876, Vol II, pp. 104, 127-128.

وقبل أن نمضى فى الحديث عن جذور النزاع الصليبى على عرش مملكة بيت المقدس[1]، يجب الاشارة فى هذا الأمر إلى نجاح المركيز كونراد دى مونتفرات فى الدفاع عن مدينة صور، والحيلولة دون سقوطها فى أيدى صلاح الدين بعد معركة حطين[2]، مما أعطى لهذا الرجل شهرة بين الصليبيين ووضعة ضمن عظماء الصليبيين وقادتهم الكبار فى تلك المرحلة الحرجة من تاريخ الصليبيين فى المشرق الأسلامى.

وبعد أن تم إطلاق سراح جاى دى لوزجنان، حاول أن يجمع شتات مملكته السابقة فتوجة إلى مدينة صور، على أمل أن تصبح مركزاً لحكمه، بيد أن كونراد رفض أن يسلمها له، وثار الجدل بينهما حول أحقية كل منهما فى حكم المدينة، وإتفق الجانبان على إرجاء الفصل بينهما إلى حين وصول الحشود الصليبية المرتقبة بقيادة الملك الانجليزى ريتشارد الأول Richard I (١١٨٩-١١٩٩هـ/٥٨٥-٥٩٦هـ)، والملك الفرنسى فيليب أوغسطس Philip Auguste[3] (١١٨٠-١٢٢٣م/٥٧٦-٦٢٠هـ) فبدأ النزاع بين الرجلين ولهذا توجه جاى دى لوزجنان إلى مدينة عكا لإستعادتها من أيدى المسلمين[4].

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : سعيد عاشور : المرجع السابق، جـ٢ ، ص٧٩٢-٧٩٦؛ ستيفن رنسيمان: المرجع السابق، جـ٢ ، ص٧٠٩-٧٢٦.

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق، جـ٩، ص١٨٧؛ ابن شداد : المصدر السابق، ص١٣٦؛ وأيضا : Eracles, op. cit., pp. 240-244; Ernoul, op. cit., p. 244.

(٣) عماد الدين الكاتب: المصدر السابق، ص٢٨٩؛ ابن شداد : المصدر السابق، ص٩٨؛ أبو شامه: المصدر السابق، جـ٢ ، ص١٤٠؛ ابن واصل : المصدر السابق، جـ٢ ، ص٢٨٤؛ وايضا : Ernoul, op. cit., p. 256; Eracles, op. cit., vol. I, p. 21; Vinsaut; op.cit., p. 103.

(٤) عماد الدين الكاتب: المصدر السابق، ص٢٨٩، ٢٩٦؛ ابن الاثير: المصدر السابق، جـ٩، ص١٩٩ ، ابن واصل : المصدر السابق، جـ٢، ص٢٨٨؛ وايضا : Eracles, op. cit., pp. 124-125; Vinsauf, op. cit., p. 104; Ernoul, op. cit., p. 257, Ambrceis, op. cit., pp. 129-130.

وأثناء حصار الصليبيين لمدينة عكا الأسلامية ماتت الملكة سيبيلا Sybilla زوجه جاى دى لوزجنان فى عام ١١٩٠م/٥٨٦هـ، ففقد جاى الشرعية لحمل تاج مملكة بيت المقدس (الإسمية).

إذا أصبحت الأميرة إيزابيل Isabel الوريثة الشرعية لأختها الملكة سيبيلا واغتنم خصوم جاى هذه الفرصة، وأوعزوا لكونراد بضرورة الزواج من الأميرة إيزابيل على الرغم من أنها كانت زوجة لهمفرى Humphrey حاكم تبنين، ونجح أنصار كونراد فى إتمام طلاق إيزابيل من همفرى، وتزويجها له، مما دعم موقف المركيز فى المناداة بعرش المملكة[١].

وكاد هذا الأمر أن يحدث إنشقاقاً خطيراً فى صفوف الصليبين[٢]، إذ رفضت جماعة الفرسان الداوية هذه الزيجة، وأيدت الملك الأسبق جاى، بينما ساند غالبية الأمراء الصليبين مطالب كونراد[٣]. ولم ينقذ الموقف سوى وصول كل من الملك الفرنسى فيليب فى إبريل عام ١١٩١م / ربيع الأول ٥٨٧هـ. والملك الانجليزى ريتشارد الأول فى يونية / جمادى الأول[٤] من العام نفسه إلى المعسكر الصليبى أمام مدينة عكا.

(١) عماد الدين الكاتب : المصدر السابق، ص٤٩٤؛ وايضا :

Ambrioise, op. cit., p. 177; Ernoul, op. cit., pp. 267-268; Eracles, op. cit., pp. 151-153; Amadi, op. cit., vol. I, 26; Vinsauf, op. cit., p. 292.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، جـ٢، ص٨٦٣.

(٣) Amadi, op. cit., vol. I, p. 27; Eracles, op. cit., p. 154.

(٤) عماد الدين الكاتب : المصدر السابق، ص٤٧٤، ٤٨٤؛ ابن الاثير: المصدر السابق، جـ٩، ص٢١٣؛ ابن شداد : المصدر السابق، ص١٦١؛ أبو شامه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٨٣؛ ابن واصل : المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٥٠ وايضا :

Ernoul, op. cit., pp. 273-274; Ernacles, op. cit., p. 169; Ambroise, op. cit., p. 191, 193; Amadi, op. cit., vol. I, p. 26; Vinsauf, op. cit., p. 220.

ورغم وصول العاهلين الفرنسى والانجليزى إلا أن المشاحنات الحزبية بين أنصار كل من جاى وكونراد ظلت مستمرة، وزاد الموقف تعقيداً عندما أيد الملك الفرنسى مطالب ابن عمه كونراد فى الإرتقاء إلى عرش المملكة، بينما تبنى الملك الانجليزى مطالب جاى دى لوزجنان. كما شاركت الجاليات التجارية الإيطالية فى هذا النزاع، وإنضم البيازنة إلى حزب جاى، بينما إنحاز الجنوية إلى حزب كونراد[١]. ويشير امبرواز إلى أن المركيز غادر المعسكر الصليبى أمام مدينة عكا، ورحل إلى مدينة صور بعدما شعر بعدم قدرته على تأمين حياته[٢]، ويتفق المؤرخ ابن شداد مع امبرواز فيما يتعلق برحيل كونراد إلى صور، ويحددة بيوم الاثنين ٢٩ جمادى الأول عام ٥٧٨ هـ/ ٢٤ يونية عام ١١٩١م، ويعلل ابن شداد سبب رحيله بأنه استشعر مؤامرة تدبر ضده للقبض عليه، ومنح مدينة صور للملك الأسبق جاى دى لوز جنان وأنه عندما أيقن تحقيق المؤامرة، أسرع بالهروب إلى مدينة صور[٣].

أما عن رواية عماد الدين الكاتب، فعلى الرغم من أنها تتفق مع ما ذكره ابن شداد فى أن رحيل كونراد إلى مدينة صور كان يوم الاثنين سلخ جمادى الأولى، إلا أنها تختلف عنها فيما يختص بالدافع الذى أدى إلى مغادرة كونراد للمعسكر الصليبى. إذ يشير عماد الدين الكاتب أن سبب هروبه إلى صور إنما يرجع إلى زواجة من إيزابيل بعد إرغام زوجها همفرى على أن يطلقها حتى تقوى دعواه بأحقيته فى عرش المملكة، لاسيما بعد وفاة الملكة سيبيلا زوجة جاى دى لوزجنان، ثم يضيف عماد الدين الكاتب أن كلاً من همفرى وجاى انتهزا فرصة وصول الملك الانجليزى ريتشارد، وتظلما له، فخاف كونراد وشعر بالخطر، فإصطحب زوجته وتوجه إلى مدينة صور[٤].

(١) Ambroise, op. cit., p. 211; Roger de Hoveden, op. cit., vol. II, p. 174; Amadi, op. cit., vol. I, p. 27; Ambroise, op. cit., p. 133.

(٢) Ambroise, op. cit., p. 180.

(٣) ابن شداد: المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٤) عماد الدين الكاتب : المصدر السابق، ص ٤٤٩.

هذا عن الروايات التى دارت حول رحيل كونراد دى مونتفرات إلى مدينة صور قبيل إستيلاء الصليبيين على مدينة عكا الأسلامية، ونلاحظ أنها أجمعت على حالة القلق التى انتابتة قبيل رحيلة، مما أستوجب منه قدراً من الحيطة والحذر بعد أن أصبحت المخاطر تحيط به، فالتمس النجاة، وسعى من فوره إلى مغادة المعسكر الصليبى ومعه زوجته إيزابيل، وتوجه إلى مدينة صور.

كما تبين هذه الروايات أن العلاقة بين كونراد وجاى قد تأزمت وانتقلت من مرحلة التنافس والصراع على تاج المملكة إلى المرحلة التى أصبحت فيها حياته مهددة بالخطر، وعلى هذا يمكن القول أن بدايات قضية مقتل كونراد دى مونتفرات حدثت فى هذا التاريخ أى فى الفترة التى حاصر فيها الصليبيون مدينة عكا لاعادتها إلى السيادة الصليبية وخلال تجمع الصليبيين أمام عكا فى تلك الظروف.

ومهما يكن من أمر، فقد شعر الصليبيون أمام مدينة عكا بالحزن لرحيل كونراد، مما دفع العاهلين الانجليزى والفرنسى إلى إرسال مبعوثين إلى مدينة صور لتهدئة روعه كونراد وإزالة مخاوفة وإقناعة بالعودة للأنضمام إلى جانب الصليبيين أمام عكا.

ويبدو أن المبعوثين قد نجحوا فى هذه المهمه فعاد المركيز إلى المعسكر الصليبى، ولعب دوراً بارزاً فى التفاوض مع الحامية الأسلامية فى مدينة عكا[1]، مما كان له أكبر الأثر فى استسلام المدينة للصليبيين يوم الجمعة ١٢ يوليو عام ١١٩١م/ ١٧ جمادى الآخرة عام ٥٨٧هـ.

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذا الدور انظر : عماد الدين الكاتب: المصدر السابق، ص٥١٢-٥١٣؛ ابن الاثير: المصدر السابق، جـ٩، ص ٢١٤؛ ابن شداد : المصدر السابق، ص١٧٠-١٧١؛ أبو شامه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٨٤--١٩٠؛ ابن واصل: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٥٩-٣٦٠؛ وايضا :

Eracles, op. cit., p. 177; Ernoul, op. cit., p. 274; Ambroise, op. cit., p. 217; Amadi, op. cit., vol. I, pp. 29-30; Vinsauf, op. cit., pp. 214-215; Roger de Hoevden, op. cit., vol. II, p. 206.

وبعد دخول الصليبيين مدينة عكا، شرعوا فى البحث عن تسوية للنزاع حول عرش مملكة بيت المقدس، وبعد سلسلة من المشاورات إتفق زعماء الفرنج على أن يظل جاى ملكاً (إسمياً) على مملكة بيت المقدس طوال حياته. ثم ينتقل تاج المملكة بعد وفاته إلى كونراد وإيزابيل وسلالتهما، ويظل كونراد خلال هذه الفترة حاكماً لمدينة صور بالإضافة إلى مدينتى بيروت وصيدا(١).

وإذا نظرنا إلى هذا الإتفاق بعين الاعتبار نجد أن بنوده تدعو إلى الدهشة والتعجب. لأنه لم يبق للصليبيين فى هذه الفترة من مملكة بيت المقدس السابقة سوى مدينتى صور وعكا، وطبقاً لبنود هذا الاتفاق يكون جاى دى لوزجنان ملكاً على مدينة عكا فقط، بعد ما ظلت صور فى حوزه كونراد هذا من جهة، ومن جهة أخرى كيف يوافق القادة الصليبيون على منح بيروت وصيدا لكونراد وهما تحت السيادة الأسلامية وقتذاك؟

ولانجد تفسيراً لهذا سوى أن الزعماء الصليبيين شعروا بالتفاؤل بعدما دخلوا مدينة عكا وظنوا أنهم أصبحوا قادرين على استعادة أراضى مملكة بيت المقدس السابق من المسلمين، فقاموا بتقسيمها على كل من جاى وكونراد قبل أن تصبح فى حوزتهم فعلاً.

على أية حال يبدو أن هذا الإتفاق لم يحقق كل مطامع كونراد، فاستغل رغبه الملك الفرنسى فيليب أوغسطس فى العودة إلى بلادة، فغادر معه مدينة عكا فى أواخر يوليو ١١٩١م/ أوائل رجب ٥٨٧هـ، وتوجها إلى مدينة صور استعداداً لرحيل فيليب إلى فرنسا(٢).

(١) Eracles, op. cit., pp. 179-180; Ambroise, op. cit., pp. 210-211; Vinsauf, op. cit., p. 217; Roger de Hoveden, op. cit., vol. II, p. 174; Amadi, op. cit., vol. I, p. 30.

(٢) عماد الدين الكاتب : المصدر السابق، ص ٥٢٦-٥٢٧؛ ابن الاثير: المصدر السابق، جـ٩، ص٢١٦؛ وايضا :
Eracles, op. cit., p. 181; Ambroise, op. cit., p. 224; Vinsauf, op cit., pp. 219-220; Ernoul, op. cit., p. 288; Amadi, op. cit., vol. I, p. 31.

وقد أثار رحيل كونراد غضب الملك الانجليزى ريتشارد، فارسل إليه المبعوثين تباعاً لإقناعة بالعودة إلى مشاركة الصليبيين فى محاربة المسلمين، ولكن كونراد لم يعر هذه النداءات أى إهتمام[1].

وينفرد المؤرخ ابن الاثير برواية يعلل بها سبب مغادرة كونراد مدينة عكا ورحيله إلى صور فى هذه الفترة، فيشير إلى أنه شعر من ملك انجلترا الغدر فهرب إلى مدينة صور، وظل بها يوجة النقد اللاذع للملك ريتشارد لأنه ترك صلاح الدين يخرب مدينة عسقلان[2].

ولم نجد فى المصادر الأخرى ما يؤكد رواية ابن الأثير، وكل ما نستطيع أن نستشفه منها عن العلاقة بين كونراد والملك الانجليزى ريتشارد أن هذه العلاقة أخذت تتحول يوما بعد يوم من سئ إلى أسوء[3]، وأنه عندما علم بأنباء المفاوضات بين الملك ريتشارد وصلاح الدين أسرع هو الآخر وأرسل رينالد Renauld الذى كان حاكماً على صيدا من قبل إلى المعسكر الأسلامى ليعبر لصلاح الدين عن رغبة كونراد فى مصالحة المسلمين مقابل إعطائه صيدا وبيروت وإعادتهما لسيادة كونراد، وتعهد كونراد لصلاح الدين أيضا بأنه يجاهر الفرنج بالعدواة. وأن يقصد عكا ويحاصرها ويأخذها منهم وإشترط كونراد لتحقيق ذلك أن يحلف صلاح الدين له اليمين للوفاء بما إتفق عليه من شروط، فلماسمع صلاح الدين بمطالب كونراد، أرسل إليه رسولاً فى رمضان ٥٨٧هـ/ سبتمبر ١١٩١م يشترط عليه أن يبدأ بمحاصرة الصليبين فى عكا،

---

(١) Ambroise, op. cit., pp. 225-226; Ernoul, op. cit., p. 289; Eracles, op. cit., p. 182; Vinsauf, op. cit., pp. 221-222.

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق، جـ ٩، ص ٢١٦.

(٣) عن العلاقات بين ريتشارد وكونراد انظر :-
Ambroise, op. cit., pp. 227, 315, 319, 329; Vinsauf, op. cit., pp. 252, 264-268.

ويأخذها منهم، ويطلق سراح من بها ومن بمدينة صورا أيضا من أسرى المسلمين، وعندئذ يسلم له صلاح الدين صيدا و بيروت[١].

ولما علم الملك ريتشارد بانباء هذه المفاوضات عاد مسرعاً إلى مدينة عكا ليتفقد أحوالها، ويطمئن على سير الأمور بها وزيادة تحصينها فلما تم له ذلك، حاول أن يثنى كونراد عن المضى فى مفاوضاته مع صلاح الدين، وينبذ الخلاف مع الصليبين وينضم إليهم فى محاربة المسلمين، ولكنه لم يجد الاستجابة من كونراد فقد ظلت المفاوضات بين المركيز[٢] وصلاح الدين مستمره ويبدو أن كلا الجانبين تمسك بموقفه. إذ رفض صلاح الدين أن يمنحه مدينتى صيدا وبيروت إلا بعد مجاهرته للصليبين بالعداء، بينما أرسل كونراد رسوله رينالد مراراً إلى صلاح الدين لمحاولة زحزحته عن موقفه لكن العاهل الأسلامى ظل مصراً على موقفه[٣].

وفى شوال عام ٥٨٨هـ/ يناير ١١٩٢م عقد صلاح الدين مجلساً ضم أكابر الأمراء وأرباب المشورة من المسلمين ليقرروا مع أى جانب من الفرنج تمضى المفاوضات، فاستقر الرأى على استمرار المحادثات مع الملك ريتشارد.

وعلى الرغم من أن صلاح الدين إستجاب لرأى مستشاريه، ومضى فى مفاوضاته مع ريتشارد إلا أنه لم يغلق باب المحادثات تماما مع كونراد، ولعل هذا مرجعة خبرة صلاح الدين وبعد نظرة، إذ رأى أنه فى استمرار مخاصمة كونراد للفرنج مصلحة للمسلمين من جهة، ومن جهة أخرى فان استمرار المحادثات

---

(١) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٩٠؛ ابو شامه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٩١-١٩٢؛ ابن واصل: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٧٢؛ وايضا :

Ambroise, op. cit., pp. 331-332; Vinsauf, op. cit., p. 268.

(٢) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٩٩؛ ابو شامه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٩٢-١٩٣، وأيضا:

Ambroise, op. cit., p. 331.

(٣) ابن شداد : المصدر السابق، ص ١٩٩، وايضا:

Ambroise, op. cit., p. 331.

مع كونراد يؤدى إلى جعل الملك، ريتشارد[1] يبدى بعض المرونة فى مفاوضاته مع المسلمين، ولذلك استقبل صلاح الدين غلاماً لرينالد صاحب صيدا يدعى يوسف على أنه رسول من كونراد يلتمس الصلح مع المسلمين، فاشترط عليه صلاح الدين أن يقاتل كونراد بنى جنسه من الفرنج، وما يستولى عليه من المدن الصليبية بمفردة بعد الصلح مع المسلمين يكون له، وما يسترده المسلمون بانفرادهم يكون لهم.

أما المدن التى يدخلها صلاح الدين وكونراد معاً فتكون المدينة لكونراد، بيما يكون لصلاح الدين الأموال والأسرى من المسلمين. كما اشترط عليه صلاح الدين أن يطلق سراح كافة الأسرى المسلمين عنده أولاً، وبذلك يؤكد رغبته فى مصالحة المسلمين. ولما كان صلاح الدين بعيد النظر، وتحسباً لما قد يحدث على مسرح الأحداث بين المسلمين والصليبين، فقد اشترط على كونراد أنه إذا تصالح الملك ريتشارد معه، ومنحه الملك بعض المدن عندئذ يكون الصلح بين كونراد والمسلمين وفقاً لما تستقر عليه المفاوضات والصلح بين المسلمين والملك ريتشارد فيما عدا مدينة عسقلان. وعاد يوسف إلى مدينة صور يحمل لكونراد هذه المقترحات[2].

وعندما سمع الملك ريتشارد عن المفاوضات بين كونراد وصلاح الدين، أسرع فى فبراير ١١٩٢م/ المحرم ٥٨٨هـ. ليطالب المركيز بالمشاركة فيما يجرى فى مدينة عسقلان من أعمال بيد أن كونراد رفض مغادرة مدينة صور ولم يستجب لنداء الملك.

ويبدو أن كونراد أراد أن يحقق بعض ما إلتزم به من شروط صلاح الدين، فأوعز لانصاره من الجنوية وبعض الجند الفرنسيين فى عكا بمحاولة

---

(١) ابن شداد: المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(٢) ابن شداد : المصدر السابق، ص ٢٠٦.

الاستيلاء على المدينة وتسليمها إليه وعندما شرع الجنوية في تنفيذ هذا المخطط، تصدى لهم البيازنة، ودارت الحرب بين الجاليتين التجاريتين في شوارع عكا وانتهت بنجاح البيازنة في السيطرة على المدينة. وبذلك فشلت محاولة كونراد في السيطرة على عكا وبالتالي في إرضاء صلاح الدين[1]. وجدير بالملاحظة أن جاى دى لوزجنان كان قد ترك المعسكر الصليبي في عسقلان قبيل هذه الحرب، وتوجد إلى مدينة يافا يرافقه بعض فرسان الداوية[2]، ولما سمع بأنباء هذه الحرب عاد مسرعاً إلى المدينة، حيث رفض البيازنة تسليمها له، وأرسلوا إلى الملك الانجليزى ريتشارد يناشدونه سرعة المجئ إلى عكا، فاسرع ريتشارد بالرحيل إلى المدينة، وبعد أن أعاد إليها الأستقرار، أرسل سفارة إلى كونراد ليلتقي به عند قرية ايمبرت Ymbric بالقرب من مدينة صور. وفي خلال الحديث الذى دار بينهما حاول ريتشارد بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى أن يجعل كونراد يتراجع عن موقفة وينبذ الفرقة وينضم إلى الجيش الصليبي ولكن لم يجد سوى اصرار كونراد على موقفه، فتوجه ريتشارد إلى مدينة عكا[3] في أواخر فبراير ١١٩٢م/ أواخر صفر ٥٨٨هـ دون أن يحسم الأمر مع كونراد.

ونظراً لفشل محاولة كونراد في الاستيلاء على مدينة عكا، فكر كونراد من جديد في مراسلة صلاح الدين في محاولة للتودد وتجديد المصالحة فبعث رسوله يوسف إلى المعسكر الأسلامى في يوم الثلاثاء ٢١ إبريل ١١٩٢م/ ٦ربيع الآخر ٥٨٨هـ، يبدى رغبته في تجديد الصلح مع المسلمين، ويبدى لصلاح الدين عدم استطاعته تنفيذ الشروط التى اتفق عليها من قبل، نظراً لأن كونراد كان يضع كل الآمال على الجند الفرنسيين، ولكنهم غادروا الشام إلى

---

(١) Ambroise, op. cit., p. 315; Vinsauf, op. cit., pp. 264-266.

(٢) Ambroise, op. cit., p. 305; Vinsauf, op. cit., p. 298.

(٣) Ambroise, op. cit., pp. 315-317; Vinsauf, op. cit., pp. 266-267.

الغرب الأوروبى ولذلك لم يعد فى استطاعته تنفيذ هذه الشروط، وأن المسلمين إذا لم يسرعوا بمصالحته فهذا يعنى غلق باب المفاوضات تماما معه. فلما سمع صلاح الدين هذا الحديث مال إلى مصالحته، وأرسل سفارة توجهت إلى مدينة صور بعد صلاة الجمعة ٩ ربيع الآخر ٥٨٨هـ/ ٢٤ أبريل ١١٩٢م للتشاور فى هذا الأمر.

وفى الوقت نفسه كان الملك ريتشارد قد تلقى ما يفيد سوء الأحوال فى انجلترا، واضطراب الأمور هناك مما يتطلب سرعة العودة إلى الوطن. لذلك دعا إلى عقد مجلس فى مدينة عكا حضره معظم النبلاء والفرسان الصليبيين، وفيه أعرب الملك عن رغبته الملحة فى الرحيل إلى انجلترا وأنه لابد من حسم مشكلة الصراع على تاج المملكة، وعرض على المجتمعين حرية اختيار واحد من ا لمتنافسين إما جاى دى لوزجنان أو كونراد دى مونتفرات ليتوج على عرش المملكة. فاختارت الأغلبية كونراد لهذا المنصب ووافق الملك على هذا الإختيار.

وأرسل ابن أخته هنرى كونت شامبنى Henery of Champagne إلى مدينة صور، ليخبر كونراد بما تم الإتفاق عليه ثم رحل الملك إلى المعسكر الصليبى فى مدينه عسقلان(١).

ومالبث هنرى دى شامبنى مبعوث الملك ريتشارد أن وصل إلى مدينة صور فى ٢٠ إبريل ١١٩٢م/ ٥ ربيع الآخر ٥٨٨هـ أى قبل يوم واحد من وصول رسول كونراد إلى معسكر صلاح الدين، وإلتقى هنرى بكونراد، ونقل إليه بشارة اختياره ملكا(٢)، فتهلل كونراد بالفرح ووافق على التوجه إلى مدينة

---

(١) Ambroise, op. cit., pp. 328-330; Vinsauf, op. cit., pp. 273-274.

(٢) Ambroise, op. cit., p. 330, Vinsauf, op. cit., pp. 274-275.

عكا بعد بضعة أيام ليتوج بها ملكاً ثم توجه هنرى إلى مدينه عكا وظل بها بعض الوقت، ثم رحل منها إلى مدينة عسقلان لمقابلة الملك ريتشارد يوم الثلاثاء ٢٨ إبريل ١١٩٢م/ ١٣ ربيع الآخر ٥٨٨هـ، وفى طريقة إلى هناك بلغة مقتل كونراد دى مونتفرات، فعاد هنرى مسرعاً إلى مدينة صور[١].

أما قضية مقتل كونراد فقد تناولتها المصادر العربية والغربية[٢] ونلاحظ أنها أجمعت على أن اثنين من جماعة الباطنية هما اللذان قاما بقتل المركيز بأمر من قائدهم شيخ الجبل سنان[٣].

ونظراً لهذا الإجماع من المؤرخين يصبح أمامنا احتمالين لا ثالث لهما: إما أن يكون سنان قد أصدر أوامره لاتباعة بدافع الإنتقام الشخصى، وإما أن يكون قد أصدر أوامره بتحريض من شخص آخر.

وإذا تناولنا الاحتمال الأول : نجد أن المؤرخ إرنول يعتقد أن سنان أراد أن ينتقم من كونراد لأنه إعتدى على سفينة تجارية تابعة لجماعة الباطنية وسلبها، ثم تجاهل مطالب سنان بتعويضه عن ما سلبه فى هذه السفينة، لذلك صمم سنان على قتله[٤]، ولكن هذه الرواية نقلها إنول عن خطاب مزعوم، يقال أن سنان قد أرسله فى سبتمبر عام ١١٩٣م/ رمضان عام ٥٨٩هـ إلى ليوبولد Leopold دوق النمسا يروى له قصة استيلاء كونراد على هذه السفينة[٥].

---

(١) Ernoul, op. cit., p. 291.

(٢) عن هذا المصادر انظر ما سبق ص ٢-٣.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذه الجماعة ومبادئها وعلاقاتها بالفرنج انظر :
Hellert, Histore de l' Ordre des Assassins, Paris, 1833, pp. 1-50.

(٤) Ernould, op. cit., pp. 288-289.

(٥) Ralph Diceto, op. cit., vol. II, pp. 127-128.

وإذا ناقشنا تفاصيل هذه الرواية نجد أنها مرفوضة من حيث الشكل والموضوع إذ لم يكن لجماعة الباطنية أى نشاط بحرى تجارى حتى يمتلكوا سفينة تجارية[١]، كما أن المناطق الجبلية التى عاش فيها أفراد هذه الجماعة كانت بعيدة عن البحر، ولم يكن لهم ميناء لترسو به هذه السفينة[٢].

بالإضافة إلى ذلك فان سنان كان قد توفى فى عام ١١٩٢م/ ٥٨٨هـ أى قبل عام من تاريخ كتابه هذا الخطاب[٣].

وفى ضوء ما سبق لم يبق أمامنا سوى الاحتمال الثانى وهو أن يكون مقدم الباطنية قد أصدر أوامرة بتحريض من آخر، فاذا صدقنا هذا الاحتمال يواجهنا تساؤل هام آخر وهو من الذى قام بتحريض سنان على قتل كونراد؟

ونظراً لأن التحريض من الأمور الخفية التى يصعب إثباتها فقد إختلفت وجهات النظر بين المؤرخين حول تحديد المحرض على قتل المركيز، إذ يوجه المؤرخ ابن الاثير الأتهام لصلاح الدين، ويرى أنه هو الذى راسل مقدم الاسماعيلية سنان لقتل الملك الانجليزى ريتشارد أوكونراد[٤].

بيد أن ما ذكره ابن الاثير لايستحق أن يقف عنده الباحثون طويلاً، وروايتة لايعتد بها كثيراً لأنها تنطوى على كراهية لشخص صلاح الدين وتطفح بالحقد عليه فضلاً عن أننا نعى تماماً أنه لم يكن هناك وداً وصفاء بين صلاح الدين وجماعة الباطنية بما يشجعه على أن يطلب منهم الإقدام على هذا الأمر، بالإضافة إلى أن لم يكن فى مصلحة صلاح الدين قتل أى من

---

(١) Hodgson, M.G., The Order of Assassins, Gravenhage, 1955, p. 207.

(٢) Bernard, L., The Ismailles and the Assassins, Philadelphia, 1955, pp. 99, 132.

(٣) Hodgson, op. cit., pp. 206-207.

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق، جـ٩، ص ٢١٩.

الملك ريتشارد أو كونراد، لان مفاوضاته مع كل منهما كانت لاتزال تبشر بالتقدم الذى يقضى إلى الأتفاق، فضلاً عن أن شخصية صلاح الدين وفروسيته ونقاءه تنفى عنههذه التهمة وتجعلها بعيدة الاحتمال[١]، على الرغم من أن صلاح الدين لم يسلم حينئذ من كراهية وتحامل ابن الاثير ولومه ومحاولة إلصاق تهمة سيئة به.

وتخالف المصادر العربية المصادر الغربية فيما يختص باعتراف أحد القاتلين من الباطنية بعد إلقاء القبض عليه، فتشير المصادر العربية إلى أنه اعترف أن من أرسلهما هو الملك ريتشارد[٢]، بينما تشير المصادر الغربية أنه أقر بأن الذى أرسلهما هو قائدهم سنان[٣].

وفى ضوء ما أشارت إليه المصادر العربية يصبح ريتشارد فى نظراً المؤرخين المسلمين هو المحرض على قتل كونراد، على الرغم من أن هذا الإتهام تؤيده بعض الآراء والأحداث وتنقيه أخرى فمن الأولى نشير إلى الإتهام الذى وجهة الإمبراطور هنرى السادس Henery VI للملك ريتشارد بعد عودته من الشام، بأنه كان المحرض على قتل كونراد[٤]، ومن الثانية هناك من الأحداث ما يجعل ريتشارد بعيداً عن هذا الإتهام. إذ أنه وافق على اختيار كونراد ملكاً قبيل مصرعة[٥] بأيام قليلة، حتى لو كانت هذه الموافقة نزولاً على رأى أغلب

---

(١) Saunders, J., Aspects of the Crusades, University of Canterbury, 1962, p. 27.

(٢) عماد الدين الكاتب: المصدر السابق، ص٥٨٩؛ ابن شداد: المصدر السابق، ٣٨١-٣٨٢؛ ابو شامه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٩٦.

(٣) Eracles, op. cit., pp. 192-193; Ernoul, op. cit., p. 289; Ambroise, op. cit., 335; Vinsauf, op. cit., p. 277; Roger de Hoveden, op. cit., vol. II, p. 716; Amadi, op. cit., vol. I, pp. 36-37.

(٤) Matthew of Westminster, op. cit., vol. II, pp. 83-84

(٥) انظر ما سبق، ص ١٨.

الأمراء الصليبين، لأن شخصية ريتشارد الحازقة وقوته كانت تمكنه من رفض هذا الاختيار أو على الأقل تأجيل البت في هذا الأمر حتى يتم إغتيال كونراد لو أننا جارينا أولئك الذين اتهموا ريتشارد بالتآمر لأغتيال كونراد[١] كما أن بونيفاس Boniface شقيق كونراد لم يظهر العداوة لريتشارد بعد عودته إلى انجلترا بها، وظل يعمل فى خدمته[٢]. ولعل ذلك يؤكد أن ريتشارد بعيداً كل البعد عن هذه المؤامرة بريئاً من مرتكبيها.

ونظراً لتارجح الروايات بين مؤيدة ومعارضة فاننا لانستطيع أن نجزم بأن ريتشارد كان المحرض على قتل كونراد. ولكن ما من شك فى أن السبب الأساسى لمقتل كونراد يرجع إلى مشكلة الصراع على تاج مملكة بيت المقدس والتنافس حول عرشها، وعلى ذلك يمكن أن نتكهن بان ثمة شخصيات أخرى كان لها مصلحة مباشرة فيما حدث ولذلك لعبت دوراً هاماً فى مقتل كونراد حاكم صور الذى اختير ملكاً لمملكة بيت المقدس فى عكا.

ويعتبر الملك جاى دى لوزجنان وانصاره من الداوية على رأس هؤلاء الأفراد ممن لهم مصلحة حقيقية فى قتل كونراد، بل أن جاى هذا يعد من الشخصيات التى حامت حولها الشبهات بقوة وأشارات إليه أصابع الاتهام، فلابد وأن شعر بأنه كان يواجه خصماً عنيداً ونداً قوياً لان كونراد لم يظهر له مودة بل ظل يتطلع بقوة لعرش المملكة فلم يحد جاى بدأ من أن يوصى لأنصاره من الداوية بالتخلص من كونراد خاصة لما لهم من نفوذ لدى جماعة الباطنية يمكنهم من أن يطلبوا منهم تنفيذ هذه المؤامرة[٣].

---

(١) Cartellieri A., Richard Löwenherz im Heliligen Lande, Zeitschrilt, 1908, p. 20.

(٢) Vinsauf, op. cit., p. VIII in introduction.

(٣) عن هذا النفوذ انظر :

Joinvile, J., Histoire de Saint Louis, ed. N. de Wally, Paris, 1368, p. 248.

ولابد وأن الداوية شرعوا فى تنفيذ مطالب جاى منذ أن رحلوا من المعسكر الصليبى أمام عسقلان فى نهاية عام ١١٩١م/ نهاية عام ٥٨٧هـ بصحبة جاى متوجهين إلى مدينة يافا [١] لأن المصادر تشير إلى أن القائلين ظلا يعملان فى خدمته بضعة شهور[٢] قبل أن يقوما بقتله.

كما يبدو أن اختيار زعماء الصليبين كونراد ليصلح ملكاً على بيت المقدس هو الذى جعل جاى يعجل بتنفيذ مخططة على أمل أن يزيح كونراد من طريقة ليعاد إنتخابه ملكاً على بيت المقدس ولكن الرياح سارت على غيرما يشتهى إذ أصبح هنرى شامبنى بعد مقتل كونراد هو الملك على مملكة بيت المقدس الاسمية.

ويمكن أن نضيف إلى قائمة الشخصيات المشتبه فيها شخصية أخرى ونعنى بها هنرى كونت شامبنى الذى يبدو أنه كان على علم بتفاصيل المؤامرة قبل حدوثها، وإلا كيف علم بأنباء مقتل كونراد وهو يغادر مدينه عكا متوجهاً إلى مدينة عسقلان لأن سرعان ما حول وجهته وسار إلى مدينة صور ودخلها بعد مقتل كونراد بوقت قصير[٣]، وحتى لو افترضنا حسن الظن بهنرى وأنه غير وجهته تجاه صور عندما قابل الرسول الذى أرسله أهل صور ليخبر الملك ريتشارد بأنباء مقتل كونراد، وعلم بهذا النبأ، لكن ألم يكن من الواجب أن يترك الرسول يكمل مسيرته إلى المعسكر الصليبى فى عسقلان ليخبر الملك بما جرى من أحداث.

---

(١) انظر ماسبق ص ١٦.

(٢) عماد الدين الكاتب؛ المصدر السابق، ص٥٨٩؛ ابن الاثير: المصدر، جـ٩، ص٢١٩؛ ابو شامه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٩٦؛ ابن واصل: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٨١؛ وايضا :
Eracles, op. cit., p. 192; Ernaoul, op. cit., pp. 289-290; Ambroise, op. cit., p. 335; Vainsauf, op. cit., p. 277.

(٣) Ernoul, op. cit., p. 291

الواقع أن المؤرخين امبرواز وجوفرى فينسوف اللذين كانا وقتئذاك يرافقان الملك ريتشارد فى عسقلان يشيران إلى أن الأنباء التى جاءتهم من صور بمقتل كونراد إقترنت بخبر دخول هنرى مدينة صور، وإعلان خطبته للأميرة إيزابيل زوجه كونراد السابقة(١)، مما يثير انتباه الباحث ويدفع بظلال من الشك حول هنرى دى شامبنى.

لأن الإشارة السابقة تدل على أن هنرى توجة إلى مدينة صور وأعلن خطبته للأميرة إيزابيل دون أن يستشير الملك ريتشارد فى هذه الأمور. كما أنه بعد أن تم تتويجه ملكاً على مملكة بيت المقدس الاسمية قام بزيارة عام ١١٩٤م/ ٥٩٠هـ لجماعة الباطنية فى قلعة الكهف(٢) بجبال النصيريه فى الشام، بدلاً من محاربتهم لقيامهم بقتل كونراد، بل عقد معهم محالفة(٣) تعهد بموجبها الباطنية باغتيال كل من يشير إليه هنرى من خصومة(٤) وهكذا أعاد هنرى مرة أخرى علاقة الصداقة بين الصليبين وجماعة الباطنية(٥).

كما يمكن أن نضم أيضاً الأميرة إيزابيل إلى قائمة المتهمين بقتل كونراد. فقد أسرعت هى الأخرى بعد مصرع زوجها بأغلاق أبواب المدينة، ولم تسلم مفاتيحها إلا للأمير هنرى كونت شامبنى رغم أنه وقتئذاك لم يحمل أيه توصيات من الملك ريتشارد، كما أنها وافقت على خطبتها وزواجها من هنرى ولما يمضى على مصرع زوجها سوى أسبوع واحد(٦)، ولم تكن

---

(١) Ambroise op. cit., pp. 338-339; Vinsauf, op. cit., 272

(٢) Eracles, op. cit., p. 216; Ernoul, op. cit., p. 323

(٣) Grousset, R., Histoire des Croisades et du royaue France de Jerusalem, 3 vols, Paris, 1934-1936, Vol. III, p. 135.

(٤) Eracles, op. cit., p. 231; Ernoul, op. cit., pp. 323-324.

(٥) Cahen, C., La Syrie du Nord, Paris, 1940, p. 585

(٦) Eracles, op. cit., p. 195; Ernoul, op. cit., p. 291; Ambroise, op. cit., pp 342-344; Vinsauf, op. cit., p. 282.

وضعت حملها بعد من زوجها السابق كونراد[1] كأنما تريد أن تنتقم من المركيز حتى بعد وفاته، وتعيد إلى الأذهان كيف أن كونراد تزوجها وهى حامل من زوجها الأسبق هنرى.

وأيما كانت الحقيقة فى هذه القضية فان أصابع الإتهام أشارت إلى شخصيات متعددة كان لها مصلحة ملحة فى قتل كونراد أولهم جاى دى لوزجنان وثانيهم هنرى دى شامبنى وأخرهم إيزابيلا زوجه الملك المقتول، ولم يحسم المؤرخون حتى الأن هذه القضية ولم يجزموا أى هؤلاء هو قاتل أو المحرض على قتل كونراد دى مونتفرات.

(١) عماد الدين الكاتب: المصدر السابق، ص٥٩٠؛ ابن الاثير: المصدر السابق، جـ٩، ص٢١٩؛ ابن واصل: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٨٢.

قائمة بأسماء المصادر والمراجع

أولاً المختصرات الواردة في حواشي البحث

R.H.C., H. Occ. : Recuiel des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux.

C.C. : Chronicles of the Crusades, London, 1848.

ثانياً : المصادر الاجنبية :

Amadi, Chroniques d' Amadi et de Strambaldi, ed. M.L.. de Mas la Trie, R. 2 vols, paris, 1891-1893.

Ambroise, The Crusades of Richard Lion-Heart, ed. J.L. La Monte, New York, 1941.

Eracles, L'Estoire d' Eracles Empereur et de conquest de la terre d' Outre mer, of R.H.C., H. Occ. T. II, Paris, pp. 1-481.

Ernoul, Chronique d' Ernoul et de Bernard la Trésorier, ed. M.L. de Mas La Trie. Paris, 1871.

Joinville, J., Histoire de Saint Louis, ed. N. de Wailly, Paris, 1868.

Matthew of Westminster, The Flowers of History, 2 vols, London, 1853.

Ralph Diceto, Ymagins Historiarum, ed., W.Stubbs, 2 vols, London, 1876.

Roger de Hoveden, Annals, 2 vols, London, 1853.

Yinsauf, G., Itinerary of Richard I, and others, London, 1848.

ثالثا : المصادر العربية :

ابن الاثير : (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ابو الحسن بن أبى الكرم الملقب عز الدين : «الكامل فى التاريخ» ٩ ج، بيروت ١٩٧٨م.

ابن شداد : (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) بهاء الدين ابو المحاس يوسف بن رافع بن تميم: «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية (سيرة صلاح الدين)، تحقيق د. جمال الدين الشيال، الاسكندرية ١٩٦٤.

ابو شامه : (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن: «كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٢ ج فى مجلد واحد ، القاهرة ١٢٨٧-١٢٢٨هـ.

ابو الفدا : (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) اسماعيل على محمود الملك المؤيد صاحب حماه :
«المختصر فى أخبار البشر» ٤ ج فى مجلدين، بيروت (د.ت).

ابن واصل : (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) جمال الدين ابو عبد الله محمد بن سليم:
«مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب» تحقيق د. جمال الدين الشيال، ٣ ج، القاهرة ١٩٥٣م.

عماد الدين الكاتب (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) عماد الدين محمد بن محمد بن أبوبكر :
«الفتح القسى فى الفتح القدسى» تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح، القاهرة ١٩٦٥.

رابعاً : المراجع الاجنبية :

Berbard, L., The Ismailles and the Assassins, Philadelphia, 1955.

Cahen, C., La Syrie de Nord, Paris, 1940.

Cartellieri, A., Richard Löwenhers im Helilgen Land, Zeitshrilt, , 1908.

Grousset, R., Histoire des Croisades et du royaume France de Jerusalem, 3 vols, Paris, 1934-1936.

Hellert, J., Histoire de L' Ordre de Assassins, Paris, 1833.

Hodgson, M.G., The Order of Assassins, Gravenhage, 1955.

Saunders, J., Aspects of the Crusades, University of Canterbury, 1962.

خامساً : المراجع العربية والمعربة :

ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة د. السيد الباز العريني، ٣ ج، بيروت ١٩٦٧-١٩٦٩م.

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : «الحركة الصليبية صفحة مشرفه فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى»، ٢ ج، القاهرة ١٩٦٣ م.

الفصل الرابع

مدينـــــة مرعـــش

ودورها فى الصراع الاسلامى الصليبى

(١١٠٤-١١٧٢م / ٤٩٧-٥٦٨ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

حظيت دراسة تاريخ المدن الإسلامية فى منطقة الشرق الأدنى الاسلامى ودورها فى الصراع الإسلامى الصليبى ، والذى عرف اصطلاحا باسم «الحركة الصليبية » ، حظيت باهتمام كثير من الباحثين فى السنوات القلائل الماضية ، وتمشيا مع هذا الاتجاه وقع اختيارنا لموضوع هذا البحث المعنون « مدينة مرعش ودورها فى الصراع الإسلامى الصليبى (١١٠٤ ــ ١١٧٢ / ٥٩٧ ــ ٥٦٨ هـ) » ، نظرا لأهمية موقع تلك المدينة فى شمال الشام وعلى أطراف آسيا الصغرى ، ولهذا تصارع على السيطرة عليها إبان الفترة الزمنية موضوع البحث حكام عدة يمثلون قوى مختلفة من نورمانيين ولاتينيين وسلاجقة ، بالاضافة إلى محاولات الأرمن والبيزنطيين لفرض نفوذهم عليها .

وقد وضعنا التحديد الزمنى لموضوع البحث فى الفترة الممتدة بين عامي ١١٠٤ ــ ١١٧٢ م / ٤٩٧ ــ ٥٦٨ هـ ، وذلك لأن التاريخ الأول يمثل بداية سيطرة الصليبيين على المدينة أما الآخر فيمثل تاريخ استعادة نورالدين محمود لها ، وفيما يلي تلك الفترة أصبح دور المدينة فى الصراع الإسلامى الصليبي محدوداً .

وفى البداية تحدثنا عن موقع المدينة وأهميته ، ثم سطرنا نبذة عن أحوال مرعش منذ الفتح الإسلامى لها فى القرن السابع الميلادى / القرن الأول الهجرى حتى القرن العاشر الميلادى / القرن الرابع الهجرى ، وأعقبنا ذلك بتوضيح أحوال المدينة قبيل مجيء الصليبيين إلى الشرق الأدنى الاسلامى ، ثم ألقينا الضوء على الدور الذى قامت به المدينة ، وأثره فى الصراع الاسلامى الصليبى .

وأرجو من المولى عز وجل أن أكون قد وفقت فى اعداد هذا البحث لما فيه خير لأمتنا العربية وتاريخها المجيد .

والله ولي التوفيق ،،،

د. ابراهيم خميس ابراهيم

تقع مدينة مرعش فى شمال الشام ، ويحدها جبل اللكام من جهة الغرب[1]، وتطل على الطريق المؤدى إلى مدينة حلب ، والثانى المتجه ناحية الجنوب الشرقى إلى مدينة الرها [2] ، والآخر المتجه شمالا إلى مدينة الحدث [3] . ولهذا فهى تقع فى المنطقة التى تفصل بين الشام وبين آسيا الصغرى من جهة ، وبين الشام وأرمينية من جهة أخرى [4] ويتوسطها حصن منيع محاط بسورين [5] وأمامهما خندق [6] .

ولموقع مدينة مرعش أهمية تجارية لكونها تشرف على الطريق البرى المتجه من الشام إلى أراضى آسيا الصغرى ، فضلا عن الأهمية العسكرية لكونها مركزا من المراكز العسكرية الحصينة على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، ولهذا حظيت المدينة باهتمام وعناية الأباطرة البيزنطيين [7] قبل بداية حركة الفتوح الإسلامية الكبرى فى القرن السابع الميلادى .

بعد أن انطلقت حركة الفتوح الإسلامية فى أوائل عهد الخليفة أبى بكر الصديق (١١ ــ ١٣ هـ / ٦٣٢ ــ ٦٣٤ م) نجح المسلمون فى عام ١٥هـ/

---

(١) الحميرى . الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ٥١٠ .

(٢) Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana, in R.H.C.H. Occ. ,Vol., IV, PP. 363 - 364.

(٣) البكرى : معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، ٢ ج ، بيروت (بدون تاريخ) ، جـ ٢ ، ص ١٢١٥ .

(٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٤١ .

(٥) البغدادى : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ٣ ج ، ط ١ ، بيروت ١٩٥٤ ــ ١٩٥٥ جـ ٣ ، ص ١٢٥٩ .

(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٥ ج ، بيروت ١٩٧٧ ، جـ ٥ ، ص١٠٧ .

(٧) Michael The Syrian, Chronique de Michael le Syrin Patriarche Jacobite d'Antioch (1166-1199) éditee en Francais Par J.B. Chabot, 3 Vols. 1905, Vol. II, PP. 425-426.

٦٣٦ م فى فتح مدينة مرعش (١) أثناء عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ — ٢٣ هـ / ٦٣٤ — ٦٤٤ م) ، وذلك عندما أرسل أبو عبيدة عامر بن الجراح وهو بمدينة منبج (٢) خالد ابن الوليد إلى ناحية مرعش ، ففتحها ، وقام باجلاء أهلها (٣) وأخرب حصنها (٤) ، وتنتهى بذلك السيطرة البيزنطية على مدينة مرعش ، وتبدأ المدينة مرحلة جديدة فى ظل الحكم الاسلامى .

ازداد اهتمام السلطات الاسلامية بمدينة مرعش لكونها تقع فى المنطقة المواجهة للحدود البيزنطية ، والتى عرفت بمنطقة الثغور (٥) إذ سكنها جند المسلمين للتصدى لهجمات البيزنطيين وانطلقت منها الجيوش الاسلامية لمهاجمة الأراضى البيزنطية (٦) ، وكان أول من اهتم بتحصين مدينة مرعش من الحكام المسلمين هو الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان (٤١ — ٦٠ هـ / ٦٦١ — ٦٨٠ م) إذ أعاد بناء الحصن الذى سبق أن أخربه خالد بن الوليد ، وأسكنه بعضا من جنده (٧) .

ازدادت غارات البيزنطيين على مدينة مرعش بعد موت الخليفة الأموى يزيد ابن معاوية (٦٠ — ٦٣ هـ / ٦٨٠ — ٦٨٢ م) مما دفع بعض أهلها إلى مغادرتها (٨)، ودفع بالخليفة الأموى مروان بن محمد (٦٤ — ٦٥ هـ / ٦٨٣ — ٦٨٥ هـ) إلى اعادة بناء حصنها (٩)، وأسوارها (١٠)، وكان لتلك

---

(١) Michael The Syrian, op. cit., Vol. I, PP. 426 - 427.

(٢) منبج : مدينة بناحية قنسرين ومن كورها ، وهى مدينة كبيرة عليها سوران وهى من بناء الرومان ، وكان بها قلعة وحصن ، أنظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ١٢ ج ، بيروت ١٩٧٩ م جـ ٢ ، ص٤٩٧ .

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ليدن ١٨٦٦ ، ص ١٨٨ .

(٥) البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٥٩ .

(٦) البلاذرى : نفس الموضع .

(٧) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٤١ .

(٨) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٨٨ . (٩) البغدادى : المصدر السابق ، ص ١٢٥٩ .

(١٠) ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٥ ، ص ١٠٧ .

التحصينات أثر كبير فى جعل المدينة بمنأى عن هجمات البيزنطيين قرابة عشر سنوات . ففى عام ٧٥ هـ / ٦٩٥ م تعرضت المدينة لهجوم البيزنطيين ، فخرجت اليهم القوات الاسلامية بقيادة دينار بن دينار حاكم مدينة قنسرين والتقى الجمعان بالقرب من مرعش ، وانتصر المسلمون ، وطاردوا البيزنطيين إلى داخل أراضيهم [١] ، ويبدو أن البيزنطيين قد أحدثوا خراباً بالمدينة لذلك توجه العباس بن الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦ هـ / ٧٠٥ — ٧١٧ م) إلى مرعش فعمرها وحصنها ونقل إليها بعض الأهالى والجند [٢] ، وفى عام ١١٣ هـ / ٧٣١ م انطلقت القوات الإسلامية بقيادة معاوية بن هشام بن عبد الملك من المدينة للإغارة على أراضى البيزنطيين [٣] .

وفى ضوء ما سبق يتضح أن موقع مدينة مرعش فى منطقة الثغور جعلها تتعرض لهجمات البيزنطيين المتكررة ، أعقبها تخريب لتحصينات المدينة ، واهتمام من قبل السلطات الأموية لإعادة بناء ما خرب فيها ، وبقيت أحوال مدينة مرعش فى ظل الصراع الأموى البيزنطى على هذا المنوال . ففى بداية عهد الخليفة الأموى مروان بن محمد (١٢٧—١٣٢هـ/٧٤٤—٧٥٠م) حاصر البيزنطيون مرعش حتى صالحهم أهلها على الجلاء ، وخرجوا نحو الجزيرة وقنسرين ، وقام البيزنطيون بتخريب المدينة ثم انسحبوا منها . فبعث الخليفة مروان جيشا لاعادة بنائها فبنيت ، وعاد اليها أهلها ، ثم خرج نحوها البيزنطيون مرة أخرى فى أواخر عهد هذا الخليفة الأموى وأخربوها [٤] .

أما فى العصر العباسى فلم يطرأ تغيير على دور المدينة فى ظل الصراع

(١) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٨٨ — ١٨٩ ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمرى ، ٢ ج ، بغداد ١٩٦٧ ، جـ ١ ص ٢٧٠ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ١٣ ج ، بيروت ١٩٧١ ، جـ ٧ ، ص ٢١٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٩١ .

(٢) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٨٩ ، الحميرى : المصدر السابق ص ٥٤١ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٧٦ .

(٤) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٨٩ ، الحميرى : المصدر السابق ص ٥٤١ — ٥٤٢ .

الاسلامى البيزنطى ، إذ استمرت هجمات البيزنطيين عليها ، واستمرت عناية الخلفاء العباسيين باعادة بناء تحصينات المدينة وشحنها بالجند . ففى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦ـ١٥٨ هـ / ٧٥٤ـ٧٧٥م) تم اصلاح ما خربه البيزنطيون ، وزاد عدد سكانها بعد ما أجزل لهم الخليفة المنصور العطاء لتشجيعهم على الاقامة فيها ، أما الحامية فقد زادت أعداد أفرادها فى عهد الخليفة المهدى (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ / ٧٧٥ ـ ٧٨٥ م) [١].

ظلت مدينة مرعش تحت سيادة الحكم الاسلامى حتى القرن العاشر الميلادى/ القرن الرابع الهجرى ، حيث أخذت الخلافة العباسية تنتقل يوما بعد يوم من سيىء إلى أسوأ [٢]، بينما أخذت الامبراطورية البيزنطية فى معالجة شئونها الداخلية والخارجية [٣] وتتجه إلى التوسع على حساب الأراضى الإسلامية فى الشرق [٤]، وفى عام ٩٤٩ م / ٣٣٧ هـ توجه القائد البيزنطى ليوفوقاس Leo Phocas بقواته إلى مرعش واستولى عليها [٥] من الحمدانيين ، وباءت جهود سيف الدولة الحمدانى للتصدى للبيزنطيين ، واستعادة المدينة بالفشل [٦].. وبذلك عادت المدينة إلى الحكم البيزنطى بعد أن ظلت فى حوزة المسلمين قرابة ثلاثة قرون .

اختلف الدور الذى قامت به مدينة مرعش فى ظل الحكم البيزنطى قبيل

---

(١) البلاذرى : نفس الموضع .

(٢) عن بداية سوء تلك الأوضاع راجع : الطبرى : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص٢٠٨ـ٢٥٢.

(٣) Ostrogorowsky, G. : History of the Byzantine state, Tr. by Joan Hussy, Oxford 1956, P. 239.

(٤) Canord, M., Histoire de le Dynastie de Hamdanides de Jazira et de Syrie, Paris, 1953, P. 732.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٤٨٠ .

(٦) Canard, op. cit, PP. 761 - 769; Schlumberger, G., Un Empereur Byzantin au dixième Siècle. Nicephore Phocas, Paris, 1890, PP. 40 - 41.

مجىء الصليبيين إلى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى عن دورها السابق عندما كانت فى حوزة المسلمين ، وذلك بسبب تغير ظروف المنطقة ، فبعد أن كان دورها محصورا فى كونها تقع فى منطقة الثغور على الحدود الإسلامية البيزنطية والتى شهدت منذ الفتح الإسلامى للمنطقة فى القرن السابع الميلادى / القرن الأول الهجرى حتى القرن العاشر الميلادى / القرن الرابع الهجرى اغارات كل من الجانبين على الآخر والتى كان من أثرها تعرض المدينة للتخريب ، واعادة البناء عدة مرات . أما فى آخريات القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر الميلادى / أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجرى أصبحت منطقة الشرق الأدنى الإسلامى ميدانا للصراع بين القوى الإسلامية المختلفة وبعضها البعض من جهة ، وبين القوى الإسلامية وبين البيزنطيين من جهة أخرى ، وكان من الطبيعى أن تنغمس مدينة مرعش فى هذا الصراع بعد أن انتقلت تبعيتها إلى السيادة البيزنطية .

ظهر الأتراك السلاجقة على مسرح الأحداث فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى ، وأخذوا فى توسيع رقعة دولتهم على حساب المسلمين والبيزنطيين فى منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وزاد نفوذهم حتى أصبحوا أوصياء على الخلافة العباسية [١] . وأمام التهديد السلجوقى لممتلكات البيزنطيين فى الشام وقليقية ، خرج الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع Romanus IV (١١٦٨ — ١٠٧١ م / ٤٦١ — ٤٦٣ هـ) بجيشه صوب الحدود الشرقية من الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٦٩ م / ٤٦٢ هـ ، واسترد مدينة منبج [٢] ، ثم توجه إلى مدينة مرعش ، وقام بتعيين أحد القادة الأرمن فى جيشه ويدعى فيلارتيوس براخاميوس [٣] Philaritus Brachamius

(١) عن ظهور الأتراك وتوسعاتهم راجع : الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق — بيروت ١٩٧٨م، ص ٧ — ١١ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٠ .

(٣) يطلق عليه بعض المؤرخين العرب اسم « الفردوس » و « الفلادروس » . انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠، ص ١٣٨ ، ٤٢٧ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، ٣ج ، دمشق ١٩٥١ م ، جـ ٢ ، ص ٨٩ .

حاكما على المدينة [1]

تولى فيلاريتوس حكم مرعش تحت السيادة البيزنطية فى وقت أخذت فيه الامبراطورية البيزنطية تعانى من الضعف ، وتقلص حدودها الشرقية على أيدى السلاجقة ، وتتلقى الضربات المتلاحقة . إذ منيت بهزيمة كبرى على أيدى السلاجقة فى موقعة ملاذكرد عام ١٠٧١ م / ٤٦٣ هـ [2] ، وأما فى الغرب الأوربى فقد استولى النورمان بزعامة روبرت جويسكارد على مدينة بارى التى تعتبر آخر معاقل البيزنطيين فى جنوب ايطاليا [3] .

كان على فلاريتوس فى ضوء المتغيرات الجديدة التى أحاطت بمنطقة الشرق الأدنى الإسلامى ، وبالإمبراطورية البيزنطية أن يحدد علاقته بالبيزنطيين من جهة وبالمسلمين من جهة أخرى . فبالنسبة لموقفه من البيزنطيين ، أظهر فلاريتوس ما يكنه الأرمن من كراهية للبيزنطيين [4] ، ورفض الاعتراف بالإمبراطور البيزنطى ميخائيل دوكاس [5] (١٠٧١—١٠٧٨م / ٤٦٣—٤٧٠ هـ) ، — واستولى على بعض المدن والحصون التى كانت تابعة للبيزنطيين

---

(١) كان فيلارتيوس من بين الأرمن الذين التحقوا بالخدمة فى الجيش البيزنطى وارتقى إلى رتبة قائد منطقة Domestic ، ثم أصبح حاكما على مدينة مرعش . راجع :

Michael the Syrican, op. cit., Vol. III, P. 173; Anna comnena, The Alexiad, English trans. by Elezabeth Dawes, London, 1928, P. 153.

(٢) عن تلك المعركة راجع : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨ ، ص ١٣٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٥ — ٦٧ ؛ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ١٨٥ ؛ الأصفهانى: المصدر السابق ، ص ٣٨ ، وأيضا :

Vasiliev, A., Histoire de L'Empire Byzantin, 2Vols., Paris, 1932, I, PP. 467 - 470; Ostrogorowsky, op. cit., P. 304.

(٣) Vasiliev, op. cit., I, P. 474.

(٤) عن أسباب تلك الكراهية راجع :

Mattieu d'Edesse, Chronique, in R.H.C. - Doc. Arm. Vol. I, PP. 72, 75, 113.

(٥) Anna Comnena, op. cit., PP. 152 - 153; Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, P. 173.

وقتذاك ، ومنها خرتبرت [١] وابلستين [٢] والمصيصة [٣] ورعبان [٤] وطرسوس [٥] وعين زربة [٦] وملطية [٧] والرها فى الفترة فيما بين عامى ١٠٧٧ـــ١٠٧٨م / ٤٦٩ـــ٤٧٠هـ ، كما خضع له كل من الزعيم الأرمينى روبين حاكم المنطقة التى تقع شمال شرق مدينة سيس بجبال طوروس ، وأيضا الزعيم الأرمينى أوشين حاكم مدينة أذنة [٨] ، هذا ، بالإضافة إلى سيطرته على مدينة أنطاكية [٩] ، وبذلك وضع فلاريتوس أساس دولة أرمينية جديدة فى

(١) خرتبرت : حصن يعرف أيضا بحصن زياد ، يقع فى أقصى ديار بكر من بلاد الشام بالقرب من ملطية ويفصل بينهما نهر الفرات : راجع ، ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٢) ابلستين : مدينة فى بلاد الروم تقع بالقرب من مدينة أبسوس ، ويقال أنها مدينة أصحاب الكهف ، راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٧٣ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨ .

(٣) المصيصة : مدينة على شاطىء نهر جيجان فى شمال الشام ، وتقع بالقرب من مدينة طرسوس ، راجع ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٤٤ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٨٠ ؛ البكرى : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ١٢٣٥ .

(٤) رعبان : مدينة فى منطقة الثغور تقع بين مدينتى حلب وسميساط بالقرب من نهر الفرات ، راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٥١ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٢١ .

(٥) طرسوس : مدينة بالثغور الجزرية فى شمال الشام تقع بين أنطاكية وحلب وبالقرب من مدينة أذنة . راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٤ ، ص ٢٨ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٨٢ ؛ البكرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٩٠ .

(٦) عين زربة : بلد فى شمال الشام تقع بالقرب من المصيصة . راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٧٨ ؛ البغدادى : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٩٧٧ .

(٧) ملطية : مدينة بناها الاسكندر ، وجامعها من بناء الصحابة ، وهى من بلاد الروم وتتاخم الشام . راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٩٢ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٠٨ .

(٨) أذنة : بلد من الثغور تقع بالقرب من المصيصة وبينها وبين حمى فيد عشرين ميلا ، راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

(٩) Anna Comnena, op. cit., p. 153; Micheal the Syriean, op. cit., Vol. III, pp. 172 - 173.

جنوب شرق آسيا الصغرى [1] والتساؤلات التى تطرح نفسها هنا تتمثل فى:
هل كان فلاريتوس يهدف من وراء قيامه بتلك الأعمال الاستقلال التام عن الإمبراطورية البيزنطية ؟ وهل كتب لتلك الدولة الأرمينية — وهى فى طور التأسيس — البقاء والاستمرار ؟ .

يتضح من أعمال فلاريتوس السابقة ، والتى تعتبر انعكاسا لكراهية الأرمن للبيزنطيين أن فلاريتوس كان يهدف بالفعل إلى اقامة دولة مستقلة عن الإمبراطورية البيزنطية مستغلا ضعفها من جهة ، والصراع بينها وبين السلاجقة من جهة أخرى ، وحالة الاضطراب التى سادت منطقة الشرق الأدنى الإسلامى وقتذاك من جهة ثالثة ، ولكن تضافرت ضده عدة أسباب أدت فى النهاية إلى فشل مشروعه ، وتتمثل فيما يلى :

أولا : أن فلاريتوس لم يكن محبوبا من رعاياه المسيحيين وأيضا من بعض جنده [2]

ثانيا : أن السلاجقة كانوا لايمكن أن يغضوا البصر عن تلك الامارة الأرمينية التى كانت تعترض طريق توسعهم إلى الشام [3]

ثالثا : أن الامبراطورية البيزنطية — وان كانت تمر بمرحلة الانكماش — إلا أنها لن تتنازل فى سهولة ويسر عن حقها الشرعى فى السيادة على المناطق التى استولى عليها فلاريتوس [4] .

رابعا : مؤامرة ابنه وبعض قادته ضده [5] .

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ٢ ج ، القاهرة ١٩٦٣ ، جـ ١ ، ص ٩٩ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٣٨ ؛ ابن العديم : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٨٧ — ٨٩ .

(٣) عاشور : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٠ .

(٤) Anna Comnena, op. cit., p. 153.

(٥) Micheal the Syrican, op. cit., Vol. III, P. 173.

نتيجة للأسباب السابقة رأى فلاريتوس ضرورة وضع أسس جديدة لسياسته الخارجية تقوم على معاداة البيزنطيين ، وفى الوقت نفسه يعمل على التقرب من الزعماء المسلمين فى المنطقة المحيطة بدولته الناشئة كى يوفر لها سبل البقاء والاستمرار . لذلك أخذ فلاريتوس يتودد للبيزنطيين ، واعترف بالإمبراطور نقفور الثالث Nicephore (١٠٧٨ — ١٠٨١ م / ٤٧١ — ٤٧٤ هـ) ، فأقره الإمبراطور على ما تحت سيطرته من ممتلكات ، كما سارع فلاريتوس بالاعتراف بالامبراطور الكسيس كومنين (١٠٨١ — ١١١٨ م / ٤٧٤ — ٥١٢ هـ) [١] .

أما عن علاقته بالزعماء المسلمين ، فقد أخذ فلاريتوس يتقرب من شرف الدولة مسلم بن عقيل أمير الموصل ، فجعله الأخير يتولى حكم أنطاكية بوصفه نائبا عنه ، ويدفع فى مقابل ذلك أموال الجزية [٢] ، كما قام نائب فلاريتوس فى حكم الرها بنقش السكة باسم أمير الموصل [٣] ، ولم يكتف فلاريتوس بتلك العلاقة مع شرف الدولة مسلم ، إنما سارع إلى عاصمة الخلافة العباسية وأعلن خضوعه وولاءه للخليفة العباسى ، واعتناقه للدين الإسلامى [٤] .

لم تثمر جهود فلاريتوس فى المحافظة على دولته الأرمينية الناشئة ، إذ بدأ عقدها ينفرط فى آخريات حياته . ففى عام ١٠٨٤ م /٤٧٧ هـ استولى سلطان سلاجقة الروم سليمان بن قتلمش (٤٧٤ — ٤٧٩ هـ / ١٠٨١ —١٠٨٦ م) على مدينة أنطاكية ، بعدما كاتبه أبن فلاريتوس وبعض الجند فى المدينة

(١) Anna Comnena, op. cit,, P. 153.

(٢) ابن الأثير المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٣٩ — ١٤٠ ، وأيضا :
Micheal the Syriean. op. cit, Vol. III, P. 173

(٣) ابن الأثير المصدر السابق . جـ ١٠ . ص ١٢٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٩

(٤) ابن الأثير . المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٢٧ وأيضا :
Anna Comnena, Loc. cit. ;
Michel the Syriean, Loc. cit.

يستدعونه لامتلاكها [١] ، كما سيطر القائد السلجوقى محمد بن جبق على قلعة خرتبرت[٢]. وبعد وفاة فلاريتوس فى مدينة مرعش عام ١٠٩٠ م / ٤٨٣ هـ ، تفككت الدولة الأرمينية الناشئة ، إذ سيطر سلاجقة الروم على مدينتى طرسوس [٣]، والرها [٤] ، بينما اقتسم قادة فلاريتوس من الأرمن بقية المدن . فتولى كواسيل حكم مدينة رعبان ، وحصل جبرئيل على ملطية ، أما مرعش فكانت من نصيب القائد ثاتول Thatoul [٥] . وبذلك ينتهى الدور الذى قام به حاكم مدينة مرعش قبيل مجىء الصليبيين إلى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى ، وتمثل فى اقامة دولة أرمينية ، تمزقت بعد وفاته ، واقتسمها بعض قادته من الأرمن الذين مهدوا الطريق للصليبيين على مشارف الشام [٦] .

عندما بدأت الحركة الصليبية ، وسار الصليبيون فى حملتهم المعروفة بالصليبية الأولى فى اتجاه الشرق الأدنى الإسلامى ، واخترقوا سلسلة جبال طوروس ، توجهوا فى ١٣ أكتوبر ١٠٩٧ م / ٢٤ شوال ٣٩١ هـ إلى مدينة مرعش فاستقبلهم حاكمها ثاتول ومن معه من الأرمن بالمودة والترحاب ، وقدموا لهم ما يحتاجون اليه من مؤن وزاد [٧] ، فاطمأن الصليبيون إلى ثاتول ، واقروه فى منصبه كحاكم على المدينة فى ظل التبعية البيزنطية [٨] ، ومكث

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٣٨ ـــ ١٣٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٠ــ٩٦ .

Anna Comnena, Loc. cit., P. 153.

(٢) ابن الأثير : نفس الموضع ، جـ ١٠ ، ص ٤٢٧ .

(٣) William of Tyre, AHistory of Deeds done beyond the sea, 2Vols, Trans by Emily Babcook A.C. Krey, New York, 1943, Vol. II, P. 319.

(٤) ابن الأثير : نفس الموضع .

(٥) Micheal the Syriean, op. cit., Vol. III, pp. 173, 186-187.

(٦) عاشـــور : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٠ .

(٧) Fulcher of Chartres, A History of the expedition of Jerusalem (1095-1127), Tennessee, U.S.A., 1969, P. 89.

(٨) Micheal the Syriean, op. cit., Vol. III, P. 187.

الصليبيون فى مرعش خمسة أيام ، وبعد أن تزودوا بالمؤن غادروها فى ١٧ أكتوبر / ٢٧ شوال حيث انقسم الصليبيون إلى قسمين : الأول بقيادة بلدوين دى بويون وتوجه إلى الشرق جنوب مدينة الرها (١) ، والثانى ويمثل غالبية الصليبيين قد توجه ناحية مدينة أنطاكية (٢) .

يبقاء ثاتول حاكماً على مرعش حتى خروج الصليبيين منها تظل المدينة تحت السيادة البيزنطية التى بدأت منذ منتصف القرن العاشر الميلادى / منتصف القرن الرابع الهجرى ، ويكون الصليبيون قد أقروا بتبعيتها للبيزنطيين ، ولكن سرعان ماتعرضت تلك السيادة البيزنطية للخطر عندما حاول أمير أنطاكية النورمانى بوهمند الأول Bohemond I (١٠٩٨–١١٠٤م / ٤٩١–٤٩٧هـ) فى عام ١١٠٠ م / ٤٩٣ هـ السيطرة على مدينة مرعش ، وانتزاعها من يد الصليبين ، ولكنه لم ينجح فى محاولته ، وكل ما استطاعه السيطرة على المنطقة المكشوفة المحيطة بالمدينة (٣) . ولعل التساؤل الذى يطرح نفسه فى تلك الحادثة هو : لماذا حاول الأمير بوهمند الاستيلاء على مدينة مرعش ، بالرغم من أن الصليبين قد أقروا تبعيتها للبيزنطيين ؟ .

يشير كل من ميخائيل السريانى ، والمؤرخ متى الرهاوى إلى أن جبرئيل حاكم ملطية هو الذى حرض الأمير بوهمند على الاستيلاء على مدينة مرعش ، وذلك بسبب النزاع الذى قام بينه وبين ثاتول حاكم مرعش ، وأن جبرئيل كان يخشى هجوم ثاتول على مدينته (٤) . ولكن فى الحقيقة إذا كان هذا التحريض يعتبر سببا مباشرا ، فهناك أسباباً أخرى غير مباشرة تتمثل فى العداء القديم بين

(١) Fulcher of Chartres, Loc. cit.

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٣٤ ، ابن الأثير : المصدر السابق : جـ ١٠ ، ص ٢٧٤ ، ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ، وأيضا :
William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 204.

(٣) Mattieu d'Eesse, op. cit., P. 51.

(٤) Micheal the Syrican, op. cit., Vol. III, P. 187;
Mattieu d'Edesse, op. cit., P. 50.

البيزنطيين والنورمان بصفة خاصة ، وبين الصليبيين وبين البيزنطيين بصفة عامة [1] ، والتى كشفت عنها أحداث الحروب الصليبية .

وكيفما كان الأمر ، فعندما شعر البيزنطيون بخطورة هجوم الأمير بوهمند على مدينة مرعش ، وعزم الصليبيون على الاستيلاء عليها ، أرسل الإمبراطور الكسيس قائده بوتوميتس إلى المدينة للدفاع عنها ، ولم يمكث القائد البيزنطى بضعة أيام حتى استدعاه الإمبراطور إلى القسطنطينية ، فغادر بوتوميتس مرعش بعد ما ترك بها حامية بيزنطية لمواجهة التهديد الصليبى [2] ، واستغل الصليبيون تلك الفرصة ، فتوجه الأمير النورمانى بوهمند الأول ، يصاحبه الأمير اللاتينى جوسلين دى كورتناى Joscelin de Courtenay حاكم تل باشر إلى المدينة بقواتهما ، وضربوا الحصار حولها ، وعندما شعر ثاتول بعجز المدينة عن المقاومة اضطر إلى تسليمها لجوسلين فى عام ١١٠٤ م / ٤٩٧ هـ ، وسمح له الأخير بالتوجه إلى القسطنطينية [3] ، وتنتهى عندئذ السيطرة البيزنطية على مرعش ، وتنتقل بتبعيتها إلى الصليبيين لتبدأ مرحلة جديدة فى الصراع الإسلامى الصليبى حولها .

تسلم جوسلين دى كورتناى مدينة مرعش بوصفه نائبا لبلدوين دى بورج Baldwin du Boury الذى كان حاكما على الرها ، ثم أصبح ملكا على بيت المقدس [4] (١١١٨—١١٣١م / ٥١٢—٥٢٥ هـ) ، وبذلك أصبحت مدينة مرعش تتبع كونتيه الرها فى ظل السيادة الصليبية ، ولكن نظرا لوقوع كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى أسيرين فى قبضة المسلمين بعد أن اشتركا فى معركة حارم عام ١١٠٤ م / ٤٩٧ هـ [5] ، أصبحت الرها

(١) عن هذا العداء راجع : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، الاسكندرية ١٩٦٧ م .

(٢) Anna Comnena, op. cit., pp. 290 - 292.

(٣) Matticu d'Edesse, op. cit., p. 75.

(٤) William of Tyre, op. cit., Vol. I, pp. 287, 369, 522.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٣٧٤ — ٣٧٥ ، وأيضا :
William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 459.

ومرعش تحت وصاية تنكريد الأول Tancred I أمير أنطاكية (١١٠٤ — ١١١٢م / ٤٩٧ — ٥٠٦ هـ) ، فقام تنكريد بتعيين ابن عمه وصهره ريتشارد Richard نائبا عنه فى حكم كل من الرها ومرعش [١] ، وتميز حكم ريتشارد بالقسوة وابتزاز الأموال مما أدى إلى نفور سكان المدينتين ، وخاصة الأرمن من حاكمهم الصليبى [٢] ، كما زادت تلك الكراهية عندما قام تنكريد بتجنيد عدد من سكان المدينة لمواجهة العجز من قلة المحاربين فى إمارته[٣] .

ظلت الرها ومرعش تحت وصاية تنكرد قرابة أربع سنوات ، إلى أن تم اطلاق سراح بلدوين دى بورج فى عام ١١٠٨م / ٥٠٢ هـ ، ورفض تنكريد إعادة الرها إليه ، عندئذ لجأ بلدوين إلى الاستعانة بالزعماء الأرمن من قليقية ومن بينهم كواسيل حاكم كيسوم ، واشين حاكم قليقية ، فلبوا النداء وتوجهوا بقواتهم إلى تل باشر لمناصرة بلدوين فى نزاعه مع تنكريد ، وعندئذ تدخل برنارد Bernard بطريرك أنطاكية اللاتينى لإنهاء الخلاف بين الزعيمين ، وأقنع تنكريد بضرورة أعادة الرها إلى بلدوين ، فوافق الأول ، وأمر بسحب نائبه ريتشارد من المدينة [٤] .

استمر ريتشارد يحكم مدينة مرعش حتى عام ١١١١ م / ٥٠٥ هـ بوصفه نائبا عن تنكريد حاكم أنطاكية ، وشارك الصليبيين فى مواجهة الحلف الإسلامى

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٦١ ، وأيضا :
Radulph of Caen, Gesta Tancredi Sicilise Regis in Expeditione Hierosoly mitana, in R.H.C. - H. Occ., Vol. III, P. 714; Albert d'Aix : op. cit., P. 620. Micheal the Syriean, op. cit., Vol. III, P. 195.

(٢) Mattieu d'Edesse, op. cit., 79;
Albert s'Aix, op. cit., p. 648.

(٣) Radulph of Caen, Loc. cit.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٦١ — ٤٦٢ ؛ وأيضا :
Albert d'Aix, op. cit., p. 648;
Mattieu d'Edesse, op. cit., pp. 77 - 79.

بقيادة مودود أتابك الموصل ، والتقى الجمعان أمام مدينة شيزر فى العام نفسه ، وان كان اللقاء لم يؤد إلى حدوث اشتباك عسكرى بينهما [١] ، وفى الوقت نفسه استغل كواسيل فرصة انشغال تنكريد ونائبه ريتشارد بمواجهة الحلف الاسلامى ، واستولى على مدينة مرعش ، وبذلك اتسع نفوذه ، وأصبح يسيطر على كيسوم ورعبان بالاضافة إلى مرعش [٢] . والتساؤلات التى تطرح نفسها هنا : لماذا لم يطلب بلدوين دى بورج من تنكريد إعادة مدينة مرعش إليه أسوة بمدينة الرها ؟ ، ولماذا طال انتظار بلدوين على تلك المطالبة حتى عام ١١١١م/ ٥٠٥ هـ إلى أن استولى كواسيل الأرمينى على مدينة مرعش ؟ ولماذا قام كواسيل حليف بلدوين بالأمس القريب — بالاستيلاء على المدينة عام ١١١١م/ ٥٠٥ هـ ، وهو يعلم أنها كانت من ممتلكات حليفه السابق ؟ .

لم تشر المصادر التى بين أيدينا إلى أن بلدوين دى بورج قد طلب من تنكريد إعادة مدينة مرعش إليه أسوة بمدينة الرها ، وأمام صمت المصادر فى هذا الجانب ، فاننا نضع للاجابة على التساؤل الأول احتمالا وهو أن بلدوين دى بورج قد اكتفى بالمطالبة — فى بداية الأمر — بمدينة الرها نظرا لأهميتها التى لاشك أنها تفوق أهمية مدينة مرعش بالنسبة له ، وذلك اعتقادا منه أن استرداد الرها سيتلوه فى القريب العاجل استرداد مدينة مرعش ، ولكن العلاقة بينه وبين تنكريد فى الفترة التى تلت استرداد الرها عام ١١٠٨ م / ٥٠٢ هـ ، كانت

(١) عن تلك المواجهة راجع : ابن القلانسى: المصدر السابق ، ص ١٧٧ ؛ اسامة ابن منقذ : الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، برنستون ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٣٠ م ، ص ٦٨ — ٦٩ ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ ١٠ ص ٤٨٦ — ٤٨٧ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٩ — ١٦٠ ؛ وأيضا :

Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 201 - 203;
Micheal the Syrien, op. cit. Vol. III, P. 205;
Albert d'Aix, op. cit., PP. 683 - 684;
William of Tyre, op. cit., Vol. I,P. 489.

(٢) إبن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٩٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٧ ج ، بيروت ١٩٧١ م ، جـ ٥ ، ص ٤٢ ؛ وأيضا :

Mattieu d'Edesse, op. cit., PP. 99 - 100.

على غير وفاق ، إذ بدأ الصراع بين بلدوين دى بورج يسانده تابعه جوسلين دى كورتناى حاكم تل باشر ، وجاولى أتابك الموصل من جهة ، وبين تنكريد يسانده صهره ريتشارد حاكم مرعش ، ورضوان بن تتش ملك حلب (٤٨٨ — ٥٠٧هـ/ ١٠٩٥—١١١٣م) من جهة أخرى ، وقد انتهى هذا الصراع بانتصار الفريق الثانى[١] . أما عن الاجابة عن التساؤل الثانى فتتمثل فى أن بلدوين دى بورج ظل حتى عام ١١١١م/٥٠٥هـ لايطالب تنكريد باعادة مدينة مرعش ، لأنه كان فى موقف المنهزم ولايستطيع أن يطالب المنتصر باعادة تلك المدينة ، هذا بالاضافة إلى انشغال بلدوين فى تلك الفترة فى مواجهة الهجمات الاسلامية المتكررة على الرها وتل باشر [٢] . وبالنسبة للإجابة عن التساؤل الثالث ، فقد كان لسياسة التعسف التى اتبعها بلدوين دى بورج ضد الأرمن فى الرها [٣] ، كان لها أكبر الأثر فى تقلب كواسيل حاكم كيسوم الأرمينى ، الذى غضب لسوء معاملة بنى بلدته ، فهاجم مرعش فى عام ١١١١م / ٥٠٥ هـ واستولى عليها .

كان استيلاء كواسيل على مدينة مرعش ، وازدياد نفوذه فى قليقية بمثابة تهديد لامارة أنطاكية ، وفى الوقت نفسه أثار غضب حاكم الرها الذى كان يتحين الفرصة المناسبة لاسترداد مرعش ، ولهذا تقاربت وجهات النظر بين بلدوين دى بورج وبين تنكريد ، واتفقا على محاربة كواسيل ، مما دفع الأخير

---

(١) عن هذا الصراع راجع : ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٦٤ — ٤٦٥ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٣ ؛ وأيضا : .

Albert d'Aix, op. cit., P. 649;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, 474.

(٢) عن تلك الهجمات راجع : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٦٩ — ١٧٠ ، ١٧٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٨٦ ، ٤٩٢ ، وأيضا :

Albert d'Aix, op. cit., pp. 672, 680 - 681; Mattieu d'Edesse, op. cit., pp. 100 - 105; Michael the Syriean, op. cit., Vol. III, p. 196.

(٣) Mattieu d'Edesse, op. cit., pp. 101, 268.

إلى طلب الحماية من آقسنقر البرسقى حاكم الموصل [1] . وبينما كان تنكريد يستعد للزحف إلى ممتلكات كواسيل اشتد عليه المرض فى الطريق ، فعاد إلى أنطاكية [2] ، ومات فى ديسمبر ١١١٢ م / جمادى الآخرة ٥٠٨هـ [3] ، وانتهت بذلك حملته المرتقبة .

لم تشر المصادر التى بين ايدينا إلى تاريخ استرداد بلدوين دى بورج لمدينة مرعش ، وانما أكتفت بالاشارة إلى أن جفرى الراهب Gaufridus Monacus كان يتولى حكم المدينة عام ١١١٩ م / ٥١٣ هـ بوصفه نائبا لجوسلين دى كورتناى حاكم الرها [4] . ولما كان جوسلين قد تولى حكم الرها عام ١١١٨م/ ٥١٢ هـ ليحل محل بلدوين دى بورج حاكمها الأسبق ، والذى أصبح ملكا على مملكة بيت المقدس اللاتينية تحت اسم بلدوين الثانى [5] (١١١٨ـــ ١١٣١ م / ٥١٢ ـــ ٥٢٥ هـ) ، يكون بلدوين قد استرد المدينة فى الفترة من عام ١١١٢ م / ٥٠٦ حتى عام ١١١٨م / ٥١٢ هـ ، ويبدو أنه استردها فى الفترة التى شهدت حملاته على منطقة قليقية والمصورة بين عامى ١١١٥ـــ ١١١٧م / ٥٠٩ ـــ ٥١١ هـ [6] .

وكيفما كان الأمر ، فقد عادت مرعش تتبع كونتيه الرها وحاكمها جوسلين دى كورتناى ، وفى سبتمبر ١١٢٢م / رجب ٥١٦هـ وقع جوسلين

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٥٠١ .

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

(٣) Fulcher of Chartres, op. cit, p. 425; William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 492.

(٤) Walter The Chancellor, Bella Antiochena, in R.H.C. H-Occ. Vol. V., P. 108.
Fulcher of Charlres, op. cit., PP. 227 - 230;
William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 529.

(٥) Fulcher of Chartres, op. cit., P. 178;
William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 369, 522.

(٦) Mattieu d'Edesse, op. cit., pp. 116 - 117.

أسيرا فى قبضة بلك غازى بن بهرام صاحب خرتبرت (١) ، لذلك اسند الملك بلدوين الثانى إدارة الرها فى أبريل ١١٢٣م صفر ٥١٧ إلى جفرى الراهب حاكم مرعش ، وظل جفرى يقوم بتلك المهمة ، وفى الغارات على القرى الاسلامية القريبة من الرها (٢) إلى أن نجح جوسلين فى الفرار من سجنه بقلعة خرتبرت ، بينما ظل الملك بلدوين الثانى بداخل القلعة إلى أن جاءت القوات الاسلامية بقيادة بلك بن بهرام ، وتمكنت من أسر بلدوين للمرة الثانية (٣) ، وتم نقله إلى قلعة حران (٤) .

كان على جوسلين العمل على فك أسر الملك الصليبى ، ولكن عندما علم أن المسلمين قد نقلوه إلى القلعة الحصينة حران ، أخذ فى شن الغارات على المناطق القريبة من حلب ، وقام بأعمال السلب والنهب والتدمير (٥) ، وشاركه

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٠٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق : جـ ١٠ ، ص ٦١٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ ، وأيضا .

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 240;

Mattieu d'Edesse, op. cit., p. 131;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 540.

(٢) Fulcher of Chartres, op. cit., p. 237;

Mattieu d'Edesse, op. cit., 131;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 537.

(٣) تم أسر الملك بلدوين الثانى للمرة الأولى على يد بلك بن بهرام فى أواخر أبريل ١١٢٣ م / أواخر صفر ٥١٧ هـ ، راجع : ابن القلانسى: المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦١٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ ، وأيضا :

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 246;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 538.

(٤) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ٦١٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ٢١٣ ، وأيضا :

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 248;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 543.

(٥) عن تلك الغارات راجع : ابن القلانسى: المصدر السابق ص ٢١١ — ٢١٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ — ٢١٦ ؛ وأيضا =

فى تلك الغارات نائبه جفرى ، ولقد دفعت تلك الغارات القوات الإسلامية بقيادة بلك بن بهرام للتصدى لجوسلين ونائبه ، وجرى الاشتباك الأول بين الجانبين بالقرب من مدينة عزاز [1] فى يناير ١١٢٤م / ذى القعدة ٥١٧ هـ ، وانتهت المعركة بانتصار غير حاسم للصليبيين ، فتجدد الاشتباك بينهما مرة أخرى فى أبريل ١١٢٤ م / صفر ٥١٨ هـ وكان النصر فى تلك المعركة لصالح المسلمين ، ولما كانت المعركتان السابقتان لم تحسما النصر لأحد الفريقين ، فكان اللقاء الحاسم بينهما بالقرب من مدينة منبج فى مايو / ربيع الأول من العام نفسه ، وفيه تمكنت قوات بلك بن بهرام من إلحاق الهزيمة بالصليبيين ، وقتلت الكثير من فرسان الفرنج ، كان من بينهم جفرى حاكم مرعش [2] .

بمقتل حاكم مرعش عام ١١٢٤ م / ٥١٨ هـ ، عادت إدارة المدينة إلى جوسلين دى كورتناى حاكم الرها وتل باشر ، وظلت مرعش تحت إدارته حتى توفى فى عام ١١٣١م / ٥٢٦ هـ ، وخلفه ابنه الصغير جوسلين الثانى [3] ، فى وقت بدأت فيه اليقظة العربية الاسلامية — التى كان من بين روادها الأول مودود واقسنقر — تقوى وتنمو على يد عماد الدين زنكى حاكم الموصل وحلب .

بعد أن تولى جوسلين الثانى حاكم امارة الرها عام ١١٣١/ ٥٢٦هـ قام بتعيين أحد قادة الفرسان — الذين عملوا فى خدمة أبيه — ويدعى بلدوين

Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 248 - 249;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 542.

(1) عزاز : بلدة تقع فى شمال حلب ، طيبة الهواء ، عذبة الماء ، صحيحة التربة ، راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٣٧ .

(2) عن تلك المعارك راجع : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢١٢ ؛ إبن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦١٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٢١٦ — ٢١٠ ، وأيضا :

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 249;

William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 16.

(3) Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, p. 232;

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 52 - 53.

حاكما على مرعش وكـيسوم (١) فى وقت فيـه كفـة الميـزان فى الصراع الصليبى الإسلامى تميل لصالح المسلمين ، وصار هدف الصليبيين على حد قول المؤرخ ابن الأثير : « حفظ ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع » (٢) ، وقد انعكس هذا التغير على إمارة الرها ، إذ بدأت تواجه الضربات من قبل المسلمين والأرمن . ففى عام ١١٣٥/ ٥٢٩هـ قام الأمير الأرمينى ليو الأول Leo I بالتحالف مع أمير الدانشمند محمد الثانى ابن غازى ، وهاجم قلعة سرفنتيكار (٣) ، الخاضعة لنفوذ بلدوين حاكم مرعش وكيسوم ، ونجح ليو فى الاستيلاء على القلعة دون أن يتحرك بلدوين للدفاع عنها (٤) ، وفى عام ١١٣٦م / ٥٣٠ هـ قام الأفشين التركى — قائد سيف الدين سوار نائب عماد الدين زنكى فى حلب — بشن الغارات على المناطق القريبة من مرعش وكيسوم ، وعجز بلدوين عن مدافعته (٥) ، ولم يكتف حاكم مرعش وكيسوم بأنه عجز عن حماية المناطق الخاضعة له ، وانما أقحم نفسه فى الخلف الذى قام بين ريموند الثانى أمير أنطاكية (١١٣٦ــ ١١٤٩م / ٥٣٠ــ ٥٤٤ هـ) وبين ليو الأرمينى ، إذ شارك أمير أنطاكية فى حملته عام ١١٣٦ م / ٥٣٠هـ ضد ليو الأرمينى ، ولكن إنتهت تلك الحملة بنجاح ليو فى التصدى لها وتحقيق الانتصار عليها بفضل مؤازرة إبن أخته جوسلين الثانى الذى ناشد الطرفين إلى نبذ الحروب ، وعقد المفاوضات ، فوافق ليو على أن يجتمع ببلدوين حاكم مرعش ، ولكن الأخير غدر بالأمير الأرمينى ، وقبض عليه ، وأرسله أسيرا إلى

(١) Micheal the Syriean, op. cit., Vol. III, pp. 230 - 121;
William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 158.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٦٣ .

(٣) سرفنتيكار : قلعة حصينة فى بلاد الأرمن ، تقع بالقرب من البر الجنوبى لنهر جيحان ، وعلى بعد أربعة أميال من تل حمدان ، راجع : القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، ١٤ ج ، القاهرة ١٩١٣ ــ ١٩١٣ م ، جـ ٤ ، ص ١٣٤ .

(٤) Micheal the Syriean, op. cit., Vol. III, pp. 231 - 233.

(٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ، ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ ، وأيضا :
Micheal the Syriean, op. cit., Vol. III, p. 244.

أنطاكية [١] . والتساؤل الذى يطرح نفسه هنا هو : لماذا سمح جوسلين الثانى لنائبه فى حكم مرعش وكيسوم أن ينتهج سياسة مخالفة لميوله ، ويعادى خاله الأمير الأرمينى ؟ وعند الاجابة على هذا التساؤل يجب أن نوضح أن جوسلين الثانى كان يتولى امارة الرها باعتباره نائبا عن الملك الصليبى فولك Fulk (١١٣١ــ ١١٤٤م / ٥٢٦ــ ٥٣٩ هـ) الذى كان راضيا عن تلك الحملة الموجهة ضد ليو الأرمينى ، ولم يكن بوسع جوسلين الثانى أن يخالف رغبات الملك الصليبى [٢] .

على أية حال ، نتيجة لغدر بلدوين حاكم مرعش بالأمير الأرمينى قام الأمير محمد الثانى بن غازى بشن الغارات على المناطق المحيطة بمرعش وكيسوم ، وعاث فيها فساداً وتدميراً [٣] .

بدأ الصليبيون يشعرون بخطورة الهجمات الاسلامية على الممالك اللاتينية ومحاولات عماد الدين زنكى توحيد الجبهة الاسلامية ، وفى الوقت نفسه يشعرون بخطورة محاولات الامبراطور البيزنطى حنا كومنين John Comnenus (١١١٨ــ ١١٤٣م / ٥١٢ــ ٥٣٨هـ) لاستعادة أنطاكية من الصليبيين . لذا استقر رأيهم على نبذ الخلف مع الإمبراطورية البيزنطية وارضاء الامبراطور البيزنطى ــ مؤقتا ــ والإتفاق على التعاون معا ضد المسلمين . فتوجه الأمير ريموند إلى معسكر الإمبراطور البيزنطى أمام أنطاكية ، وبذل له يمين الطاعة والولاء ، واتفقا على تنسيق التعاون ضد المسلمين ، فاكتفى الامبراطور حنا برفع العلم البيزنطى على قلعة أنطاكية [٤] وتوجه إلى قيلقية فى سبتمبر ١١٣٧م/

(١) Gregory the Priest, Continuation of Matthew of Edessa's Chronicle, in R.H.C. - Doc. Arm., Vol. I, p. 152.

(٢) William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 201.

(٣) Gregory the Priest, op. cit., p. 152.

(٤) ابن القلانسى: المصدر السابق ، ص ٢٥٨ ، ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص٥١ــ٥٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ ــ وأيضا : =

ذى الحجة ٥٣١ هـ حيث قدم إليه بلدوين حاكم مرعش وكيسوم ، وبذل له يمين الولاء والتبعية ، والتمس الحماية منه ضد هجمات المسلمين[١]

بدأ الحلفاء الصليبيين والبيزنطيين فى مهاجمة المدن الاسلامية فى شمال الشام ، وقد شارك حاكم مرعش وكيسوم القوات البيزنطية فى الاستيلاء على مدينة البلاط [٢] فى يوم الخميس الحادى من أبريل ١١٣٨م/ الثامن عشر من رجب ٥٣٢هـ ، كما شارك بلدوين الحلفاء فى الاستيلاء على مدينة بزاعه [٣] ، والأثارب [٤] ، ومعرة النعمان [٥] ، وكفر طالب [٦] ، وأيضا فى حصار مدينة شيزر [٧] ، وأمام مناعة شيزر من جهة وما قام به عماد الدين زنكى من

Micheal The Syri an, op. cit., Vol. III, p. 245;

Gregory the Priest, op. cit., p. 153;

Cinnamus, J., Epitom Historiarum, in Corupus Seriptorum Historiae Byzantinae, Bonn, 1836, pp. 18 - 19;

Nicetas Cohniates, Historia, in Corupus Scriptorum Historise Byzantinae, Bonn, 1835, pp. 37 - 38;

William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 93.

(١) Micheal the Syriian, op. cit. vol. III, p. 245; Gregory the Priest, op. cit. p. 153.

(٢) البلاط : مدينة فى شمال الشام تقع بين مدينتى مرعش وأنطاكية ، راجع البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .

(٣) بزاعه : بلدة من أعمال حلب فى وادى بطنان ، تقع بين منبج وحلب ، وفيها عيون جارية : راجع ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ؛ البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٢ .

(٤) الأثارب : قلعة فى شمال الشام ، تقع بالقرب من مدينة حلب ، وعلى بعد ثلاثة فراسخ منها . راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤ .

(٥) معرة النعمان : مدينة كبيرة تنسب إلى النعمان بن بشير الصحابى ، تقع بين حلب وحماة . راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٨٨ .

(٦) كفر طاب : بلدة فى شمال الشام ، تقع بين معرة النعمان وحلب . راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٧٠ .

(٧) عن هذا الهجوم راجع : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ــ ٢٦٦ ؛ أسامة بن منقذ : المصدر السابق : ص ١٣١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٥٣ ، ٥٦ ــ ٥٧ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٢٨ ــ ٦٢٩ ؛ أيضا : =

ترهيب الحلفاء ، والتفرقة والنفور بين البيزنطيين وبين الصليبيين [1] من جهة أخرى ، نتيجة لكل ذلك تقاعس جوسلين الثانى حاكم الرها ، ونائبه بلدوين حاكم مرعش عن مشاركة الإمبراطور البيزنطى فى الهجوم على شيزر [2] ، مما كان له أثر كبير فى تفكك الحلف الصليبى البيزنطى من جهة ، وتقوية الجبهة الاسلامية من جهة أخرى ، وتوجيه المسلمين لمزيد من الضربات للصليبيين من جهة ثالثة .

بدأت الوحدة الاسلامية تؤتى أكلها ، ونجح عماد الدين زنكى من استرداد الرها فى جمادى الآخرة ٥٣٩ هـ / ديسمبر ١١٤٤ م ، وبذلك كانت الرها [3] أولى الامارات الصليبية التى استعادها المسلمون ، وفى الوقت نفسه كانت أولى الامارات اللاتينية التى أقامها الصليبيون فى منطقة الشرق الأدنى الاسلامى .

أخذ جوسلين الثانى ونائبه بلدوين يتحينان الفرصة المناسبة لاستعادة الرها ، وقد جاءهما ما ينتظران بعد مقتل عماد الدين زنكى فى ربيع الآخر ٥٤١ هـ /

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 93 - 94;

Micheal the Syriean, op. cit., Vol. III, p. 245;

Cinnamus, op. cit., pp. 18 - 20;

Nicetas : op. cit., pp. 37 - 40.

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٥٧ ـــ ٥٨ .

(٢) William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 95.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن فتح الرها . راجع : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص٢٧٩ ـــ ٢٨٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٩٨ـــ٩٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ٢٧٨ـــ ٢٧٩ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ٣ ج ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ـــ ١٩٦٠ ، جـ ١ ، ص ٩٣ ـــ ٩٤ ؛ وأيضا :

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 140 - 143;

Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 259 - 263;

Odo of Deuil, De Progection Ludovice VII Orientem, New York, 1948, pp. 7 - 9 ;

Roger of Wendover, The Flowers of History, 2 Vol., London 1888, Vol. I, pp. 498 - 502.

سبتمبر ١١٤٦ م [١] فشعرا بأن مسرح الأحداث قد خلا من تلك الشخصية الاسلامية التى جعلت الأخطار تحيط بهما من كل صوب ، ولم يكونا يعلمان أن عماد الدين قد خلف من بعده أبناء ، وعلى رأسهم نور الدين محمود ، لايقلون كفاءة ومقدرة وحكمة عن أبيهم .

توجه جوسلين الثانى ومعه نائبه بلدوين بقواتهما إلى الرها فى أكتوبر ١١٤٦م / جمادى الآخرة ٥٤١ هـ ، واتصلا بالأرمن داخل المدينة ، فسهلوا لهما دخولها على حين غفلة من حاميتها السلجوقية القليلة ، والتى كان عماد الدين قد تركها لحمايتها ، فاعتصمت الحامية بقلعة الرها ، وعجز كل من جوسلين وبلدوين عن الاستيلاء على القلعة ، وما أن علم نور الدين محمود بأنباء دخول الصليبيين الرها ، حتى أسرع بقواته وحاصر الصليبيين بداخلها ، فشعر جوسلين ومعه نائبه بحرج الموقف ، وصمما على اختراق الحصار والفرار من المدينة ، ونجح جوسلين وبعض قواته فى الفرار بعد ما أصيب فى رقبته ، بينما قتل بلدوين حاكم مرعش [٢] .

لم يجن جوسلين الثانى من محاولته لاستعادة الرها سوى مزيد من الضعف لإمارته المنهارة ، إذ فقد كثيرا من فرسانه ، وقتل حاكم مرعش لذلك قام بتعيين صهره رينولد Renaud خلفا لبلدوين فى حكم المدينة ، وقد نجح رينولد فى أن

---

(١) عن مقتل عماد الدين زنكى راجع : ابن القلانسى: المصدر السابق ، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١١ ــ ١١٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ــ٢٨٢ .

(٢) ابن القلانسى: المصدر السابق : ص ٢٨٨ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١١٤ ، ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ ، ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١١ ، وأيضا :

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 157 - 161;

Micheal The Syriean, op. cit., Vol. III, pp. 270 - 272.

يفرض نفوذه على الأرمن[١] فى كركر[٢] ، فجاء هذا التوسع بمثابة تهديد لنفوذ سلاجقة الروم فى المنطقة ، وجلب مزيدا من الأخطار لمدينة مرعش ، إذ ضاق السلطان مسعود بن قلج أرسلان (٥١٠ ـ ٥٥٠هـ / ١١١٦ ـ ١١٥٥ م) ، بتوسعات رينولد ، وقام فى عام ٥٤٣هـ / ١١٤٨م بمهاجمة المناطق المحيطة بمرعش وأنزل بها الدمار[٣] ، ثم زحف فى جمادى الأولى ٥٤٤ / سبتمبر ١١٤٩م بقواته على المدينة واستولى عليها لفترة قصيرة ، وما لبث أن انسحب منها عندما علم بقدوم الملك الصليبي بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٤ ـ ١١٦٢ م / ٥٣٩ ـ ٥٥٧ هـ) بقواته لنجدتها[٤] .

أخذت بقايا امارة الرها المنهارة ومن بينها مدينة مرعش تنتقل يوما بعد يوم من سيىء إلى أسوأ ـ وأخذت القوى الإسلامية من سلاجقة وأراتقة بالإضافة إلى قوات نور الدين محمود ، أخذت توجه الضربات الواحدة تلو الأخرى لتلك الامارة المتداعية . فلم يكتف رينولد حاكم مرعش بتوسعاته التى جلبت على مدينته الخراب من قبل سلاجقة الروم ، إنما خرج بقواته لمساندة الأمير ريموند حاكم أنطاكية فى مواجهة قوات نور الدين محمود التى بدأت فى حصار قلعة أنب[٥] ، وجرت المعركة بينهما فى صباح يوم ٢٩ يونيو ١١٤٩م/ ٢١ صفر ٥٤٤ هـ ، وانتهت بانتصار حاسم للمسلمين ، وقتل الكثير من فرسان

---

(١) William of Tyre, op. cit., Vol. II, p 53;
Micheal the Syriean, op. cit., Vol. III, pp. 209 - 210;
Gregory the Priest, op. cit., p. 162.

(٢) كركر : حصن يقع فى قليقية بالقرب من مدينتي ملطية وأمد . راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٥٨ .

(٣) Micheal the Syriean, op. cit., Vol. III, p. 210.

(٤) William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 200.

(٥) أنب : حصن فى شمال الشام من أعمال عزاز ، ويقع بالقرب من حلب . راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .

الصليبيين كان من بينهم الأمير ريموند ، ومعه رينولد حاكم مرعش وكركر [1] .

أما الأراتقة فكان لهم هم الآخرين نصيبا من تلك الفريسة الممزقة ، إذ قام قره أرسلان الأرتقى — صاحب حصني كيفا وخرتبرت — بالاستيلاء على منطقة كركر عام ١١٤٩م/ ٥٤٤هـ ، فكان ذلك مدعاه لسرور المسيحيين اليعاقبة فى المنطقة الذين فضلوا حكم قرة أرسلان عن حكم رينولد بما اتسم به من محاباه للارمن واضطهاد لليعاقبة [2] .

انتهت مرحلة الانهيار لامارة الرها اللاتينية بوقوع جوسلين الثانى أسيراً فى قبضة نور الدين محمود عام ١١٥٠م/ ٥٤٥هـ [3] ، واقتسام نور الدين ووالد زوجته السلطان مسعود بن قلج أرسلان بقايا تلك الامارة ، إذ أصبحت مرعش تابعة لسلاجقة الروم [4] .

ظلت مدينة مرعش سلاجقة الروم فى قونيه . وفى عهد قلج أرسلان ابن مسعود (٥٥١— ٥٨٤هـ / ١١٥٦— ١١٨٨م) تعرضت مراعى الابل والماشية القريبة من المدينة عام ١١٦٠م/ ٥٥٥ هـ لهجوم من قبل رينو دى

---

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٤٤ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ ، أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جزءان ، القاهرة ١٢٨٧ — ١٢٨٨ هـ ، جـ ١ ، ص ٥٨ ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٢٠ — ١٢١ ؛ وأيضا :
William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 196 - 198.

(٢) Gregory the Priest, op. cit., p. 162;
Micheal the Syriean, op. cit., Vol. III, pp. 210 - 211.

(٣) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٣١٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٥٤ — ١٥٥ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ ؛ وأيضا :
William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 201.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٣٩١ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٣٨ ، ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ .

شايتون Renaud de Chatillon حاكم أنطاكية آنذاك (١١٥٣ــ ١١٦٠م/ ٥٤٨ــ ٥٥٥ هـ) والمعروف فى المصادر العربية باسم أرناط ، إذ أستولى على الكثير من تلك القطعان وعاد إلى أنطاكية متجنبا مواجهة قوات نور الدين محمود [١] .

وعندما ساءت العلاقات بين نور الدين وبين قلج أرسلان بن مسعود بسبب تقاعس الأخير عن مشاركة نور الدين فى الجهاد ضد الصليبيين والبيزنطيين ، وبسبب اعتدائه على أملاك أمير الدانشمند ذى النون فى ملطية ، واستنجاد الأخير بنور الدين محمود ، عندئذ ، أرسل نور الدين إلى قلج أرسلان يطالبه برد ما أخذه من أملاك الدانشمند ، ولما رفض الأخير ذلك ، زحف نورالدين بقواته فى عام ٥٦٨هـ / ١١٧٢م، فملك مرعش فى ذى القعدة / أغسطس من العام نفسه ، وأعاد كيسوم إلى آل الدانشمند [٢] .

بامتلاك نور الدين لمرعش ، تنضم المدينة إلى الجبهة الإسلامية التى وحدها نورالدين ، وأكدها من بعده صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية وكانت تلك الجبهة الموحدة هى الركيزة التى انطلقت منها الجيوش الاسلامية لتحقق النصر على الصليبيين فى موقعة حطين عام ١١٧٧م/ ٥٨٣هـ، والتى أثمرت بعودة معظم المدن والقلاع الاسلامية إلى أصحابها .

أما عن دور المدينة فى القرن الثالث عشر الميلادى / القرن السابع الهجرى فهو محدود ، إذ عادت المدينة إلى حكم سلاجقة الروم ، واتخذها السلطان عزالدين كيكاوس (٦٠٦ــ ٦١٦ هـ/ ١٢١٠ــ ١٢١٩م) كقاعدة لشن الهجمات على الملك الأرمينى ليو الثانى [٢] Leo II (١١٨٧ــ ١٢١٩م/ ٥٨٣ــ ٦١٦هـ) وظلت المدينة هدفا للهجمات بين السلاجقة والأرمن إلى

(١) William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 283 - 284;
Gregory the Priest, op. cit., p. 198.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٣٩١ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٣٨ ، ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥ .

أن استعادها السلطان المملوكى الأشرف خليل (٦٨٩ــ ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٠ــ ١٢٩٣م) فى آخريات عهده عام ١٢٩٣م/ ٦٩٢هـ .[1]

ويتضح من العرض السابق أن موقع مدينة مرعش من منطقة الثغور جعلها هدفا للاغارات البيزنطية منذ القرن السابع الميلادى / القرن الأول الهجرى حتى القرن العاشر الميلادى / القرن الرابع الهجرى ، وأن المدينة كانت محط عناية السلطات الاسلامية سواء أكانت أموية أم عباسية ، وعندما سيطر عليها البيزنطيون فى القرن العاشر الميلادى / القرن الرابع الهجرى أصبحت المدينة مركزا لدولة أرمينية ناشئة ، سرعان ماتعرضت للتفكك والانقسام ، وتوارثها بعض قادة الأرمن ، الذين مهدوا الطريق للصليبيين على مشارف الشام .

وبعدها سيطر الصليبيون على مرعش ، بدأ دور المدينة يتضح فى الصراع الإسلامى الصليبى ، إذ أمدت القادة الصليبيين بالرجال ، وشارك حكامها فى العديد من المعارك التى دارت رحاها فى الشام . كما بسط حكامها نفوذهم على المناطق الأرمينية فى كيسوم وكركر ، وشاركوا فى الهجوم البيزنطى الصليبى على المدن الاسلامية ، واستمر هذا الدور قويا فعالا إلى أن بدأت اليقظة العربية الاسلامية ، وجاء توحيد الجبهة الاسلامية على يد عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود اللذين وجها العديد من الضربات للمدينة ، فبدأت فى طريقها السريع نحو الضعف والانهيار إلى أن استردها نور الدين فى عام ١١٧٢م/ ٥٦٨ هـ .

والله ولى التوفيق ،،،

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ ج ، بيروت ١٩٧٤ م ، جـ ١٣ ، ص ٣٣٢ .

الفصل الخامس

الحيل والخدع العسكرية الاسلامية منذ بداية الغزو الصليبى حتى وفاة نور الدين محمود
(١٠٩٨ ــ ١١٧٤م/٤٩٤ ــ ٥٦٩هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

عرفت البشرية الحروب منذ أقدم العصور ، وتعددت أسلحتها وأساليبها واختلفت من عصر إلى آخر باختلاف الزمان والمكان والظروف . وشهدت الفترة التى قام فيها الصراع بين المسلمين والصليبيين اساليب متعددة من الحيل والخدع العسكرية التى مارسها الجانبان على حد سواء . وقد اظهر المسلمون تفوقا واضحا على الصليبيين فى اساليب الحرب والقتال ، الأمر الذى أكده كثير من الكتاب الغربيين الذين عاصروا هذا الصراع . وعنوان بحثنا هو « الحيل والخدع العسكرية الاسلامية منذ بداية الغزو الصليبى حتى وفاة نور الدين محمود (١٠٩٨ — ١١٧٤م/٤٩٤هـ — ٥٦٩هـ) » .

تحدثنا فى البداية عن المقصود بالحيل والخدع العسكرية ، ثم بينا الفرق بينهما وأعقبنا ذلك بالاشارة الى أوجه استخدامات الحيل العسكرية ووسائلها مستشهدين ببعض الامثلة عن استخدامات المسلمين لها فى صراعهم مع الصليبيين أما عن الخدع العسكرية فقد تحدثنا عن أساليبها المختلفة ومنها خدعة الكمين ، وحددنا الشروط التى يجب مراعاتها لانجاح تلك الخدعة ، وبينا مدى نجاح المسلمين فى استخدامها ثم أشرنا إلى خدعة الارتداد الظاهري وأوردنا بعض الأمثلة التى توضح استخدام القوات الاسلامية لها ضد الصليبيين ، وأعقبنا ذلك بالحديث عن خدعة الهجوم التمويهى وبينا أثر استخدام المسلمين لتلك الخدعة على مجريات الاحداث فوق رقعة الشرق الأدنى الاسلامى . واختتمنا البحث بالاشارة الى كيفية استخدام المسلمين للظاهرات الطبيعية فى اعمال الخدع العسكرية .
وفى الختام ، ادعو المولى القدير أن أكون قد وفقت فيما فيه صالح أمتنا الاسلامية ، والله ولى التوفيق .

د . ابراهيم خميس ابراهيم

لاريب أن الحيل والخدع العسكرية تعد من تدابير الحرب فى أى زمان ومكان وتؤثر على مجرياتها . وقبل أن نبين أهميتها فى الصراع الاسلامى الصليبى لابد من أن نقوم بتعريف كل من الحيل والخدع العسكرية الإسلامية ، ونوضح الفرق بينهما .

لم تشر قواميس اللغة العربية الى تعريف كل من الحيل والخدع العسكرية ، بينما يوضح الأنصارى أن الحيلة هى التى تمكن القائد العسكرى من « الحصول على الظفر ، مع سلامة النفس وحفظ الجند والراحة من التعب »[1] . وعلى هذا فان الحيلة العسكرية هى التى تحقق النصر على الأعداء دون الاشتباك معهم فى معارك وذلك أن القائد العسكرى فى أية معركة لايحقق النصر دون خسائر ، ودون أن يتعرض جنده للاخطار فى القتل والجراح[2] ، وبالحيلة أو المكيدة يجنب جنده تلك المخاطر ، أو بأقل قدر من الخسائر البشرية والمادية .

أما عن الغرض من إستخدام الحيل العسكرية فيتمثل فى تفريق شمل الخصوم ، وايقاع الخلف بينهم ووثوب بعضهم ببعض[3] ، وابعاد خطرهم[4] ، وإمتلاك قلاعهم ومدنهم[5] .

وبالنسبة لتعريف الخدعة العسكرية يتضح من المصادر العربية وغير العربية[6] أنها تمثل الوسيلة التى عن طريقها يغرى القائد العسكرى قوات أعدائه الى التوجه الى أماكن يتم فيها هزيمتهم . وبذلك تتفق الحيلة العسكرية مع الخدعة فى الغاية وهى تحقيق النصر ويختلفان فى الوسيلة ، فالاولى تجنب الاخطار ، والثانية تؤدى الى الظفر مع وقوع بعض الخسائر .

---

(١) الأنصارى : تفريج الكروب فى تدبير الحروب ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٢٧ .

(٢) الهرثمى : مختصر سياسة الحروب ، القاهرة ١٩٦١م ، ص ٢١ .

(٣) الانصارى : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ١٣ج ، بيروت ١٩٧٩م ، ج ١١ ، ص ٥٨ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ٣ج ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣ — ١٩٦٠ ، ج١ ، ص ١٢٦ .

(٦) عن تلك المصادر انظر الصفحات التالية .

والتساؤلات التى تطرح نفسها هنا هى : متى يلجأ القائد الى الحيلة ؟ ، والى وسائلها ؟ ، والى أى مدى طبقها القادة المسلمون اثناء صراعهم مع الصليبيين ؟ . وبالنسبة للاجابة عن التساؤل الأول نوضح : أن من بين الصفات التي يجب أن تتوافر فى القادة العسكريين ، حسن البصيرة فى اختيار المواضع المناسبة لاستخدام الحيل والمكايدة ، وبلوغ القصد بأدنى الحيل ، وان لايعمل على النزال اذا وجد للحيلة سبيلا[1] ، ويلجأ القائد إلى إستخدام الحيل العسكرية فى الاحوال الاتية :

أولا : اذا كان جيشه أقل عدادا وعدة من جيش اعدائه . ففى هذه الحالة يجب على القائد أن يلجأ الى الحيلة ولا يتعجل فى لقاء أعدائه ، ولايتعرض لهم إن أعرضوا عن القتال ، حتى لايكون كمن « أثار الحية من جحرها[2] فعرض نفسه للضرر .

ثانيا : الظفر بأسر أحد قادة الاعداء ، ويتمثل هذا الجانب فى استخدام نور الدين محمود الحيلة فى القبض على جو سلين الثانى Joscelin 11 حاكم الرها الصليبى سابقا ، وتل باشرانذاك (١١٣١ — ١١٥٩/٥٢٦ — ٥٥٤هـ) بعد ما رأى أن استخدام القوة العسكرية لاتجدى نفعا معه[3] .

ثالثا : فتح المدن التى يصعب أخذها بالقهر . ويتضح ذلك فى أخذ نور الدين محمود مدينة دمشق بالحيلة عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م بعد أن فشلت المحاولات العسكرية فى فتحها[4] .

---

(١) الهرثمى : المصدر السابق ، صـ ١٥ ، ١٧ ، ١٩ — ٢٠ .

(٢) الأنصارى : المصدر السابق ، صـ ٤٩ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٥٤ ، وايضا :

Willam of Tyre Ahistory of Deeds done Beyond the sea, 2 Vol., New York, 1943 Vol, 11, P. 201

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، ٣ج ، تحقيق سامى الدهان ، دمشق ١٩٥١ ، جـ٢ ، ص ٣٠٤ .

وبالنسبة الى الوسائل التى تؤدى الى نجاح الحيلة فتتمثل فى ترفيق القائد فى استمالة قلوب بعض الاعداء بأن يعدهم بكل جميل ، ويتحفهم بالهدايا ويطمع آمالهم فى بلوغ كل مقصود ، وان يعفو عنهم ويصفح عن جرائمهم ان مالوا اليه ويبذل الامان لكل من سأله منهم ، ويدعوهم الى الوثوب على رؤسائهم إن أمكنهم ، أو يعتزلوهم ويخرجوا عليهم ، وايضا فى أن يكتب الى قادة خصومه كتبا كأنها جواب عن كتب وصلت اليه من بعض أعوانهم ، ويلقيها فى المواقع التى يتوقع أن يعثروا عليها فيؤدى ذلك الى افتراق كلمتهم ، وتشتيت جماعتهم ، وتتغير خواطر بعضهم من بعض مما يجعلهم يقتل بعضهم بعضا[1]

أما عن اجابة التساؤل الاخير ، فيجب الاشارة أولا الى أن الحيلة والخدعة فى الحرب امران لاغبار عليهما ، وذلك بما ورد فى الصحيحين عن ابى هريرة وجابر ابن عبد الله الانصارى — رضى الله عنهما — أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحرب خدعة » .

استخدم القادة المسلمون الحيل العسكرية المختلفة فى حروبهم مع الصليبيين ففى عام ١١٠٠م/٤٩٤هـ حاول الامير النورمانى بوهمند الأول Bohemond 1 حاكم أنطاكية (١٠٩٨ — ١١٠٤م/٤٩١ — ٤٩٧هـ) الاستيلاء على مدينة جبلة[2] ، فأرسل إليها حملة تعرض فيها معظم افرادها للقتل أو الأسر ، بسبب أعمال الحيلة . ذلك عندما رأى حاكم المدينة أبو محمد عبد الله بن منصور المعروف بأبن صليحة اصرار الصليبيين على الاستيلاء على مدينته ، جعل بعض المسيحيين الوطنيين فى جبلة يراسلون الصليبيين ، ويهونوا عليهم سهولة الاستيلاء عليها عن طريق مساعدتهم فى النفاذ الى داخلها عبر أحد أبراجها ليلا . لذا أرسل بوهمند تلك الحملة ، فتوجهت الى البرج المذكور فى الرسالة ، وتسلقه رجالها بالحبال فى ظلمة الليل بينما كان فى انتظارهم ابو صليحة ورجاله ، كلما صعد منهم نفر قبض

---

(١) الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٢٨ — ٢٩ .

(٢) جبلة : مدينة بالشام ، تطل على الساحل ، وهى من اعمال اللاذقية ، وتقع بالقرب من مدينة حلب . راجع : البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣١٢

عليهم وقتلهم وفى الصباح رمى رؤوس القتلى فرحل من تبقى منهم[1] . وهكذا مارس بعض القادة المسلمين أعمال الحيلة مع الصليبيين بعد مجيئهم الى الشرق الأدنى الاسلامى بزمن قصير ، وأنزلوا الخسائر بهم ، وأثبتوا لهم أنهم أمام عقلية عسكرية فذة .

استمر المسلمون فى استخدام أعمال الحيلة فى حروبهم مع الصليبيين ابان الفترة الزمنية موضوع البحث . ففى عام ٤٩٧هـ / ١١٠٤م قام معين الدولة سكمان الأرتقى حاكم مارين وديار بكر — بعد أن انتصر على الصليبيين فى العام نفسه[2] ، قام باستخدام الحيلة ، اذ جرد أسرى الفرنج الذين وقعوا فى قبضته من ملابسهم ، وألبسها عسكره ، وأركبهم خيل الفرنج ، وقلدهم أسلحتهم ، وتوجه الى الحصون الصليبية المجاورة لمنطقة شيحان[3] ، وخرج اليه المدافعون عنها من الصليبيين ظنا منهم أن أصحابهم قد انتصروا ، فقبض عليهم ، وقتلهم ، وأخذ الحصون منهم[4] .

كما استخدم المسلمون الحيلة لاحداث الفرقة والتنافر بين الصليبيين والبيزنطيين فعندما بدأت اليقظة العربية الاسلامية التى كان من بين روادها الأوائل مودود واقسنقر البرسقى ، تقوى وتشتد على يد عماد الدين زنكى حاكم الموصل وحلب ، رأى الصليبيون ضرورة تصفية الخلاف مع البيزنطيين ، والتحالف معهم ضد المسلمين . وعندما بدأت القوتان المتحالفتان فى مهاجمة بعض المدن الاسلامية فى شمال الشام[5] عام ١١٣٨م/٥٣٢هـ لجأ عماد الدين الى الحيلة ،

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ٣١٠ — ٣١١ ، وايضا :
Albert d'Aix, historia hierosolymi tona, in R.H.C.- H Occ. vol, PP, 582-583.

(٢) عن أحداث تلك المعركة ، وما قام به المسلمون من خدع عسكرية ، انظر الصفحات التالية .

(٣) شيحان : منطقة تشرف على الجبال التى تحيط بمدينة بيت المقدس . راجع : البغدادى : مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، ٣ج ، القاهرة ١٩٥٤م جـ٢ ، ص ٨٢٤ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ٣٧٥ .

(٥) عن هذا التحالف ، والهجوم على المدن الاسلامية راجع : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق بيروت ١٩٠٨م ، ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ، أسامة بن منقذ : الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، برنستون ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩٣٠ ، صـ١١٣ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٥٦ — ٥٧ ، وايضا :

فكان يرسل الى الامبراطور البيزنطى حنا كومنين John comnenus (١١١٨٠ — ١١٤٣م/ ٥١٢ — ٥٣٨هـ) يوهمه بأن الصليبيين خائفون منه ، وأنه لو فارق مكانه لتخلوا عنه ، ويرسل الى الصليبيين يخوفهم من الامبراطور البيزنطى ، ويقول لهم انه لو ملك حصنا واحد ملك بلادكم جميعا[1] ، وقد نفعت الحيلة وآتت أكلها ، اذ بدأ كل من المتحالفين يظن سوءا فى نوايا الآخر ، مما أدى الى فشل التحالف ، ورحيل الامبراطور البيزنطى عائدا الى القسطنطينية[2] .

أما عن نور الدين محمود فكان يكثر من أعمال الحيلة فى صراعه مع الصليبيين ، فعندما رأى أنه كلما سير بعض قواته لفتح ماتبقى من امارة الرها ، استعان حاكمها السابق جوسلين الثانى ببنى جلدتة من الصيليبين ، واحتمى بقلاعه الحصينة ، وأنه أساء لنور الدين عند والد زوجته[3] الكل ذلك مال نور الدين الى أعمال الحيلة فاستحضر جماعة من امراء التركان ، ورغبهم كى يقوموا برصد تحركات الامير الصليبى[4] ، والقبض عليه[5] ، واحضاره قتيلا أو أسيرا ،

= William of Tyre. op. cit., vol. 11, pp. 93-94 Micheal le Syrian chzonique de Michael le Syrian,

Patriarche Jacobite d'Antioche (1166-1199), 3 vols.

Paris, 1905, vol, 111, p.245; Cinnamus, J. Eptiome historiarum, in Corpus seriptorum historiae Byzantinae. Bonn, 1836, PP. 18-20; Nicetas choniates, historiarum in corpus soriptorum historiae Byzantinae, Bonn, 1835, PP. 37-40

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٥٨ .

William of Tyre, op., cit. vol, 11. PP 96-99; cinnamus, op. cit., PP, 23 - 24

(٢) كان جوسلين الثانى قد نجح بفضل مؤازرة اخوانه الصليبيين فى تحقيق النصر على نور الدين محمود عام ١١٥٠م/٥٤٦هـ ، ووقع فى يد جوسلين أمير سلاح دار نور الدين أسيرا ، كما استولى على سلاح نور الدين ، فسير جوسلين كل هذا الى الملك مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونيه وقال له : هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما هو اعظم . ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ١٥٤

(٣) William of Tyre, op, cit., vol., 11 p. 201.

(٤) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٠٢ .

(٥) ابن الأثير ؛ نفس الموضع .

فكمن له التركمان حتى خرج ذات يوم متصيد[1] ، فلحقت به طائفة منهم ، وظفروا به أسيرا[2] وتمكن ابن الداية — نائب نور الدين فى حلب — من إحضاره الى سيده[3] ، فظل سجينا فى حلب تسع سنوات ، حتى مات فى عام ١١٥٩م/٥٥٤هـ[4]

ولما كانت مدينة دمشق تمثل الصخرة التى تحطمت عليها محاولات نور الدين لاستكمال توحيد الجبهة الاسلامية المتحدة ، بسبب ميل حاكمها مجير الدين أبق الى الصليبيين ، وتحالفه معهم[5] ، واستنجاده بهم[6] كلما تقدمت اليها القوات الاسلامية لضمها الى الجبهة الاسلامية ، لذلك لجأ نور الدين الى أعمال الحيلة فراسل مجير الدين واستماله وأتحفه بالهدايا ، وأظهر له المودة حتى وثق به ، ثم صار يكاتبه فى بعض الأوقات ويقول له : « ان فلانا — ويذكر بعض الأمراء الذين فى خدمة مجير الدين — قد كاتبنى فى تسليم دمشق »[7] وبتلك الحيلة نجح نور الدين فى بذر بذور الفرقة بين مجير الدين وبين أمرائه ، إذ انقلب عليهم ، فتارة يجرد أحدهم من اقطاعه ، وتارة يقضى على البعض الآخر ، وظل الأمر على هذا الحال الى أن خلت دمشق من معظم الأمراء ، وعندئذ قدم على مجير الدين أحد الامراء ويسمى عطاء بن حافظ السلمى ، كان نور الدين يعلم مدى قوته ، وأنه لن يتمكن من دخول دمشق فى وجود هذا الرجل ، فذكره من بين الأمراء الذين كاتبوه ، فقبض عليه مجير الدين ، وأراد قتله ، فقال له عطاء بن حافظ : أن الحيلة

---

(١) Gregory the Priest, continuation of Matthew of Edessais chroniche, in R.H.C Doc. Arm,. Vol, 1; PP, 161 - 162

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٣١٠ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

(٤) Michael the Syrian, op. cit, vol. 111, p. 295.

(٥) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٢٦

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ١٩٧ ، وايضا : William of Tyre, op, cit, vol.11,p.149

(٧) ابن العديم : المصدر السابق جـ٢ ، ص ٣٠٤ .

قد تمت عليك فلا تقتلني فانه سيظهر لك ماأقول فلم يصغ الى قوله وقتله[1] .

وبهذا تكون الخطوة الأولى من حيلة نور الدين قد نجحت ، وجعلت مجير الدين يتخلص من غالبية أمرائه داخل المدينة . أما الخطوة الثانية فقد جاءت عندما استغل نور الدين سخط العامة ورجال الحامية وتذمرهم ضد مجير الدين بسبب ميله للصليبيين ، وبسبب الضائقة الاقتصادية التي كانت تعاني منها المدينة وقتذاك[2] . فراسلهم نور الدين واستمالهم ، فمالوا اليه ، ووعدوه بالمساعدة وتسليم المدينة اليه[3] ، لما اشتهر به من العدل والديانة والاحسان[4] ، وبذلك ضمن نور الدين المساعدة من جانب سكان المدينة فى حالة اقتحامها . وأخيرا جاءت الخطوة الثالثة والاخيرة من مراحل الحيلة عندما أرسل نور الدين قائدة أسد الدين شيركوه من قبله الى مجير الدين ، ولكن الاخير رأى الجيش فى صحبة المبعوث ، فلم يسمح له بدخول المدينة ، ولم يستقبله[5] ، فاعتبر نور الدين فى ذلك اهانة لمبعوثه ، وبدأ فى الاستعداد لاقتحام المدينة . وفى صفر ٥٤٩هـ/أبريل ١١٥٤م هاجمت قوات نور الدين أسوار دمشق[6] ، وفى الوقت نفسه ثار العامة الذين راسلهم نور الدين فى داخل المدينة[7] . ويوضح كل من ابن القلانسى وأبو شامة أن مجير الدين لم يكن مكروها من أهالى دمشق من المسلمين فحسب ، انما أيضا من غير المسلمين ، اذ يشيران الى أن امرأة يهودية قد ألقت بالحبل من فوق سور المدينة فتسلق عليه بعض جند نور الدين ، واعتلوا السور ، بينما أسرع نفر آخر من أهالى المدينة بتحطيم أغلاق ابواب السور وفتحها لدخول بقية العسكر[8] .

أما مجير الدين فعندما شعر بأن زمام الأمور قد بدأ يفلت من بين يديه ، استنجد

(١) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ٢ج فى مجلد واحد ، القاهرة ١٢٨٧هـ ، ج١ ، ص ٩٥ .

(٢) إبن القلانسى المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ١٩٨ .

(٤) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .

(٦) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .

(٧) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ١٩٨ .

(٨) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٢٧ ، ابو شامة : المصدر السابق ، جـ١ ص ٩٦ .

بالصليبيين وبذل لهم الأموال ، ووعدهم بتسليم قلعة بعلبك[1] اليهم اذا هم ساعدوه لجعل نور الدين يرحل عنه ، فزحفوا لنجدته ، ولكنهم وصلوا بعد أن تسلم نور الدين دمشق ، فعادوا بخفى حنين[2] .

لم تقتصر أعمال الحيلة لنور الدين عند هذا الحد ، انما كان أيضا يخادع مليح ابن ليون الأرمينى أمير قليقية (١١٧٠ — ١١٧٥م/٥٦٥ — ٥٧٠هـ) ويستميله حتى جعله فى خدمته ، وكان يقاتل به الصليبيين ، وذلك لان بلاده كانت حصينة ، ووعرة المسالك ، وقلاعه منيعة ، وليس للمسلمين اليها طريق[3] ، فأقطعه نور الدين اقطاعات فى المناطق الاسلامية ولما قيل له فى معنى استخدامه واعطائه الاقطاع من بلاد الاسلام قال : أعتمد عليه فى قتال الصليبيين ، وأريح بذلك عسكرى[4] . ولاريب أن نور الدين كان صائبا فى هذا الاتجاه لأن الذى أهدى به ابن ليون مهما بلغت قيمته لايعادل تكلفة خروج القوات الى تلك المناطق وتحملها المشاق والعناء ، ومايلحق بها من اضرار .

كما استخدم نور الدين الحيلة العسكرية لاجبار الصليبيين لفك الحصار ومحاربة قواته ، فعندما ضعفت الدولة الفاطمية ، وتطلع كل المسلمين وعلى رأسهم نور الدين محمود ، والصليبيين وعلى رأسهم عمورى الأول Amury 1 ملك بين المقدس الصليبى (١١٦٣ — ١١٧٤م ٪ ٥٥٨ — ٥٦٩هـ) الى مصر للسيطرة عليها ،

---

(١) بعلبك : مدينة بالشام ، تقع بالقرب من مدينة دمشق ، على بعد مسيرة ثلاثة أيام منها وكانت مدينة حصينة على سفح جبل لبنان ، ويحيط بها سور عرضه عشرون شبرا ، وأرضها خصبة ، ويشق الماء وسطها . راجع : البغدادى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨ ، البكرى : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، ٢ج ، بيروت (بدون تاريخ) جـ١ ، ص ٢٦٠ ، الحميرى: الروض المعطار فى خبر الاقطار ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٩ .

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٠٥ ، وايضا :
William of Tyre, op. cit., vol. 11, P. 204

(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٨ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٣٨٧ ، وايضا :
William of Tyre, op. cit,. vol. 11. pp. 332, 340.

بأساليب مختلفة ، وطرق متعددة ، وجنوا من وراء ذلك ثمارا عديدة وتنحصر تلك الأساليب فيما يلى :

أولا : الكمائن : استخدم المسلمون الكمائن للتربص بالقوات الصليبية والانقضاض عليها ، وانزال الهزائم بها ، وكان فن إستخدام الكمائن له أسس يجب مراعاتها عند اختيار جند الكمائن وخيولهم وأسلحتهم ، ومكان الكمين ، وما يجب عليهم عند بدء الكمين ، وتمثلت تلك الأسس فى عدة نقاط :

(١) اختيار الجند :

يجب أن يختاروا من بين العارفين بأحوال الخيول وآلاتها ، ولديهم بعض المعرفة بشئون البيطرة ، كى يكونوا قادرين على اصلاح الآلات والأسلحة ، وعلاج الخيل حين تدعوا الضرورة الى ذلك ، وأن يكونوا ممن لهم دراية جيدة بركوب الخيل وحركاتها فى الحرب ، وممن لديهم صبر وجلد فى السعى على الأقدام ، ومن العارفين بمواقع الدروب ومسالكها والمدافعة ومحاورة الفرسان[١] ، وألا يكون بأحد منهم علة[٢] ، وأن يكونوا أشجع فرسان العسكر ، وأكثرهم دراية بشئون الحرب ، وأعرفهم بالتجارب ، ذلك لأنهم ينفردون عن العسكر ويكونون فى مكان ليس لهم فيه من يعينهم ولاينجدهم ، ويجب أن يكون عليهم مقدم عارف بأمور الحروب ، عالم بأحوال الأماكن الصالحة للاختفاء[٣] .

(٢) الخيول :

يجب ألا يكون بها علة[٤] ، وتنتقى من بين السوابق الجيدة ، سالمة الحوافر ، وتختار جميعها إما من الذكور أو من الاناث ، لأنه لو اجتمع الذكور مع الأناث

---

(١) الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٤٢
(٢) الهرثمى : المصدر السابق ، ص ٥٠ .
(٣) الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٧١ .
(٤) الهرثمى : المصدر السابق ، ص ٥٠ .

وتوالت الحملات الاسلامية والصليبية على مصر[1] ، وجرت بينهما كثير من المعارك ، ومنها ماحدث عندما أرسل نور الدين عام ١١٦٩م / ٥٥٩هـ حملته الاولى على مصر بقيادة قائده أسد الدين شيركوه ومعه أبن أخيه صلاح الدين لمساندة الوزير الفاطمى شاور . ولكن الاخير تراجع عن عهوده ، وتنكر لأسد الدين شيركوه ، فما كان من قائد نور الدين الا أن توجه الى مدينة بلبيس واعتصم بداخلها ، عندئذ استنجد شاور بالملك الصليبى عمورى ، الذى لبى النداء ، وقدم على وجه السرعة ، وشارك بقواته مع جيش شاور فى حصار مدينة بلبيس وبداخلها قوات نور الدين . وعندئذ لجأ الاخير الى أعمال الحيلة ، فهاجم قلاع الصليبيين فى بانياس وطبرية ، وجمع أعلام الصليبيين وراياتهم وأرسلها مع أحد رجاله الى أسد الدين شيركوه لادخالها اليه خفية ، وطلب منه أن يرفعها على أسوار مدنية بلبيس ، فلما رأى الصليبيون تلك الأعلام والرايات خافوا على أملاكهم ، وانزعجوا ، وعجلوا بالرحيل الى الشام[2] .

وهكذا يتضح من العرض السابق أن المسلمين قد قاموا بأعمال الحيل العسكرية ضد الصليبيين بعد وصولهم الى الشرق الأدنى الاسلامى بسنوات قلائل ، وظلوا على استخدامها أثناء الصراع الصليبى الاسلامى ، وحققوا من وراء ذلك مكاسب عديدة سواء أكانت استعادة بعض المدن الاسلامية ، أو ضمها للجبهة الاسلامية المتحدة بعد حركة اليقظة فى بواكير القرن السادس الهجرى (بدايات القرن الثانى عشر الميلادى) أم بالقبض على بعض القادة الصليبيين ، أم باجبار الفرنج على فك الحصار عن المدن الاسلامية .

أما عن الخدع العسكرية فقد استخدمها المسلمون أثناء صراعهم مع الصليبيين

---

(١) عن تلك الحملات راجع : ابن الأثير : المصدر السابق جـ١١ ، ص ٢٩٨ ــ ٣٠٠ ، ٣٢٤ ــ ٣٢٧ ، ٣٣٥ ــ ٣٤٣ ، وايضا :

William of Tyre, op. cit.,VOL.111, PP. 332 - 340

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ ــ ٣٠٠ ، وايضا :

William of Tyre, op. cit., vol. 11, PP.295 - 300

Michael the; syrian , op. cit. VOL.111, PP. 332 - 333

ربما أوجب ذلك اثارة جلبة من صهيل الخيل أوصياحها ، فيؤدى إلى العلم بالكمين[1] ، كما يجب ألا يكون فيها حرن أو جماح[2] .

(٣) الأسلحة :

يجب أن تحفظ غالبية الأسلحة فى جعاب أو حقائب جلدية حتى لاتحدث خشخشة أو أصوات يستدل منها الاعداء على مكان الكمين[3]

(٤) مكان الكمين :

يجب أن يكون موضع الكمين خفيا مستترا ، وأن يكون مما يحتمل الاقامة فيه اذا دعت الحاجة الى طول الاقامة ، بأن يكون فيه الماء والمرعى وسائر مايحتاج اليه الكمناء قدر الامكان[4]

(٥) مايجب على المكمنين عند بدء الكمين :

أول مايجب عليهم أن يختاروا من بينهم رجلا ممن يوثق به ويتحقق بنصيحته ، حتى اذا كان خلاف ذلك ، ربما يميل الى الأعداء ، ويدلهم على الكمين ، وتكون مهمته رصد تحركات الأعداء والابلاغ ، وعلى المكمنين أن يتجنبوا التعرض للصيد من الطير أو الحيوان ، حتى لاينتج عنه نفار الطير أو الحيوان فيستدل على ذلك أهل البصيرة من الأعداء ويعلموا بالكمين ، ويتعين بأن يكون وقت ظهور الكمين فى حال غفلة الأعداء ، وذلك عند حطهم عن دوابهم واراحتها ، ويختاروا الأوقات المناسبة كأحر ساعة فى الصيف ، وأبردها فى الشتاء ، وإذا لم يظفروا بمباغتة الأعداء ، فعليهم الاسراع بالعودة الى مكمنهم[5] .

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٢٠ .
(٢) الهرثمى : المصدر السابق ، ص ٤٨ — ٤٩ .
(٣) الهرثمى : المصدر السابق ، ص ٤٩ .
(٤) الأنصارى : المصدر السابق ، ص ٧٢ .
(٥) الأنصارى : المصدر السابق ص ٧٢ ، الهرثمى : المصدر السابق ، ص ٥٠ .

استخدم المسلمون أسلوب الكمائن فى الحيل العسكرية منذ قدوم الصليبيين الى الشرق الأدنى الاسلامى. ففى أثناء الحصار الصليبى لمدينة أنطاكية عام ١٠٩٧م/٥٩٠هـ ، تسللت جماعات من الحامية الاسلامية الى خارج المدينة ، ونصبت الكمائن للصليبيين الذين ابتعدوا عن معسكرهم أمام أنطاكية ، ونجحت احدى الجماعات فى أن تنصب كمينا للفرقة الصليبية التى كان يقودها كل من الأميرين الصليبيين بوهند النورماندى وريموند الصنجيلى ، وأنزلت بقواتها الهزيمة ، ففر الأميران مذعورين ، وعادا الى المعسكر الصليبى[1] .

وإذا كان أسلوب الكمائن له نمط واحد ، فان المسلمين قد طبقوه أثناء صراعهم بأساليب مختلفة . فعندما علم المسلمون مدى معاناه الصليبيين لنقص المؤن لديهم أثناء حصارهم لحصن الأكراد[2] فى عام ١٠٩٩م /٤٩١هـ . فتح المدافعون عن الحصن أحد الأبواب ودفعوا ببعض الماشية ، فانشغل الصليبيون بمطاردتها ، والامساك بها ، بينما انقض كمين من المسلمين خارج الحصن على الصليبيين بقيادة أميرهم ريموند الصنجيلى ، فأنزلوا بهم الهزيمة ، وكادوا يظفرون بأسره ، بعد مقتل معظم قواته[3] ، وبذلك يتضح أن الأمير الصليبى ريموند قد واجه الهزيمة على يد المسلمين فى حادثتين ، استخدم فيهما المسلمون خدعة الكمين ولكن بأسلوب مختلف وفى ظروف مختلفة .

استمر المسلمون فى استخدام خدعة الكمائن فى ظروف مختلفة استغلوها لانزال الخسائر بالصليبيين . فعندما شرع الصليبيون فى حصار مدينة بيت

---

(١) Raimondi d'Aguilers, Historia Francorum qui aperunt Jerusalem, in R.H. C.-H. Occ. Vol.III, Paris 1866. P. 248

08Albert d'Aix, Op. cit., PP. 383-384

(٢) حصن الاكراد : حصن منيع يقع غربى مدينة حمص ، وعلى جبل الجليل المتصل بجبل لبنان ، راجع أبوا الفدا : تقويم البلدان ، باريس ١٩٨٠ ، ص ٢٥٩ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٨ح ، القاهرة ١٣٢٤ ، جـ٧ ،ص٦٤ ،البغدادى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٦ .

(٣) حسن حبشى : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٠٩ وأيضا :
Raimondi d'Aguilers, op. cit., pp. 273-274

المقدس فى عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ أخذوا يعانون من قلة المياة ، فاستغل المسلمون تلك المعاناة ووضعوا الكمائن على طول الطريق الممتد من المعسكر الصليبى ، وحتى ينابيع المياه على مسافة ستة أميال وقد نجحت تلك الكمائن فى قتل كثير من الصليبيين الذين توجهوا للحصول على المياه[١] كما إنتهز المسلمون جهل الصليبيين بالمسالك والدروب ، ونصبوا لهم كمينا فى العام نفسه عند مدينة الرملة ، وقتلوا الكثير منهم[٢] ، وأيضا انتهز طفتكين حاكم دمشق توجه بعض الصليبيين الذين ضربوا الحصار حول مدينة صور عام ١١١١م/٥٠٥هـ إلى المناطق القريبة من المدينة لجمع الاعلاف لخيولهم ، فنصب لهم كمينا ، نتج عنه قتل بعض فرسانهم ، ووقوع البعض الآخر فى الأسر[٣] .

لم تثمر أعمال الكمائن فى احداث الخسائر فى الجانب الصليبى فحسب ، انما ساعدت أيضا فى أسر أعداد كبيرة من فرسانهم ، فعندما حاول الملك الصليبى بلد وين الأول Baloduin 1 (١١٠٠ — ١١١٨م—٥٠٤ — ٥١٢هـ) التصدى لهجمات مودود أتابك الموصل ، والذى كان يسعى انذاك جاهدا لتوحيد الجبهة الاسلامية ومعه طغتكين حاكم دمشق ، وسارع الملك الصليبى بالتوجه بقواته فى عام ١١١٣م/٥٠٧هـ الى المنطقة التى تقع جنوب غربى بحيرة طبريه ، والمعروفة بجسر الصنبرة ، وقد نصبت القوات الاسلامية كمينا للصليبيين نجح فى أسر معظم قوات الملك الصليبى ، بينما تمكن بلدوين من الفرار بصعوبة بالغة[٤]

(١) حسن حبشى : المرجع السابق ، ص ١١٥ ، وأيضا :
Raimondi d'Aguilers, op. cit. p. 293

(٢) حسن حبشى : المرجع السابق ، ص ١١٦ ، وأيضا :
Raimondi d'Aguilers, op. cit. pp. 294-295

(٣) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٧٨ ، ابن الأثير : المصدر السابق جـ ١٠ ، ص ٤٨٨ ، وأيضا :
Albert d'Aix, op. cit., pp. 492-493

(٤) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٨٥ ، ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٠ ص ٤٩٦ ، وأيضا :
Fulcher of Chartres A History of the Expedition of jerusalem (1095 - 1127), Tennessee, U.S.A., 1969, p. 190; William of Tyre, op. cit., VOL.I. P. 306

وجدير بالاشارة ، أن أعمال الكمائن ضد الصليبيين لم تكن قاصرة على القوات العسكرية فحسب ، وانما شاركت فيه أيضا القبائل العربية ففى عام ١١١٩م/ ٥١٣١هـ قام جوسلين دى كورتناى Joscelin de Courtenay حاكم امارة الرها (١١١٨ ـــ ١١٣١م / ٥١٨ ـــ ٥٢٦هـ) ، ومعه اثنان من كبار بارونات الجليل وهما الأخوان جودفرى Godfrey ووليم دى بيورى William de Bury ، قاموا بشن الغارات على طائفة من طى يعرفون ببنى خالد وبنى ربيعة ، أقاموا فى المنطقة الواقعة شرق الأردن ، وقد بدأ الصليبيون ببنى خالد ، فهاجموهم واستولوا على مامعهم ، وعزموا القصد أن يبادروا بنى ربيعة فى صباح اليوم التالى بالهجوم ، فما كان من بنى خالد الا أن أخبروا اخوانهم بأنباء الهجوم الصليبى ، فاستعدوا له ، ونصبوا كمينا للصليبيين ، نجحوا من خلاله فى أسر غالبية القوة الصليبية وقوامها مائة وخمسين فارسا كان من بينهم وليم دى بور وأخوة جود فرى ، بينما ضل جوسلين الطريق ، ولما بلغه خبر الوقعة ، عاد مسرعا الى طبرية[1] . واذا كان هذا الكمين قد آتى ثماره ، الا أننا يجب ألاّ ننسى أن اخبار بنى خالد اخوانهم بالهجوم الصليبى هو الذى دفع بنى ربيعة فى اعداد الكمين .

هذا عن خدعة الكمين التى طبقها المسلمون سواء أكانوا من الفرق العسكرية أم من رجال القبائل ضد الصليبيين ، ونجحوا من خلالها فى إحراز النصر عليهم ، أما عن بقية أنواع الخدع العسكرية فتتمثل فيما يلى :

ثانيا : الإرتداد الظاهرى :

أتاحت خفة الحركة للفرسان المسلمين القيام بأنواع مختلفة من الخدع العسكرية ، ومن بينهما خدعة الإرتداد الظاهرى التى كان يصحبها عادة نصب الكمائن ، اذ كانت بعض فرق الجيش الاسلامى تتظاهر بالهزيمة وتقوم الإرتداد لدفع المهاجمين الصليبيين الى ملاحقتهم ، والتوجه الى مكان الكمين ، فيتم الاطباق عليهم . وقد مارس المسلمون هذا النوع من الخدع العسكرية

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ج ١٠ ص ٥٥٥-٥٥٦ ، ابن العديم : المصدر السابق ج٢ ، ص ١٩٤ .

بأساليب مختلفة . ففى عام ١١٠٠م/٤٩٤هـ هاجم الصليبيون مدينة جبلة ، ونجحوا فى احداث ثغرات فى سورها ، فخرج اليهم أبو صليحة حاكم المدينة بجماعة من جيشه عن طريق باب المدينة وأخذ يقاتلهم ، وتظاهر بالهزيمة والإرتداد ، فأخذ الصليبيون يلاحقونه ، وفى تلك اللحظة كان الجيش الرئيسى لأبى صليحة قد خرج من المدينة ، وأطبق على الصليبيين من خلفهم وأحرز النصر عليهم[١] .

كان لخدعة الإرتداد الظاهرى الفضل الأكبر فى انتصار المسلمين على الصليبيين فى معركة حران[٢] عام ١١٠٤م/٤٩٧هى . اذ التقى الجيشان الاسلامى والصليبى فى السهل الشاسع الذى يقع جنوب نهر البليخ[٣] .

مما منح المسلمين أرضامستوية شاسعة كى يمارسوا عليها خدعهم العسكرية اذ تظاهرت ميمنة جيش المسلمون بالهزيمة ، وأخذت فى الارتداد فظنت ميسرة الجيش الصليبى وعلى رأسها جوسلين دى كورتناى حاكم الرها أن النصر على المسلمين بات وشيكا ، فأخذت تطارد الميمنة الاسلامية الى أن انفصلت عن بقية الجيش الصليبى حتى اقتربت من موضع كمين القوات الاسلامية بالقرب من مجرى النهر ، وعندئذ خرج رجال الكمين وواجهوا الميسرة الصليبية ، بينما استدارت ميمنة الجيش الاسلامى ، فأطبق المسلمون على الصليبيين ، وأنزلوا بهم القتل والأسر ، أما بقية الجيش فأصبحت مهمته سهلة — بعد أن إنكشفت ميسرة الجيش الصليبى — من احراز النصر على بقية الصليبيين[٤] وهكذا كانت

---

(١) إبن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣١١ ، وأيضا :

Albert d'Aix, op. cit., p. 583

(٢) حران : هناك عدة مواضع تحمل هذا الاسم ، والمقصود هنا المدينة التى تقع بالقرب من الرها عند ملتقى الطرق فى شرق الفرات ولاسيما طريق الشام وطريق الجزيرة ، راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ — ٢٣٢ ، البغدادى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٨٩ .

(٣) البليخ : نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون أعظمها عين يقال لها الذهبانية فى أرض حران ، راجع ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ١ ص ٣٧٤ ، البغدادى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٢١ ،

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ٣٧٣ — ٣٧٥ ، ابن العديم : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٨ ، وأيضا :

خفة الحركة ووجود أرض سهلة متسعة قد مكنت المسلمون من القيام بخدعة الإرتداد الظاهرى لاغراء الصليبيين على التوجه الى مكان الكمين ، وكان من نتائج تلك المعركة ابادة معظم الجيش الصليبى الذى كان قوامه ـــ على حد قول المؤرخين الغربيين فوشيه دى شارتر وألبرت الأخينى ـــ حوالى عشرة آلاف محارب[1] ، وتم أسر العديد من القادة الصليبيين على رأسهم الملك الصليبى بلدوين الأول ، وجوسلين حاكم أمارة الرها[2] .

لم يقف الصليبيون مكتوفى الأيدى أمام تلك الخدع العسكرية ، انما تنبهوا لها ، وعملوا على الحيلولة دون نجاح المسلمين فى تحقيقها ، فعندما جرت الإشتباكات بين قوات تنكريد Tancred أمير أنطاكية (١١٠٤ ـــ ١١١٢م / ٤٩٨ ـــ ٥٠٦هـ) وبين قوابت رضوان بن تتش حاكم حلب (٤٨٩ ـــ ٥٠٧هـ / ١٠٩٥ ـــ ١١١٣م) فى عام ١١٠٥م / ٤٩٨هـ ، قام الصليبيون باستدراج القوات الاسلامية الى المنطقة الصخرية فى غربى مدينة حلب ، كى لايستطيع المسلمون التحرك بخفة فى تلك المنطقة ، وممارسة أعمال الخدع العسكرية ، لذا انتهت المعركة فى غير صالح المسلمين[3] . والتساؤل الذى يفرض نفسه بعد تلك الحادثة هو : هل أثرت تلك الهزيمة على المسلمين ، وجعلتهم يقلعون عن ممارسة خدعة الارتداد الظاهرى ؟ .

William of Tyre, op. cit. vol.I, P. 459;

Albert d'Aix, Op. cit., pp. 614-616

(1) Fulcher of ChartRes, op. cit., pp. 177 - 178; Albert d'Aix, op. cit., P. 614.

(2) Michael the Syrian, op. cit., vol 111, p. 165

Radulph of Caen, Gesta Tancredi Sicliiae Regis in Expediation Hierosoly mitana, in R.H.C.-H. Occ., vol. 111. p, 710

(٣) ابن القلانسى: المصدر السابق ، ص ١٤٨، ابن العديم : المصدر السابق جـ٢ ، ص ١٥٠ ـــ ١٥١، وأيضا :

Albert d'Aix, op. cit., pp. 612 - 622;

Radulph of Caen, op. cit.pp. 714 p- 715.

لم تؤثر هزيمة المسلمين عام ١١٠٥م / ٤٩٨هـ على ممارستهم لخدعة الارتداد الظاهرى ، انما استمروا فى القيام بها ضمن خططهم العسكرية بل استخدموها ضد القوات الصليبية بقيادة الملك الصليبى بلدوين الاول وجوسلين دى كورتناى حاكم الرها بعد أن تم اطلاق سراحهما ، والذين سبق أن انهزما بفضل قيام المسلمين بتلك الخدعة . ففى عام ١١١٣م / ٥٠٧هـ التقى الجيشان بالقرب من بحيرة طبرية ، ونجح المسلمون فى إستدراج القوات الصليبية الى موضع الكمين بالقرب من جسر الصنبرة[1] ، وأحرزوا النصر عليهم وهذا يدل على أن المسلمين استخدموا أساليب مختلفة لاغراء الصليبيين على ملاحقتهم الى موضع الكمين .

ومن بين تلك الأساليب التى قام بها المسلمون لانجاح خدعة الارتداد الظاهرى ما جرى عام ١١١٥م/ ٥٠٩هـ عندما التقى الجيش السلجوقى بقيادة برسق بن برسق ، والقوات الصليبية بقيادة روجر Roger أمير أنطاكية (١١١٢ — ١١١٩م /٥٠٦ — ٥١٣هـ) ومعه بونز Pons أمير طرابلس (١١١٣ — ١١٣٧م/٥٣٢ — ٥٠٧هـ) ، والملك الصليبى بلدوين الثانى (١١١٨ — ١١٣١م/٥٢٦هـ) أمام مدينة كفرطاب[2] ، والتى كانت انذاك بحوزة الصليبيين ، بينما كانت قوات برسق تحاصرها فى محاولة لاستردادها ، وعندما رأى برسق تلك الحشود الصليبية الضخمة تظاهر بفك الحصار حول كفرطاب ،

---

(١) عن أحداث تلك المعركة راجع ماسبق .

(٢) كفرطاب : بلدة فى الشام ، تقع بين مدينة معرة النعمان وبين معرة النعمان راجع : البغدادى . المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١١٧ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ٥١٠ ، ابن العديم : المصدر السابق جـ٢ ، ص ١٧٤ — ١٧٥ ، وأيضا :

William of Tyre, op. cit., pp. 501 - 353;

Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 211 - 212;

Albert d'Aix, op. cit., p. 701

والعودة الى اقليم الجزيرة ، فظن الملك الصليبي بلدوين ومعه بونز وروجر أن الخطر قد زال ، فعاد كل منهم الى منطقة نفوذه ، بينما استدار برسق فى سرعة فائقة وهاجم كفرطاب ، ونجح فى إستردادها[1].

أنزلت تلك الخدعة العسكرية الخوف والهلع فى قلوب الصليبيين وجعلتهم يتوقعون أن يقوم المسلمون بها فى معظم معاركهم معهم ، ومن ثم أخذوا يتوخون الحذر فى ملاحقة المسلمين خوفاً من الوقوع فى الكمائن ، ففى عام ١١٥٨م/٥٥٣هـ جرت المعركة بين قوات نور الدين محمود ، وبين القوات الصليبية بقيادة مليكهم بلدوين الثالث (١١٤٤ ــ ١١٦٢م/٥٣٩ ــ ٥٥٨هـ) بالقرب من بحيرة طبرية ، وكان النصر فى تلك الوقعة حليف الصليبيين إذ اخذت القوات الاسلامية فى التراجع ، بينما خشى الصليبيون أن يكون ذلك التقهقر دربا من دروب الخدع العسكرية المعهودة عند المسلمين على أنفسهم فى معاركهم مع الصليبيين ، فتواجهوا عن متابعة الفلول الاسلامية وضيعوا على أنفسهم فرحة احراز النصر على المسلمين ، واستغلال حالة الاضطراب التى عمت صفوفهم ، وذلك خوفا من الوقوع فى الكمين[1] .

إستمر المسلمون فى ممارسة خدعة الارتداد الظاهرى ، بالرغم من أن الصليبيين قد فطنوا لها ، وحذروا منها ، فبينما كان السباق على أشده بين قوات نور الدين بقيادة أسد الدين شيركوه ، وبين الصليبيين بقيادة مليكهم عمورى الأول للفور بضم مصر فى وقت كانت فيه الخلافة الفاطمية فى طور الاحتضار قام نور الدين بدوره فى مهاجمة الممالك الصليبية فى الشام تدفع الصليبين الى سرعة العودة ، والرحيل عن أرض مصر للدفاع عن ممالكهم[2] اذ هاجم نور الدين فى عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ حصن حارم ، والذى كان آنذاك بحوزة الصليبيين ، ويخضع لسيطرة بوهمند الثالث أمير أنطاكية (١١٦٣ ــ ١٢٠١م/٥٥٨ ــ ٥٩٨هـ.) فاستنجد بوهمند بريموند الثالث Raymond III أمير طرابلس (١١٥٢ ــ ١١٨٧م/

---

(١) ابن القلانسي المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ، وأيضا :

William of Tyre, op. cit., vol. II, pp. 271 - 272

(٢) ابن الأثير المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٣٠٢

٥٤٧ ـــ ٥٨٣هـ) ، وثورس الثانى Thoros II أمير أرمينية (١١٤٤ ـــ ١١٦٧م/٥٣٩ ـــ ٥٦٢هـ) ، قنسطنطين كولومون Constantin Colomon القائد البيزنطى فى قليقية ، وتوجه بتلك الحشود الصليبية لمواجهة قوات نور الدين ، واصطف الفريقان للقتال واتفق المسلمون على أن تتظاهر ميمنة جيشهم بالهزيمة ، وتقوم بالانسحاب حتى تجذب فرسان الصليبين خلفها ، فيبتعدوا عن المشاة[1] . وعندما بدأت المعركة ، نفذت قوات الميمنة الاسلامية ما دبروه من خدعة ، فلما ابتعد فرسان الفرنج عن المشاة ، هجم بقية الجيش الاسلامى على المشاة وابادوهم ، وعندما أيقن الفرسان خطورة ابتعادهم عن المشاة ، استداروا لنجدتهم ، ولكن بعد فوات الأوان . اذ استدارت الميمنة الاسلامية هى الاخرى ، وأصبح الفرسان محاصرين بين القوات الاسلامية وعجزوا عن الفرار وأكثر فيهم المسلمين القتل والاسر ، فكان من جملة الاسرى بوهمند ، وريموند وقسنطنطين كولومون، بينما نجح ثورس فى الفرار من أرض المعركة [2] .

واذا كان نور الدين قد حقق الظفر على الصليبيين فى الشام باستخدام تلك الخدعة ، فان قائده أسد الدين شيركوه قد أصاب نفس النجاح على أرض مصر ، باتباع الخدعة نفسها ، مع إدخال بعض التعديلات الطفيفة عليها . فعندما تجمع الجيش الصليبى بقيادة الملك عمورى الأول ، ومعه جيش الوزير الفاطمى شاور ، لمواجهة قوات أسد الدين شيركوه عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ التقى الجمعان فى منطقة الصعيد عند موضع يسمى بالبابين عندما اصطف الفريقان للقتال ، عرف شيركوه أن حملة الصليبيين ستكون على القلب ظنا منهم أنه يتولى قيادته ، لذا وضع الاثقال فى القلب ، وجعل ابن أخيه صلاح الدين على قيادته ، وطلب منه أن يتظاهر

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، حـ١١ . ص ٣٠٣ .

(٢) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ١ . ص ١٣٣ ـــ ١٣٤ . ـ وصل : المصدر السابق ، جـ١ ص ١٤٥ ، وأيضا :

William of Tyre, op. cit., pp 307 - 308

Micheal the Syrian, op. cit . ... III, p. 324

بالهزيمة والارتداد عند حملة الفرنج عليه ، ويظل فى الارتداد ولا يقاتلهم ، فاذا عادوا منه عليه بالرجوع فى أعقابهم ، بينما اصطحب شيركوه جماعة من خيرة فرسانه ووقف بهم فى الميمنة ، فلما تقاتلت الطائفتان ، جرى ماتوقعه شيركوه اذ حمل الفرنج على القلب ، وأخذوا فى ملاحقة قوات صلاح الدين ، فحمل شيركوه على من تبقى من جيش الفرنج وشاور ، وأكثر فيهم القتل والأسر ، فلما شعر الملاحقون من الفرنج بذلك ، عادوا مسرعين ، فأطبق عليهم المسلمون وأحرزوا النصر عليهم[1] .

ثالثا : الهجوم التمويهى :

ومن الخدع العسكرية الاسلامية أيضا ما يعرف بالهجوم التمويهى وذلك بأن تتظاهر القوات الاسلامية بالهجوم على منطقة لتحويل أنظار الصليبيين عن الهجوم الرئيسى ، ففى عام ١١١٩م/٥١٣هـ كانت الوقعة بين القوات الصليبية بقيادة روجر أمير أنطاكية وبين القوات الاسلامية بقيادة ايلغازى الأرتقى ، اذ تقدم الفرنج الى المنطقة الجبلية شمالى قلعة ، الأثارب[1] ، وظنوا أن أحدا لايسلك اليهم لضيق الطريق ، وخلدوا الى السكون ، وراسلوا ايلغازى يقولون له لاتتعب نفسك بالمسير الينا ، فنحن واصلون اليك[2] وأراد إيلغازى أن يحول أنظار الصليبيين عن تقدم قواته لتطويقهم ، فأرسل سراياه لمهاجمة قلعة الأثارب[3] فظن الفرنج أن المسلمين قد تحولوا عنهم لهجوم آخر ، فلم يشعروا الا والقوات الاسلامية قد غشيتهم ، وأحاطوا بهم من جميع الجهات ، وحملوا عليهم ضربا بالسيوف ورشقا بالسهام ،

(١) قلعة الأثارب : فى شمال الشام ،وتقع بين مدينتى حلب وأنطاكية ، راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ١ ص ١١٤ ، البغدادى : المصدر السابق جـ١ ص ٢٤ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٥٥٤

(٣) ابن العديم · المصدر السابق . جـ٢ ، ص ١٨٨

فلم يفلت منهم سوى نفر يسير ، بينما كان الباقى بين قتيل وأسير ، وكان من جملة القتلى روجر حاكم أنطاكية[١] .

أثمرت خدعة الهجوم التمويهى أيضا بنجاح المسلمين فى استرداد مدينة الرها من أيدى الصليبيين ، فعندما أراد عماد الدين زنكى استعادة المدينة من حاكمها الصليبى جوسلين الثانى رأى أنه متى خرج لقصد محاصرتها اجتمع فيها الفرنج ، ودافعوا عنها ، فيتعذر عليه فتحها لما هى عليه من الحصانة[٢] ، وأنه لاينال منها غرضا مادام جوسلين بها ، فلجأ الى أعمال الخداع كى يغرى جوسلين على الخروج منها[٣] ، فتظاهر بانشغاله بمهاجمة الأراتقة فى دياربكر ، ليوهم الفرنج أنه غير متفرغ لقصد ديارهم فلما اطمأنوا وفارق جوسلين الرها ، جاءت عيون زنكى إليه فأخبرته[٤] فجمع القوات وسار تجاه الرها فى جمادى الآخر ٥٣٩هـ/نوفمبر ١١٤٤م وضرب الحصار حولها لمدة أربعة أيام ، فيئس من بداخلها من وصول النجدات اليهم ، وقاموا بعدة محاولات لفك الحصار ، انتهت بالفشل ، ونجاح القوات الاسلامية فى دخول المدينة[٥]، وكانت الرها أول حاضرة امارة

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٥٥٥ ، ابن العديم : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٨٩ — ١٩٠ وأيضا :

William of Tyre, op. cit., vol.I, pp. 523 - 526;

Albert d'Aix, op. cit., p. 683;

Fulcher of Chartres; op. cit., pp. 227 - 231

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٩٨

(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٧ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٩٨ — ٩٩

(٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٩ ، ابن العديم مصدر السابق جـ٢ ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ، ابن واصل : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٩٣ : ٩٤ وأيضا :

William of Tyre: op. cit., vol II. pp. 140 - 143:

Michael the Syrian; op. cit., vol III, pp. 259 - 263

Roger of Wendover, The Flowers of History, 2 vol., London, 1888, vol.II, pp 163 - 165

صليبية يستردها المسلمون ، وفى الوقت نفسه حاضره أول إمارة أقامها اللاتين فى الشرق الأدنى الاسلامى .

سار نور الدين محمود على نهج أبيه عماد الدين زنكى فى العمل على توحيد كلمة المسلمين وجبهتهم أثناء صراعهم مع الصليبيين ، كما سلك درب أبيه فى اتباع الحيل والخدع العسكرية فى معاركه مع الفرنج ، ومنها اتباع خدعة الهجوم التمويهى . فبعد أن فتح مدينة حارم عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ ، أراد أن يفتح مدينة بانياس ، وكانت آنذاك بحوزة الفرنج ، فقام باتباع تلك الخدعة وأظهر أنه يريد طبرية ، فتوجهت أنظار الفرنج اليها ، وعملوا على حفظها وتقويتها ، عندئذ سار نور الدين الى بانياس لعلمه بقلة من فيها من الحماة ، بعدما قتل معظم فرسانها فى معركة حارم السابقة[1] ، فنازلها ، وضيق الحصار عليها ، حتى أحرز النصر على من بداخلها ، وأعادها من أيدى الفرنج[2] .

وهكذا حقق المسلمون النصر على الصليبيين باتباع تلك الخدعة ، ونجحوا فى استعادة كثير من المدن الاسلامية التى سبق أن استولى عليها الفرنج فى وقت بدأ فيه ميزان القوى فى الصراع الصليبى الإسلامى يعتدل ــ بعدما كان فى صالح الصليبيين ، وذلك بفضل الجهود التى بذلها رواد الوحدة الاسلامية : مودود ، وزنكى ، ونور الدين محمود . ولا شك أن الصحوة الاسلامية كانت عاملا له وزنه فى انجاح الخدع الاسلامية .

رابعا : استغلال الظاهرات الطبيعية فى العمليات العسكرية :

نجح المسلمون فى الاستفادة من الظاهرات الطبيعية العديدة ، واستغلوها لمخادعة الصليبيين ، واحراز النصر عليهم ، ففى عام ١١٢٢م/٥١٦هـ التقت القوات

(١) عن تلك المعركة راجع ماسبق ص ٢٥ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، حـ١١ ، ص ٣٠٤ . ابن العديم : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٢١ . أبو شامة: المصدر السابق حـ١ ص ١٣٩ ، وأيضا :

William of Tyre, op. cit., vol. 11, p. 310

الاسلامية بقيادة ملك غازى بن بهرام صاحب خرتبرت ، بالقوات الصليبية بقيادة جوسلين دى كورتيناى حاكم امارة الرها بالقرب من بلدة سروج[1] واستغل المسلمون هطول الأمطار على السهل القريب من تلك المنطقة ، وأحالته الى أرض ردغة ، فعملوا على جذب الصليبيين الى تلك المنطقة الموحلة لعلمهم أن الصليبيين لم يعتادوا على القتال فوق سطح تلك الاراضى ، ونجحت الخدعة الاسلامية ، وأحرز المسلمون النصر على الصليبيين ، بفضل خفة حركة المحاربين المسلمين من جهة ، واعتيادهم على القتال على الأراضى الموحلة من جهة أخرى ، وكان من نتائج تلك المعركة وقوع جوسلين الثانى أسيرا فى قبضة ملك بن بهرام[2] .

استغل المسلمون الظاهرة نفسها ولكن بأسلوب مغاير ضد الصليبيين فى مناسبة أخرى ، فعندما حاول الملك الصليبى عمورى الأول غزو مصر عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ ، تصدى له الوزير الفاطمى ضرغام عند بلبيس ، واستغل فيضان النيل وقتذاك ، فحطم السدود ، فأغرقت المياه المناطق المحيطة وقتل البعض الأخر ، كما قامت القوات الاسلامية بادخال التغيرات بين الحين والآخر على تلك الخدعة العسكرية ، مما جعلها تستمر وتثمر فى الصراع الاسلامى الصليبى وتقوم بها القوات العسكرية الاسلامية ، وأيضا القبائل البدوية ، لانزال الخسائر بالصليبيين .

وبالنسبة لخدعة الارتداد الظاهرى ، فقد طبقها المسلمون بأساليب مختلفة ونجحوا عن طريقها فى احراز النصر على الصليبيين فى العديد من المعارك ، كان أشهرها على الاطلاق معركة حران عام ١١٠٤م/ ٤٩٧هـ والتى أبيدت فيها غالبية القوات الصليبية مما جعل الصليبيين يحذرون تلك الخدعة العسكرية الإسلامية ، ويضعون العراقيل فى سبيل نجاحها .

---

(١) سروج : بلدة فى منطقة الجزيرة الفراتية ، تقع بالقرب من مدينتى حران والبيرة راجع : السعدنى مصدر سابق ، جـ٢ ، ص ٧١٠ .

(٢) ابن القلانسى : مصدر سابق ، ص ٢٠٨ ، ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ [illegible] ، ص ٤٩٣ ، [illegible] مصدر سابق ، جـ٢ ، ص ٢٣ [illegible]

ومن الخدع العسكرية الاسلامية أيضا ما يعرف بالهجوم التمويهى الذى نجحوا عن طريقه فى استعادة العديد من المدن الاسلامية التى سبق أن استولى عليها الصليبيون كان أعظمها على الإطلاق مدينة الرها . وأوضحنا مدى نجاح المسلمين فى استخدام الظاهرات الطبيعية كالمطر والجبال والأنهار فى الخدع العسكرية ضد الصليبيين ، وما حققوه من ورائها من نتائج .

ومما هو جدير بالاشارة أن الحيل والخدع العسكرية الاسلامية فى الصراع الاسلامى الصليبى لم تتوقف بوفاة رائد الوحدة الاسلامية نور الدين محمود حتى عام ١١٧٤م/٥٦٩هـ وانما استمرت فى عهد صلاح الدين مؤسس الدولة الايوبية وخلفائه من بعده كما مارسها المماليك فى صراعهم مع الصليبيين الى أن تم رحيلهم عن الشرق الأدنى الاسلامى بعد سقوط اخر معاقلهم فى عكا عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ .

واذا كان المسلمون قد تفوقوا على الصليبيين فى الحيل والخدع العسكرية ، فلا يرجع ذلك الى صفات تميزوا بهم عنهم كالجرأة والشجاعة والاقدام والمغامرة فحسب ، ولايرجع أيضا الى إجادتهم لفن الحرب والقتال والتكتيك العسكرى فقط ، وانما يرجع ـــ فضلا عما تقدم ـــ الى معرفتهم التامة بجغرافية بلادهم وطبوغرافيتها ومسالكهاودروبها بينما كان خصومهم يجهلون جغرافية منطقة الشرق الأدنى ، كما يرجع الى خفة حركتهم وخفة لباسهم فى منطقة تتميز بجوها الحار ، بينما كان أعداؤهم يرزحون تحت ملابسهم الحديدية الثقيلة وخوذاتهم وجيادهم الضخمة التى لاتصلح لحرب الكروالفر والتى أتاحت للمسلمين نصب شباكهم للايقاع بهم .

Fulcher of Chartres, op. cit , p. 204; =

Matthew d'Edesse, Charonique, in R.H.C. - Doc. Arm,

VOL.|I, p. 131;

William of Tyre, op. cit., vol. 1., p. 540



الفصل السادس

معاهدات وهدنات السلام بين الدانيين وأهل الجزيرة البريطانية فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى

دراسة وتحليل

شهدت انجلترا خلال النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى حروبا عديدة، وهجمات شرسة، قام بها الدانيون[1]، كما شهدت فى الوقت نفسه فترات من الهدوء النسبى والسلم بما تم عقده من معاهدات بين الدانيين وأهل الجزيرة البريطانية.

وقد إختلف المعاهدات والهدنات التى جرى عقدها بين الجانبين من حيث أسبابها ومبرراتها، والدوافع التى أدت إلى عقدها، كذلك من حيث مكانة الموقعين عليها وما تضمنته من بنود وان كانت فى مجملها فى صالح الدانيين.

وتعد الهدنة التى تم الإتفاق عليها بين زعماء الدانيين، وأهل مملكة كنت من الجوت أول هذه الهدنات بين الجانبين خلال هذه الفترة. وقد اختلف المصادر فى تحديد تاريخ الإتفاق عليها اذ يشير إليها متى أوف وستيمنستر Matthew of Westminster ضمن أحداث عام ٨٦٣[2]، بينما يرى روجر دى هوفدن "أنها كانت فى عام ٨٦٤م[3]. أما وثائق الانجلوسكسون

---

(١) عن هذه الهجمات أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى (التاريخ السياسى)، ط ٤، القاهرة ١٩٦٦، ص ٢٣٣-٢٣٥؛ جوزيف نسيم يوسف: تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور الوسطى، الاسكندرية، ١٩٨٧، ص ١٤٥-١٥٢؛ السيد الباز العرينى: تاريخ أوربا العصور الوسطى، بيروت ١٩٦٧، ص ٣٦٠-٣٦١، محمد محمد مرسى الشيخ: تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، الاسكندرية ١٩٩٠، ص ٣٠٠-٣٠٣؛ وأيضا: أنظر بحثنا المعنون: "الغزو الدانى لانجلترا فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى فى ضوء الوثائق الانجليزية".

(٢) Matthew of Westminster, The Flowers of history, 2 vols, London, 1853, vol. I, P. 407.

(٣) Roger de Hoveden, Annals, 2 vols, London, 1985, vol. I, P. 43.

Anglo Saxon Chronicle فتشير إليهـا ضمن الأحـداث الممتـدة بين عامى ٨٦٥ - ٨٦٦م(٤).

ويأتى إختلاف المصادر كما يتضح فيما بين عـامى ٨٦٣ - ٨٦٦م وهـذا لا يمثل اختلافا جوهريا، لأن الهجمات الدانية فى هذه الفترة كانت تحـدث فـى فصل الصيف، وتتوقف تماما فى الشتاء(٥)، وعلـى هذا يمكن القول أن أهل كنت فكروا فى هذا الصلح عند بداية هجوم الدانين على كنت فـى صيف عام ٨٦٣م، ولما عـاود الدانيون الهجوم فـى العـام الثانى، أحـدثوا ذعـرا وخوفا عظيمين بين السكان مما جعل أهلها يسرعون لشراء السلم من الدانيين بعـقد هذا الصلح ورغم أن المصادر لم تشر إلى ما تم الإتفاق عليه فى هذه الهـدنة إلا أنه يمكن أن نستنتج أبرز شروطها: أن تتوقف عـمليات السلب والنهب الدانية فـى مملكـة كنت، وأن يتعـهـد الدانيون بمغـادرة المملكـة علـى وجـه السرعـة. ومما يؤكد هذا الإستنتاج ما أشارت إليـه المصـادر من أن الدانيين نكثوا عهودهم وأحرقوا الميثاق بعد أن حصلوا على المال من أهل المملكـة، وتسللوا من معسكراتهم ليلا، وقاموا بعـمليات السلب والنهب فى معظم مناطق الساحل الشرقى للمملكة، طمعـاً فى الحصول على مزيد من المكاسب(٦).

أما عن الشخصيات التى لعبت دورا فى الاتفاق على هـذه الهـدنة فليس تحديدها بالأمر اليسير، خاصة وأن إشارات المصـادر كـانت عامـة، واكتفت بالقول أنها تمت بين الدانين، وأهل كنت ولما كـان الدانيون فـى هـذه الفترة جماعات متفرقة تحت قيادة مجموعـة من الزعـماء(٧)، وأن المصادر لم تحـدد

(٤) The Anglo Saxon Chronicle, cf. English Historical Documents [E.H.D.]; 1 vols, London, 1968, Vol. I, P. 67.

(٥) Trevelyan, G., M. History of England, New York, 1928, PP. 69-90.

(٦) The Anglo Saxon Chronicle, Op.Cit., Vol. I, P. 167; Roger de Hovden, Op.Cit., Vol. I, P. 43; Matthew of Westminster, Op.Cit., Vol. I, P. 407.

(٧) Hashkins, H., The Normans in European history, 7New York, 1959, P.33.

أيضا المنطقة التى عقدت بها المعاهدة فى ممكن كنت، فإن كل ما يمكن أن نقوله فى هذا المقام، أنها تمت بين زعماء الدانيين من ناحية والايرل حاكم المنطقة التى تعرضت للهجوم قتذاك من ناحية أخرى.

وفى نفس الوقت كنا نود أن نعرض لنتائج هذه الهدنة لولا أن المصادر أشارت إلى أن الداينين لم يلتزموا بها وقاموا بخرقها بعد التوقيع عليها مباشرة، لذلك نميل إلى القول أن هذه الهدنة لم تؤد إلى نتائج مؤثرة، أو تغييرات ملموسة خاصة بالنسبة لمملكة كنت التى أمل أهلها فى انتزاع السلام والهدوء من هؤلاء الغزاة ولكن هؤلاء لم يمنحوهم ذلك بسهولة.

وتنفرد وثائق الانجلوسكسون[٨] بالاشارة إلى عقد هدنة أخرى بين الدانيين وأهل مملكة انجليا الشرقية East Angelia عام ٨٦٦م، وتشير الوثائق إلى أن سببها يرجع إلى وصول حشود كبيرة من الداينين إلى انجليا الشرقية بقيادة أبناء الملك الدانى رجنار لوثبروك Ragner Lothbrock[٩]، وأن هؤلاء الدانين نجحوا فى الاستيلاء على أعداد كبيرة من الخيول فى هذه المنطقة الانجليزية، ورغم أن المؤرخ متى اوف وستمينسر لم يشر إلى هذه الهدنة إلا أنه أوضح أسبابها عند ألمح بالإشارة إلى أن حصول الداينين على الخيول جعلتهم يتحولون من مشاه الى فرسان[١٠].

وقد أدى هذا التحول بطبيعة الحال إلى زيادة خطورتهم، مما دفع أهل انجليا الشرقية إلى الإسراع بعقد هدنه معهم،تجنبا للمخاطر التى يتعرضون

---

(٨) The Angleo Saxon Chronicle, Op.Cit., Vol. I, P. 176.

(٩) كانوا بمثابة ملوك أنظر:
Memorials of St. Edmund's Abbey, ed M. Arnold, Oxford, 1904, P. 9.

(١٠) Matthew of westminster, Op.Cit., Vol. I, P. 407.

لها نتيجة هذا التحول.، ولم تشر وثائق الانجلوسكسون إلى شروط هذه الهدنه، وإن أوضحت أنها تعد أول هدنة يوقعها الملوك الداينين مع الانجليز.

وإذا كانت وثائق الانجلوسكسون قد إنفردت بالإشارة إلى الهدنة سالفة الذكر فإن معظم المصادر أجمعت على ذكر معاهدة عقدت بين الدانيين وأهل مملكة نورثمبريا فى ابريل عام ٨٦٧م(١١). والتى ترجع أسبابها إلى التمرد الذى قام به أهل نورثمبريا ضد ملكهم(١٢)، فانتهز الدانيون هذا النزاع وهاجموا المملكة، ونجحوا فى قتل ملكها، وتعين أحد المتعاونين معهم من النور بمثريين ويدعى اجبرت Egbert ليتولى حكمها، ثم عقدوا معاهدة سلام مع أهل نورثمبريا(١٣).

أما عن شروط هذه المعاهدة كما أوردتها المصادر فيمكن أن نوجزها فى الآتى: – أن ينعم أهل نوربمثريا بالسلام، وأن يكف الدانيون عن عمليات السلب والنهب فى المملكة طالما وافق أهلها على أن يتولى حكمهم الملك أجبرت لمدة ست سنوات(١٤).

---

(١١) The Anglo Saxon Chronicle, Op.Cit., Vol. I, P. 176; Roger of Wendover, Flors Hestorarum, cf, E.H.D., Vol. I, P. 256; Roger de Hoveden, Op.Cit., Vol. I, P. 44; Matthew of Westminister, Op.Cit., P. 408.

(١٢) لمزيد من التفاصيل أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص ٢٣٣ وأيضا: بحثنا المعنون "الغز الدانى لانجلترا".

(١٣) Symeon, Monachi Opera, ed. M. Arnold, 3 vols, London, 882, Vol. III, P. 106.

(١٤) The Anglo Saxon Chronicle, Op.Cit., P. 176; Roger of Wendover, Op.Cit., Vol. I, P. 256; Roger de Hoveden, Op.Cit., Vol. I, P. 44.

وأخطر ما ترتب على هذه المعاهدة من نتائج أن الملك أحيرت صنيع الدانين نجح فى أن يسيطر على مملكتى انجليا الشرقية وكنت[١٥] إذ على الرغم بيد أنه وصل إلى الحكم بطريقة عدها أهل نوربمثريا تسللا على أكتاف الداينين إلا أن هذا الملك فيما يبدو أظهر نشاطا جما ودأبا وحماسة فى مد نفوذ مملكته وتوسيع رقعة سلطانها فى ذلك الوقت.

والتساؤل الذى يطرح نفسه فى هذا المقام هو. لماذا لم يحكم الدانيون مملكة نوربمثريا حكما مباشرا، وأختاروا جيرت كى يتولى هذه المهمة؟. ويمكن الرد على هذا التساؤل بأنه يبدو أن الداينين كانوا يفتقرون فى ذهه الفترة إلى المهارة فى الشئون السياسية ولا يستطيعون إدارة مملكة إنجليزية لها تطمها وتاريخها الطويل فى الناحية الإدارية فاختاروا أحد رجالها ممن لهم القدرة على إدارة دفة الحكم فى تلك المملكة بنجاح كى يتولى هذا الأمر، ويكون فى الوقت نفسه من صنائعهم فى المملكة، ويدين لهم بالفضل وبذلك يحقق الدانيون أكثر من هدف فى وقت واحد: أولها ضمان ادارة لمملكة بما يتمشى مع سياستهم من ناحية ومن ناحية أخرى التظاهر أمام رعايا نوربمثريا بأن الحاكم هو رجل من أهلها مما يخفف من وطأة المعارضة، وينتزع من نفوس النورثمبريين روح الحقد والكراهية للقراه الدانيين.

أما عن الشخصيات التى عقدت هذه المعاهدة فقد أشارت وثائق الانجلوسكسون إلى أنه تسعة من ايرلات نوربمثيريا[١٦] قاموا بعقد هذا الصلح مع بعض الملوك الدانيين من أبناء رجنار، لوثبروك على الرغم من أن هذه الوثائق لم تحدد أسماء هؤلاء الايرلات الانجليز أو المناطق التى حكموها من مملكة نورثمبريا.

---

(١٥) Matthew of Westminster, Op.Cit., P. 408.

(١٦) The Anglo Saxon Chronicile, Op.Cit., Vol. I, P. 176.

وإذا كانت المعاهدة التى عقدها أهل نوربمثريا مع الدانيين لها أسبابها ومبرراتها، وما ترتب عليها من نتائج فإن الهدنة التى عقدها بورجارد Burgard ملك مرسيا مع الملوك الدانيين لم يكن لها مثل المبررات السابقة إذ تشير المصادر إلى أن الجيش الدانى بقيادة أبناء رجنار لوثبروك اتجه فى عام ٨٦٨م إلى مملكة مرسيا الانجليزية، وقضى الشتاء فى نونتجهام Nottingham مما أزعج ملك مرسيا بورجارد، فأسرع بطلب النجدة والعون من إثلرد Ethelard ملك وسكس وزعيم السكسون الغربيين، فحشد الأخير قواته واصطحب معه أخاه ألفرد Alfred وتوجه إلى مرسيا حيث إتحدت قوات مملكة مرسيا ووسكس، وأصبحت تشكل قوة هائلة، وإتجهت إلى المعسكر الدانى عند نوتنجهام، وشنت الهجمات المتتالية على القوات الدانية التى استبسلت فى الدفاع عن نفسها، ورغم هذا التفوق الانجلوسكسونى، إلا أن المصادر تشير إلى أن الملك بورجارد ملك مرسيا قام بعقد هدنه مع زعماء الدانيين من أبناء رجنار لوثبروك مما دفع الملك إثلرد وأخيه الفرد إلى العودة إلى مملكتهم(١٧).

ورغم أن المصادر لم تشر إلى شروط هذه الهدنة إلا أنه يمكن أن نستشفها، ونشير إلى أنه نظرا للتفوق العسكرى الانجليزي وقتذاك، فإن الشروط تنحصر فى انسحاب الدانيين من مملكة مرسيا دون أن يبادرهم الانجليز بالهجوم.

ومما يؤكد هذا الاستنتاج أن الدانيين عادوا إلى مهاجمة مملكة مرسيا عام ٨٦٩م وظلوا يشددون هجماتهم إلى أن نجحوا فى السيطرة عليها بعد

(١٧) The Anglo Saxon Chronicle, Op. Cit., Vol. I, P. 176;
Roger de Hoveden, Op.Cit., Vol. I, P. 44;
Matthew of Westminster, Op.Cit., Vol. I, P 409.

عزل ملكها بورجارد، وبعد أن عقدوا فى عام ٨٧٤م صلحا آخر مع أهل مرسيا يشبه إلى حد كبير صلحهم السابق مع أهل نورثمبريا(١٨).

هذا عن الهدنات ومعاهدات السلام بين الدانيين والجوت فى كنت، والانجليز فى نوربمبريا وانجليا الشرقية ومرسيا، والتى نتج عنها سيطرة الدانيين على معظم أراضى هذه الممالك.

أما عن الهدنات ومعاهدات السلام بين الدانيين والسكسون الغربيين خاصة فى مملكة وسكس، فقد بدأت عقب تولية الملك ألفرد عرش المملكة. إذ تشير المصادر إلى قيام الملك ألفرد بتوقيع هدنه مع الدانيين فى أواخر عام ٨٧١م، وفى ظروف خاصة فقد إضطر ملك وسكس إلى توقيع هذا الصلح بعد الإنتصار الذى حققه الدانيون على قواته فى معركة ويلتون Wilton فى مارس عام ٨٧١م(١٩). ويمكن إضافة سبب آخر للتوقيع على هذه الهدنة فى تلك الفترة، وهو حاجة الملك ألفرد لفترة من الهدوء لإعادة تنظيم قواته وتدبير شئون مملكته، والاستعداد للمواجهة الشاملة مع الدانيين(٢٠).

ولم تشر المصادر أيضا إلى شروط هذه الهدنة، ولكن يبدو أن الملك ألفرد إضطر إلى شراء السلم بالمال لأن الوثائق الانجلوسكسونية تشير إلى أن السكسون الغربين هم الذين سعوا إلى السلم مع أعدائهم(٢١)، وفى ضوء ذلك

---

(١٨) The Anglo Saxon Chronicle, Op.Cit., Vol.I, P. 178, Symeon, Op.Cit., Vol. II, P. 110;
Letter of Pope John VIII to Ethelard archbishop of Canterbury and Wulfred archbishop of York, cf. E.H.D., Op.Cit., Vol. I, P. 811;
Roger de Hoveden, Op.Cit., Vol.I, P. 48.

(١٩) The Anglo Saxon Chronicle, Op.Cit., Vol. I, P. 178,
Matthew of Westminster, Op.Cit., Vol. I, PP. 425-426.

(٢٠) Whitelock, D., The Beginning of the English Society, London, 1954, P. 48.

(٢١) The Anglo Saxon chronicle, Ibid.

يمكن القول أن هذه الهدنة نصت على أن يغادر الدانيون على وجه السرعة مملكة وسكس فى مقابل الحصول على الأموال من الملك ألفرد وما يرجح هذا الاستنتاج أن الداينين لم يهاجموا مملكة وسكس خلال هذه الفترة، وإنما وجهوا أنظارهم شطرا مملكة مرسيا.

إذا كان السكسون الغربيون قد سعوا إلى السلام فى هدنة عام ٨٧١م فقد تبدلت الأمور بعد ذلك، واصبح الدانيون هم الساعين إلى الصلح عند وارهام Wareham فأسرعوا بمناشدة الملك ألفرد عقد الصلح معهم، على أن يسمح لهم بمغادرة المنطقة فى أمان، بعد ما يؤدون القسم(٢٢) ويقدمون بعض الرهائن ضمانا لالتزامهم بمغادرة المنطقة على وجه السرعة(٢٣).

ولهذا وافق الملك ألفرد على هذا الصلح، وبدأ الدانيون فى الإنسحاب ويبدو أنهم كانوا يخشون عاقبة التباطؤ فى الانسحاب، فأبحروا فى الوقت الذى إشتدت فيه الرياح، فاصطدمت بعض سفنهم بجزيرة صخرية عند سوناج Swanage أثناء إبحارهم من وارهام إلى اكستر Excter مما أدى إلى تحطيم بعض السفن الدانية، وغرق مائة وعشرين سفينة(٢٤) بمن عليها من البحارة(٢٥).

---

(٢٢) كان الدانيون وقتذاك على وثنيتهم ويقسمون بالجرس المقدس الذى كانوا يضعوه من الجزء الداخلى من معابدهم، كما كان ملوكهم يعلقون هذه الأجراس على صدورهم. ولمزيد من التفاصيل أنظر:
Whitelock, D., Saga book of the Viking Society, London, 1954, PP. 165-167.

(٢٣) The Anglo Saxon Chronicle, Op.Cit., Vol. I, P. 176; Matthaw of Westminster, Op.Cit.l, Vol. I, P. 428.

(٢٤) The Anglo Saxon Chronicle, Ibid.

(٢٥) Matthew of Westminister, Op.Cit., Vol.I, P. 429.

وتنفرد وثائق الانجلوسكسون بالإشارة إلى أن الملك ألفرد قد عقد صلحا آخر مع الداينين عام ٨٧٧م عند اكستر. وذلك عندما تتبع ملوك الدانيين الذين غادروا وارهام، وتوجهوا إلى هذه المنطقة(٢٦) فى مملكة وسكس.

ويبدو أنه كان هناك ما يبرر هذا الصلح إذ أن الدانيين لم يلتزموا بشروط الهدنة التى عقدت فى العام السابق، وعلى الرغم من انسحابهم من وارهام – كما أشرنا – إلا أنهم بادروا بالتوجه إلى منطقة أخرى فى ممكن وسكس، ولذا أرى الملك ألفرد ضرورة محاربتهم، وأرغامهم على مغادرة مملكته. فقام بمحاصرة معسكرهم فى اكستر، وشن عليهم الهجمات، حتى أذعن الدانيون، وطلبوا الصلح للمرة الثانية، وقدموا له الرهائن أكثر مما طلب، وغادروا مملكة السكسون الغربية إلى مملكة مرسيا فى أغسطس عام ٨٧٧م(٢٧).

وتعتبر المعاهدة التى عقدت بين الملك ألفرد والملك الدانى جوثروم Guthrum فى مارس عام ٨٧٨م على جانب كبير من الأهمية إذ تتميز عن سائر المعاهدات السابقة بأن ترتب عليها إعتناق الملك الدانى وعدد ليس قليل من اتباعة الديانة المسيحية(٢٨)، مما يعد انجازا هاما حققه الملك ألفرد مع الدانيين(٢٩)، هذا فضلا عن أنها هذبت سلوكهم غير المتحضر وقومت كثيرا من أسلوبهم الهمجى إذ لم يكن لهم وازع دينى يردعهم عن ارتكاب أعمالهم المشينة وهجماتهم المدمرة(٣٠).

---

(٢٦) The Anglo Saxon Chronicle, Op.Cit., Vol. I, P. 179.

(٢٧) The Anglo Saxon Chronicle, Ibid.

(٢٨) Rayner, R.M., A consise history of Britian, London, 1939, P. 16.

(٢٩) Koenigsberger, H.G., Medieval Europe (400-1500), New York, 1987, P. 96;
Morris, B., The pelican Book of the Middle Ages, London, 1982, P. 39.

(٣٠) Asser, The life of king Alfred, ed. W.H. Stevenson Oxford, 1904, P. 16.

ولقد عقدت هذه المعاهدة عقب الانتصار الذى حققه السكسون الغربيون على الدانيين فى أدنجتون Edington، مما اضطر معه هؤلاء الى عقد معاهدة سلام مع الملك ألفرد تعهدوا فيها بمغادرة مملكة وسكس والانسحاب من أراضى هذه المملكة بعد تقديم بعض الرهائن من المميزين من رجالهم، ورضى الملك الدانى جوثروم بأن يتم تعميده ويعتنق المسيحية(٣١).

ولم يمض على توقيع هذه المعاهدة سوى عدة أسابيع حتى توجه الملك جوثروم مع ثلاثين من كبار حاشيته إلى منطقة ويدمور Wedmore، حيث استقبلهم الملك ألفرد بالترحاب وتم تعميدهم. واعتناقهم المسيحية، وتشير وثائق الانجلوسكسون إلى أنه بعد تعميد الدانيين بثمانية أيام ارتدوا الملابس البيضاء، بينما ظل الملك جوثروم فى ضياق الملك الفرد اثنتا عشر يوما اتحفه خلالها بالعديد من الهدايا(٣٢)، ثم غادر الدانيون بعدها مملكة وسكس واتجهوا إلى انجليا الشرقية(٣٣).

ولم تشر المصادر إلى قيام الملك جوثروم بمشاركة الدانيين فى هجماتهم على الممالك الانجليزية بعد التوقيع على معاهدة عام ٨٧٨م مما يعتبر انجازا كبيرا للملك الفرد.

وتشير المصادر إلى أن الملك جوثروم عاد فعقد معاهدة شاملة مع الملك السكسونى ألفرد عام ٨٨٦م(٣٤) دون أن توضح الأسباب التى دعت

---

(٣١) The Anglo Saxon Chronicle, Op.Cit., Vol.I, P. 180; Roger de Hoveden, Op.Cit., Vol. I, P. 50; Matthew of Westminster, Op.Cit., Vol. I, PP. 429-432.

(٣٢) The Anglo Saxon Chronicle, Ibid.

(٣٣) Matthew of Westminster, Op.Cit., Vol.I, P. 433.

(٣٤) The Anglo Saxon Chronicle, Op.Cit., Vol. I, P. 182; The Treaty between Alfred and Guthrum 886, cf. E. H.D.P. 380.

الجانبين إلى توقيع هذه المعاهدة مما يدفعنا إلى الاعتقاد بتطور الصراع بين الانجلو سكسون والدانيين فى الفترة الممتدة بين عامى ٨٧٨ – ٨٨٦م.

وأهم ما نلحظه خلال هذه الفترة هو توافد الحشود الدانية على انجلترا علىَ هيئة جماعات كبيرة قامت بمهاجمة بعض المناطق فى مملكة كنت ووسكس(٣٥).

ومما يسترعى الإنتباه أيضا أن الهجمات الدانية على الامبراطورية الكارولنجية خلال هذه الفترة قد زادت وإشتدت. إذ غادرت جماعات كبيرة من الدانيين إنجلترا، وأبحرت جنوبا إلى سواحل وانهار الامبراطورية الكارولنجية(٣٦)، وظلت تمارس أعمال السلب والنهب والتدمير فى كثير من المناطق والمدن والأديرة الفرنجية(٣٧).

ونلحظ أيضا أن الملك ألفرد لم يتصد للهجمات الدانية فى مملكة وسكس فحسب وانما ظل يطاردهم خارج مملكته، واصبح مسئولا عن الدفاع عن سائر الممالك الانجلوسكسونية ضد الهجمات الدانية(٣٨).

وعلى هذا يمكن أن نستشف الأسباب التى أدت إلى عقد المعاهدة بين الملك ألفرد والملك جوثروم سنة ٨٨٦م ونوجزها فيما يلى:

Matthew of westminster, Op.Cit., Vol. I, P. 440.

(٣٥) The Anglo Saxon Chronicle Op.Cit., Vol. I, PP. 180-82;
Roger de Hoveden, Op.Cit., Vol. I, PP. 50-51;
Matthew of Westminster, Op.Cit., Vol. I, PP. 836-440.

(٣٦) عن هذه الهجمات أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٢٢٧.

(٣٧) The Anglo Saxon Chronicle, Op.Cit., Vol. I, PP. 181-182;
Roger de Hoveden, Op.Cit., Vol.I, PP. 5051;
Matthew of Westminster, Op.Cit., Vol. I, PP. 433-439.

(٣٨) Cantor, N.F., The Medieval history, New York, 1964, P. 325.

أولا: أن ألفرد نظر إلى الملك الدانى جوثروم بعد اعتناقه المسيحية على أنه يمثل الدانيين الذين استقروا فى مملكتى انجليا الشرقية ونورثمبريا وأعتنق فريق منهم المسيحية، وأصبحوا يتعايشون مع الشعب الانجليزى فى المملكتين دون قواعد أو أسس تحكم العلاقة بين الجانبين فكان لابد من وضع إطار لتنظيم هذا الوضع الجديد.

ثانيا: أن الملك ألفرد بحكم مسئوليته عن سائر الممالك فى الجزيرة رأى أنه من الضرورى توفير الأمن والأمان للشعب فى كل الممالك من الهجمات الدانية بعقدها معاهدة سلام شاملة بين الجانبين لا سيما وأن المعاهدة السابقة التى عقدت فى عام ٨٧٨م كانت قاصرة على كف يد الدانيين الذين استقروا وسط إنجلترا عن ممالك الانجليز بصفة خاصة فى تلك المناطق، بينما لم يلتزم بها الوافدين حديثا إلى انجلترا من الداينين.

ثالثا: ما وضح من استمرار روح المغامرة وإشباع الرغبة فى السلب والنهب عند الدانيين على الرغم من توقيعهم معاهدة عام ٨٧٨م وإعتناق جوثروم وبعض أتباعه المسيحية، فلا زالت جماعات منهم يتمسكون بوثنيتهم، ويشاركون الوافدين الجدد أعمال السلب والنهب والتدمير.

رابعا: لم تشر معاهدة ٨٧٨ م إلى حدود مناطق النفوذ لكل من الملك الدانى جوثروم والملك ألفرد.

لكل هذه الأسباب رأى كل من الملك ألفرد والملك جوثروم عقد معاهدة سلام شاملة بين الجانبين، فتم لهما ذلك فى عام ٨٨٦م.

أما عن شروط المعاهدة التى وافق عليها الجانبان فقد انقسمت إلى خمسة بنود يمكن أن نوجزها فيما يلى:

يرسم البند الأول الحدود التى تفصل مناطق النفوذ بين الجانبين، بخط يمتد بطول نهرى التميميز ولى Lea حتى مدينة بيدفورد Bedford ومنها إلى طريق ولتنج Walting Street.

ويهتم البند الثانى بمسألة الفدية. إذ يشير إلى أنه إذا لقى أحد الداينين أو الانجليز (أحرار المولد) للصرعه تكون فديته عند قاتله بمقدار ثمانية ونصف مارك من الذهب الخالص أما فدية الرجل الأجير فى الأراضى الزراعية سواء كان من الانجليز أو الدانيين مائتى شلن(٣٩).

أما البند الثالث فيتعلق بالتقاضى فى المحاكم، ويشير إلى أنه إذا وجه أحد الأفراد التهمة بالقتل أو السرقة لشخص من الطبقة العليا التى يمثلها نواب الملك فعليه أن يقسم اليمين أمام اثنى عشر نائبا ملكيا، أما إذا وجه أحد الأفراد التهمة بالقتل أو السرقة لشخص ينتمى إلى الطبقة الأدنى فعليه أداء اليمين أمام أحد عشر رجلا من الطبقة التى ينتمى إليها بالإضافة إلى أحد نواب الملك. وإذا عجز كل من واجه تهمة القتل عن تقديم الدلائل التى تثبت براءته فعليه أن يدفع غرامة تماثل ثلاثة أضعاف الفدية أو الشئ المسروق.

أما البند الرابع فيختص بالمعاملات التجارية بين الجانبين فيما يتعلق ببيع وشراء العبيد والخيول.

---

(٣٩) لابد وأن هذه العملة هى التى تداولها الطرفان فى تلك الفترة وارتضيا التعامل معها.

ويهتم البند الخامس بكيفية انتقال الأفراد من وإلى مناطق نفـوذ الجا
ويحرم عبور الأفراد مناطق الحدود الفاصلة بين الجانبين الا بتصريح خ
لا يمنح إلا للتجـار الراغبين فـي المتاجرة فـى السلع والماشية بعـد أن
هؤلاء التجار الضمانات الكافية من رهائن للالتزام بعدم قيامهم بأعمال أ
غير المتاجرة(٤٠).

وإذا اخضعنا هذه المعاهدة للدراسة والتحليل وجدنا أنها تؤكد اعـتر
الانجليز بسياسة الأمر الواقع للوجود الدانى فى المنـاطق التـى استقـروا
مما يعتبر تطورا هاما فى العلاقات بين الانجليز والدانيين فى هذه الفترة.

كما أن بنود هذه المعـاهدة تدل علـى أن الجـانبين كـان يمثـلان قـو
متساويتين فى المكانة والنفوذ، ويؤكـد البند الأول هذه الدلالة إذ جعـل مد
لندن والجزء الأكبر من مرسيا بالإضافة إلى وسكس تحت نفوذ الملـك ألفـ
بينما كانت الأجزاء الباقية من مرسيا فضـلا عـن انجليا الشرقيـة ونوثمبر
ضمن نفـوذ الدانيين.

ويساير البند الثانى النزعـة الطبقية التى كانت سائدة فى الغرب الأورو
فى العصـور الوسطى، والتى تقسم المجتمع إلى طبقـات ويؤكـد هـذا إختـلا
قيمـة الفدية للفرد الذى ينتمى لاحدى الطبقتين، كمـا يشير إليهـا البنـد الثـا
الخاص بالتقاضى.

أما عن البندين الرابع والخامس فقد اهتما بتنظيم المتاجرة بين الجـانبي
فضلا عن منع هجرة الأفراد سواء كانوا من الدانيين أو الانجليز إ لى منـاط
الحدود الأخرى إلا بشروط خاصة.

---

(٤٠) he Treaty between Alfred and Guthrum (886), Op.Cit., 380 - 381.

فى ضوء هذا التحليل يتضح لنا أن المعاهدة فى مجملها-مثلها فى ذلك مثل المعاهدات سالفة الذكر - تعود بالفائدة على الدانيين بصورة كبيرة وتراعى مصالح الدانيين أكثر من مراعاتها لمصالح الطرف الآخر وهو أمر طبيعىٌ ما دام الدانيون لا زالوا متحفزين للهجوم والضغط على أصحاب البلاد.

أما عن نتائج هذه المعاهدة فيحب الإشارة إلى أنها تشير ولو من طرف خفى إلى بدايات إمتزاج بين الدانيين وسكان الجزيرة البريطانية، وان لم تحقق الأمن والأمان للشعب فى الجزيرة البريطانية، من خطر الداينين أو تحد من رغبتهم الجامحة فى الاستيطان داخل الجزيرة، أو تمنع الهجمات الداينة وما يصاحبها من سلب ونهب وتدمير. إذ عادت المدن الانجليزية ولا سيما مدينة لندن تتعرض للخطر الدانى عام ٨٩٤م(٤١).

وفى ضوء ما سبق يتضح أن الانجليز عقدوا كثيرا من المعاهدات مع الداينين خلال النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى، وأن هذه المعاهدات لم تؤد إلى وقف الغزو الدانى للجزيرة البريطانية والاستقرار بها، وان عظم ما نتج عنها هو اعناق أعداد من الداينين للديانة المسيحية، وبداية الامتزاج بين الشعبين الدانى والانجليزى.

---

(٤١) The Anglo Saxon Chronicle, Op.Cit., Vol. I, P. 185; Roger de Hovden, Op.Cit., Vol. I, P. 58; Matthew of Westminster Op.Cit., P.449.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر الأصلية:

Anglo Saxon Chronicle, cf. English historical Documents [E.H.D], London, 1968, PP. 135 - 235.

Ascer, The life of king Alfred, ed. by W.H. Stevenson, Oxford, 1904.

Letter of Pope John VIII to Ethelard archbichop of Cantrbury, cf. E.H.D., P. 811.

Matthew of Westminister, The Flowers of history, 2 vol, London, 1853.

Memorials of St. Edmund's Abley, ed. by M.T. Arnold, 2 vols, London, 1882.

Roger de Hoveden, Annals, 2 vols, London, 1853.

Roger of Wendover, Flores Historiarum, cf. E.H.D., PP. 255-258.

Syman's Monashi opera, ed. by M.T. Arnold, 3 vols, London, 1882.

The Treaty between Alfred and Guthrum (886), cf. E.H.D., PP. 380-381.

Whitclock, D., Saga book of the viking society, London, 1954.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

Cantor, N.F., The Medival history, New York, 1964.

Haskins, H., The Normans is European history, New York, 1959.

Koengsberger, H.G., Medieval Europe (400-1500), New York, 1987.

Morris, B, The Middle Ages, New York, 1983.

Rayner, R.M, Aconsise history of Britain, London, 1939.

Trevelyan, G.M., History of England, Oxford, 1987.

Whitelock, D., The Beginning of the England Society, London, 1954.

ثالثا: المراجع العربية:

السيد الباز العرينى (دكتور):

"تاريخ أوربا في العصور الوسطى"، بيروت ١٩٦٨م.

جوزيف نسيم يوسف (دكتور):

"تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور الوسطى، الاسكندرية ١٩٨٧م.

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور):

"أوربا العصور الوسطى (التاريخ السياسى، ط ٤، القاهرة ١٩٦٦).

محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور):

"تاريخ أوربا فى العصور الوسطى"، الاسكندرية ١٩٩٠.

الفصل السابع

ملامح الغزو الداني لانجلترا في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي
في ضوء الوثائق الانجليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدانيون هم فرع من الفيكنج، او الشماليين الذين كانوا يقطنون شبه جزيرة اسكنديناوه، وحوض البحر البلطي(١). وقد اطلق أهل انجلترا من الأنجلو سكسون اسم الدانيين على جماعات الفيكنج الذين هاجموا بلادهم في أواخر القرن الثامن الميلادي(٢).

وكانت الحاجه إلي الغذاء والكساء، والبحث عن طرق جديدة فى الحياة، والنزوع إلي التجاره، فضلاً عن التغيرات السياسية التي طرأت علي مجتمع الفيكنج، من أهم العوامل التي دفعت الفيكنج إلى الخروج من عزلتهم، وإغارتهم علي الجزيرة البريطانية في الفترة منذ اواخر القرن الثامن حتى منتصف القرن التاسع الميلادي(٣) فضلا عما كانوا يهدفون إليه من السلب والنهب(٤).

ومنذ منتصف القرن التاسع الميلادي تقريبا تميزت هجمات الدانيين بسمه جديده اذ انتقلت هجماتهم من طور السلب والنهب، والهجوم الخاطف

---

(١) جوزيف نسيم يوسف: تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور الوسطى، الأسكندرية ١٩٨٧م، ص ١٤١.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى «التاريخ السياسى»، ط ٤، القاهرة ١٩٦٦م، ص ٢٣٢.

(٣) محمد محمد مرسى الشيخ: تاريخ أوربا فى العصور الوسطى. الاسكندرية ١٩٩٠م، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٤) السيد الباز العرينى : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، بيروت ١٩٦٨م ، ص ٣٥٥، وايضا :

Koenigsberger, H.G., Medieval Europe (400 - 1500), New York, 1987,p. 96; Morris, B., The Middle Ages, New York, 1983, P. 58.

والعوده السريعه، إلى دور الاستقرار(١).

واذا أمـعنا النظر في الوثائق الأنجليـزيه التي اهتـمت بتـاريخ انجلتـرا وحضارتها فى العصور الوسطى، وعنيت بسرد احداث الغزو الدانى لانجلترا خلال مراحلة المختلفه، نجد أن الفترة التى هدف فيها الدانيون إلى الاستقرار كانت لها ملامح عديده.

وقبل أن نعرض هذه الملامح،من الأهميه بمكان الإشارة الي العوامل التي ساعدت الدانين علي الأنتـقال من مـرحله السلب والنهب والهجوم الخاطف إلي مرحله الاستقرار، والتى لم تشر إليها الوثائق البريطانية صراحه، وانما وردت فى ثنايا الاحداث التي أشارت إليها هذه الوثائق.

إذ يمثل ضعف المقاومة الإنجليزيه للهجمات الدانيه أهم هذه العوامل. فقد كانت جزيرة انجلترا وقتداك مفككه مجزأة إلي عدة ممالك متصارعة(٢)، لم تكن تجـمعها نظم دفاعية أو تنسيق لمواجهه الخطر الداني. فضلاً عن المنازعات الداخليه التى كانت تنخر فى عظام بعض هذه الممالك، وتسهم فى مزيد من الانقسام، وتجعلها تتساقط الواحدة تلو الأخري أمام هجمات الدانيين(٣).

وكان لطول السواحل الانجليزية،وكثرة الأنهار التي تجري داخل الجزيره

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص ٢٣٣.

(٢) The Anglo Saxan Chronicle, cf. E.H. D.ed. D.C. Douglas, London, 1968, Vol. I, pp.166 - 167; Also; Whitelock, D., The Beginning of the English Society, London, 1954, p.49.

(٣) Roger de Hoveden, The Annals, 2 Vals, London, 1853, Vol. I, pp.44 - 49, 160.

وتخترقها في اكثر من جهة، اكبر الأثر في صعوبة الدفاع عنها من جهة، ومن جهة أخري منحت الدانيين الحريه التامه لإرساء سفنهم علي هذه السواحل، أو اختراق عباب الأنهار إلي الداخل دون مقاومة كبيره(١).

كما أن التفوق البحري كان آنذاك لصالح الدانيين. اذ قست الطبيعة على بلادهم، وجعلتهم يقطنون مناطق تكتنفها الغابات والجبال والأحراش، وتسودها المستنقعات والخلجان، مما دفعهم لارتياد البحر، فاكتسبوا المهارة في فنون الملاحة وصنع السفن(٢)، وفي الوقت نفسه افتقرت الممالك الانجليزية لوجود أساطيل تستطيع التصدى للسفن الدانيه(٣).

كما امتازت الهجمات الدانيه في دورها الأول بأنها كانت سريعة وخاطفه، فضلا عن أن تحركاتهم كانت تتم تحت جنح الظلام. مما أدي إلى صعوبه التصدى لهم(٤).

يضاف إلى هذه العوامل أن الحشود الدانيه كانت تأتي في إثر بعضها

---

(١) The Anglo Saxn Chronicle, Cf. E.H. D., P. 166.

(٢) محمد محمد مرسى الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٩٤ – ٢٩٥.

(٣) لم يفطن اهل انجلترا الى ضرورة صنع السفن الحربية لمواجهة الهجمات الدانيه الا فى عهد الملك الانجليزى ألفرد Alfred (٨٧١م – ٨٩٩م) الذى شرع فى بناء السفن والتصدى لهم.. انظر : Mathew of Westminster, the Flowers of History, 2 Vols, London, 1853, Vol. I, pp. 428 - 429.

(٤) Roger de Hoveden, op. cit., Vol. I, pp. 49,55; The Anglo Saxon Chronicla, if . E.H.D., Vol. I, P.173

من الدانمرك إلى الجزيرة البريطانية(١) ، مما جعل الإمدادات الدانيه مستمرة، وشجع الدانيين على الاستقرار داخل الجزيرة البريطانية.

هذا عن العوامل التى ساعدت الدانيين على الانتقال من مرحله السلب والنهب وأعمال القرصنه والهجوم الخاطف والعودة، إلى مرحلة الاستقرار داخل الجزيرة.أما عن ملامح الغزو الداني لهذه الجزيرة فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادي فيمكن تقسيمها إلى ملامح عامه، وأخرى تتعلق بتحركات الدانيين، أو أساليبهم العسكريه سواء كانت هجوميه أو دفاعية.

لعل أول ما نستطيع إيضاحه فى هذا المقام هو أن الهجمات الدانيه خلال هذه المرحلة ظلت تتسم بالعنف والقسوه، وبأعمال السلب والنهب والتدمير(٢). ولم تسلم الأديره الانجليزيه من هذه الهجمات الشرسه(٣). وربما يرجع ذلك إلي أن الدانيين ظلوا على وثنيتهم(٤) حتى اعتناق مليكهم جوثروم Guthrum(٥) المسيحيه عام ٨٧٨م(٦). بيد أن أعمال العنف والسلب والنهب استمرت حتى نهايه القرن التاسع الميلادي، وان كانت

---

(١) Roger de Hoveden, op, cit., vol. I, p.43; Annals of St. Bertins, cf. E.H.D., pp. 314 - 315

(٢) Asser, The life of King Alfred, ed. by W.H. Stevenson, Oxford, 1904, p.69.

(٣) The Anglo Saxon chronicle op. cit vol 1; p. 180 ; Roger de Hoveden op cit, vol., pp. 49 - 50.

(٤) Trevalyan, G. M., History of England, London, 1924, p. 69.

(٥) يطلق عليه متى من وستمنستر اسم جيترو Gytro انظر
Matthew of Westminster op. cit, vol. I, p.429.

(٦) The Anglo Saxan Chronicle op.cit, vol. I, p.180.

محدودٌ واخف وطأه من الهجمات التى تمت قبل عام ٨٧٨م(١).

ومن الأهمية بمكان الاشاره إلي أن الوثائق الانجليزيه ظلت تطلق مصطلح الوثنين على الدانين حتي بعد عام ٨٧٨م(٢). ومن هنا يمكن القول: أن الدانين عامه لم يتأثروا كثيرا باعتناق جوثروم المسيحيه عام ٨٧٨م، وإنما ظلت جماعات كبيره منهم على وثنيتهم، ولا سيما الجماعات التى كانت تتوافد علي الجزيره الانجليزيه من الدانمرك بعد عام ٨٧٨م.

ويلاحظ أن الوثائق الانجليزيه إلي جانب وصفها للدانيين بأنهم وثنيين، فقد اطلقت عليهم مسميات عديده: منها القراصنه، والذئاب والثعالب(٣)، والغلاظ قساه القلوب(٤). ولكن مما يلفت الانتباه ان وثائق الانجلوسكون تطلق اسم «الفيكنج» فقط عل الجماعات ألتي هاجمت انجليا الشرقيه عامي ٨٧٩م، ٨٨٥م(٥). واسم «الدانيين» على الجماعات التى كانت قد استقرت فى تلك المنطقة من قبل، وشاركت الفيكنج فى الهجوم. ولا نجد تفسيراً لهذا الامر سوي أن وثائق الانجلو سكسون ارادت ان تميز الجماعات الوافده حديثا إلي المنطقه عن الجماعات التى كانت قد استقرت بها من قبل، فاطلقت على الأولي اسم الفيكنج، والثانيه اسم الدانيين.

---

(١) Roger de Hoveden op. cit., vol. I, p. 58.

(٢) Roger de Hoveden op cit., vol. I, pp. 50 - 58; Matthew of westminster, op. cit., vol I, pp. 433 - 437.

(٣) Roger de Hoveden op. cit., Vol. I, pp. 47, 49.

(٤) Letter of pope John VIII to Ethelred archbichop of Canterbury, of . E. H. D., Vol. I, p. 811.

(٥) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, pp. 180, 182.

ومن الملامح العامه للغزو الدانى لانجلترا فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى، أن الهجمات الدانيه منذ عام ٨٥١ م وحتي عام ٨٦٦م كـانت تقـوم بها جمـاعات متفرقه لم تجمعها قيـاده موحـده، أو يكون لها خطه محـدده. وكانـت الاشاره الاولي لوصول حشد كبـير من الدانيـين فى عـام ٨٦٦م عندمـا هاجمـوا انجليـا الشـرقيـه، ويقـودهـم ابنـاء الملك رجنـار لوثبروك Rgnar Lothbrak الذين أشارت اليهم الوثائق بأنهم كانوا أيضـا فى مكانه الملوك(١). كل هذه الأمور تجعلنا نعتقد أن الهجمات الدانية منذ عام ٨٥١م وحتي عام ٨٧٠م كانت تحت قيادة بعض الزعماء، ثم أصبحت تحت قياده الملوك بدايه من عام٨٧٠م .

ودأب الدانيـون علي الرحيل من بلادهم بصـحبـة نسـائهـم وأطفـالهـم تربطهـم وحـده اللغـة، والعـادات والتقـاليـد والعـقـيـده الوثنيـة، ويـحـرون فى الصيف(٢) حيث الظروف المناخيه الملائمه، تجاه انجلترا، ويستقرون فى مناطق داخل الجزيرة لحين انتهاء الشتاء في داخل معسكرات حصينه(٣)، ثم تبدأ هجماتهم في أوائل شهر نوفمبر(٤).

والمناطق الأولى التي استقرت بها الجمـاعات الدانيه منذ سنة ٨٥١م كانت داخل جزيرتين صغيرتين علي الساحل الجنوبي الشرقي لانجلترا، وهما

(١) تشير وثائق الانجلو سكسون إلى اثنين من هؤلاء الملوك وهما : هالفدن Healf-dene وباسك Bagsecg انظر :

The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., Vol. pp. 176 - 177, Armold., M.T., Memorials of St. Edmunds Abbey, 2 vol., London, 1882, Vol. I., p.9.

(٢) The Anglo Saxan chronicle, op.cit., vol. I, p. 177.

(٣) Roger de Hoveden op. cit., vol. I, p 42.

(٤) Arnald, M.T., Symeons Monachi Opera, 3 vols, London, 1882, vol. III., p. 106.

ثانت Thanet وشيبي Sheppey (١). اذ قضي بهما الدانيون الشتاء، ثم أبحروا منهما لمهاجمة الجزيرة الانجليزيه(٢).

وتعتبر منطقه دوفر علي الساحل الجنوبي الشرقي لانجلترا من أولي المناطق التي تعرضت للهجمات الدانيه في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي. اذ هاجمها الدانيون في أواخر عام ٨٥١م، فتصدى لهم أهل دوفر بقياده الايرل شارل Chearl، ونجحوا في إرغامهم علي الفرار(٣).

وفي العام نفسه أبحرت ثلاثمائة وخمسون سفينه للدانيين، واستقرت عند مصب نهر التيميز (٤) وهاجمت مدينتي كانتربري Canterbury ولندن(٥)، فواجهتهم قوات مملكه مرسيا بقيادة الملك برتولف Brihtwulf، ودارت رحى معركة عنيفة بين الجانبين انتهت بانسحاب الدانيين(٦).

وعلى الرغم من انكسار شوكه الدانيين في المعركتين السابقتين، والمقاومه العنيفة التي واجهتهم(٧)، الا أن الرغبة الجامحة للاستيطان في داخل جزيرة انجلترا جعلتهم يواصلون الهجمات دون ان يخلدوا للراحه. اذ تشير الوثائق الانجليزية إلى أنه في العام نفسه ٨٥١م دارت المعركه بين الدانيين وقوات مملكه وسكس بقياده الملك اثلوف Ethelwulf وابنه

---

(١) The Anglo Saxan chronicle, op.cit., vol. I, p. 173.

(٢) Haskins, H., The Normans in European history New York. 1959, p. 33.

(٣) Roger de Hovden. Ibid.

(٤) Roger de Hoveden op. cit. vol. I, p. 41.

(٥) The Anglo Saxon Chroniclem op. cit., vol. I, p. 173.

(٦) Matthew of westminster, op. cit, vol.I, P. 399.

(٧) Oman, C., The Dark Ages (476 - 918), London, 1962, p. 415.

إثلبالد Ethelbald عند اكلا Aclea (١) وانتهت ايضا بهزيمة الدانيين(٢).

كما لحقت بالدانيين هزيمه أخرى فى العام نفسه عندما هاجمت مجموعة منهم مملكة كنت فى الساحل الجنوبى الشرقى لانجلترا، فتصدت لهم قوات كنت بقياده الملك اثلستان Athelstan، وتمكنت من اسر تسع سفن للدانيين، وإرغام الباقى على الفرار(٣).

وقد أغرى هذا الانتصار أهل كنت للابحار فى اواخر عام ٨٥٣م، لمهاجمة الدانيين فى جزيرة ثانت(٤) فى أوائل عام ٨٥٤م. وتشير وثائق الأنجلوسكسون إلى أن النصر كان فى بداية المعركة حليف الانجليز، ولكن سرعان ما دارت الدائرة عليهم، وتحول سير المعركة لصالح الدانيين، وسقط العديد من القتلى من أهل كنت(٥).

ولم تكبح هذه المعارك جماح الدانيين، وإنما أدت إلى مزيد من هجماتهم بعدما عدلوا فى أسلوبهم المميز فى مواجهه المقاومة الانجليزيه. إذ أصبحت هجماتهم تعتمد على المفاجأة، بعد أن ترسو سفنهم فى مناطق بعيدة عند مصبات الأنهار، وعند نزولهم الى اليابسه، يقيموا معسكراتهم فى مناطق حصينة بالقرب من الانهار الصالحه للملاحه(٦)، أو بالقرب من الغابات او

---

(١) تعرف ايضا باسم اوكلى Ockley، انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٢٣٣، ايضا: Roger de Hovden, Ibid.

(٢) The Anglo saxon chronicle, op. cit pp. 173 - 174.

(٣) The Anglo Saxon Chroniclem op. cit., vol. I, p. 173.

(٤) Roger de Hovden, op. cit., vol. I, p. 42.

(٥) The Anglo saxon chronicle, op. cit., Vol. I, p. 174.

(٦) Stenton, F. M., Anglo - Saxon England, Oxford, 1947, P. 244.

المستنقعات، ويتركون سفنهم مصطفه على جانب النهر، وعلى أهبه الأستعداد للرحيل السريع(١).

واعتمدوا على الخيول فى تحركاتهم البريه، ولهذا اهتموا بجمع اعداد كبيره منها(٢) لاستخدامها فى الهجمات الخاطفه من جهه، ولمواجهه الفرسان الانجليز من جهه أخرى، بالاضافه إلى حمل الأسلاب والغنائم.

ولسد الحاجه إلى الغذاء شرعوا فى مهاجمه المناطق الزراعيه الانجليزيه فى وقت الحصاد(٣)، واستغلوا انشغال المزارعين بجنى المحاصيل، وعجزهم عن التصدى لهجماتهم السريعة.

وشرع الدانيون فى تنفيذ هذا الأسلوب العسكرى. اذ هاجموا فى عام ٨٦٠م مملكة كنت، ونجحوا فى إلحاق الدمار بمدينة ونشستر Winchester ، وعادوا إلى سفنهم محملين بالاسلاب والغنائم(٤).

واستمرت الهجمات الدانيه على كنت(٥) ، مما دفع اهلها إلى عقد معاهده سلام مع الدانيين(٦) ، تعهد فيها أهل كنت بدفع الأموال لهم

---

(١) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., Vol. I, pp. 176 - 186.

(٢) Roger de Hoveden, op. cit,. vol. I, p. 43.

(٣) The Anglo Saxon chronicle, op. cit., vol. I, p. 188.

(٤) The Anglo Saxon chronicle, op. cit., 175; Roger de Hoveden, op. cit., I p. 43.

(٥) Matthewof Westminster, op. cit., vol. I, p. 406.

(٦) عن تاريخ هذه المعاهدة انظر بحثنا المعنون « دراسة لمعاهدات السلام بين الانجليز والداانيين فى النصف الثان من القرن التاسع الميلادى».

مقابل وقف هجماتهم على المنطقه . ورغم توقيع الدانيين على هذه المعاهده، الا أنهم لم يلتزموا ببنودها، واستمرت هجماتهم على الساحل الشرقى لكنت(١).

وتشير الوثائق الانجليزيه إلى أنه فى عام ٨٦٦م أبحرت حشود كبيره من الدانمرك على ظهر سفنهم، ورست فى انجليا الشرقيه، وقضوا الشتاء بها ، واتباعا للاسلوب العسكرى الدانى وقتذاك ، فانهم نجحوا فى الحصول على اعداد كبيره من الخيول فى مملكه انجليا الشرقية(٢) ، واخذ خطرهم يستفحل يوما بعد آخر،(٣) بعدما تحول المشاه إلى فرسان(٤).

وبدأ الدانيون فى تنفيذ سياستهم الاستيطانيه فى خريف عام ٨٦٦م عندما تحركت حشود دانيه كبيره من انجليا الشرقيه إلى نورثمبريا التى كان يسودها حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار . اذ قام أهلها بعزل ملكهم اوسبرت Osbert ، واختاروا ملك لم يكن له حق شرعى يدعى ايلا Ella فاستغل الدانيون هذه التطورات، واقتحموا مدينه يورك York فى أول نوفمبر عام ٨٦٧م(٥)، ونجحوا فى السيطره عليها، وهزيمه المدافعين عنها، وتمكنوا فى ٢١ مارس من العام نفسه من قتل كل من اوسبرت وايلا(٦) ، وإرغام اهل نورثمبريا على شراء السلم منهم بالاموال(٧).

---

(١) The Anglo Saxon chronicle, op. cit, vol. I,p 176;
Roger de Hoveden, Ibid;
Mathew of Westminster, op. cit., vol. I, p.407.

(٢) The Anglo Saxon Chranicle, op. cit., vol. I, p.176
Haskins, op. cit., p.33.

(٤) Mathew ok Westminster, op. cit., Vol. I, p.407

(٥) Roger de Hoveden, op,cit, Vol. I, p.44.

(٦) Arnold, op. cit, vol. III. p. 106;

(٧) Roger of wendover, Flores Historisrum, cf E.H.D., p256.
The Anglo Saxon, Ibid.

ولم يكتف الدانيون بخضوع أهل نورثمبريا، وانما سعوا إلى مزيد من التسلط، فقاموا بتعيين إجبرت Egbert ليصبح ملكا على نورثمبريا، وليكون من صنائعهم لمده ست سنوات(١). ويمثل هذا الامر تطوراً خطيراً في العلاقات بين الانجليز والدانيين في هذه المرحلة. اذ لم يكتف الدانيون بالسيطره على المناطق الانجليزية فحسب، وانما غمسوا إصبعهم في النواحي السياسية في المناطق التي قاموا بغزوها. وأصبح هذا العمل حجر الزاويه في السياسه الدانيه في المناطق الانجليزيه التي استقروا بها.

واستمر الدانيون في تنفيذ سياستهم الاستيطانيه في الجزيره الانجليزيه، وفي خريف عام ٨٦٧م غادروا نور ثمبريا، واتجهوا إلى مملكه مرسيا، حيث قضوا الشتاء في نوتنجهام Nottingham، مما أثار فزع بورجارد Burgard ملك مرسيا، فأسرع هذا بطلب العون والمساعده من إثلرد Ethelard ملك وسكس(٢)، اعتماداً على رباط المصاهره بينهما(٣)، فخرج إثلرد بجيشه وبصحبة أخوه ألفرد Alfred، وتوجها إلى مرسيا حيث انضمت قوات المملكتين استعدادا لملاقاه الدانيين.

ويعد التعاون العسكرى المشترك بين مملكتي مرسيا ووسكس أول تنسيق دفاعي انجليزى ضد الدانين في تلك المرحله. وإن لم تنجح قوات المملكتين في إلحاق الهزائم بالدانيين(٤) وقتذاك، مما دفع بورجارد ملك مرسيا إلى شراء السلم من الدانين بدفع الاموال(٥).

---

(١) Roger of Wendover, op. cit; p.256.
(٢) The Anglo saxon chronicle, op. cit., vol. I, p. 176.
(٣) كان بورجارد قد تزوج من اخت إثلرد. انظر:
Stenton, op. cit.,p.245
(٤) The Anglo Saxon Chroniclem op. cit., Vol. I, p. 176
(٥) Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, p.44;
Mattew of Westminster, op. cit., Vol. I, p.409

وفى ضوء ما سبق يمكن القول ان كفه الدانيين فى هذا الصراع كانت هى الراجحه. وأخطر ما ترتب على ذلك ، أن تشجع الدانيون لاستكمال سياستهم الاستيطانيه داخل الجزيره البريطانيه. فعادوا فى عام ٨٦٩م إلى مملكه نور ثمبريا وظلوا بها لمده عام(١)، وزادت شراستهم، فقاموا بقتل كثير من الاطفال والنساء والشيوخ فى مدينه يورك(٢).

وفى عام ٨٧٠ احتشد عدة الآف من الدانيين(٣) بقياده اثنين من الملوك الدانيين هما انجوار Inguarواخيه هوبا Hubba(٤) وتوجهوا إلى مملكه انجليا الشرقيه، وأمضوا الشتاء فى نورفولك Norfoulk(٥) فخرجت إليهم القوات الانجليزيه بقيادة الملك إدموندEdmund، ودارت رحى المعركه بين الطرفيين، وانتهت بهزيمه قوات انجليا(٦) ومقتل الملك ادموند(٧)، وكان من نتائج هذه المعركه ان دانت مملكه انجليا الشرقيه للدانيين بالطاعه، واستحوذ الدانيون على غالبيه الاراضى الزراعيه فى المملكه، وقاموا بسلب ونهب كافة الاديره فى المنطقه، وقتل الرهبان بداخلها(٨).

وتشير الوثائق الانجليزيه إلى ان انجوار ملك الدانيين فى الجزيره

---

(١) The Anglo Saxon Chronicle, Ibid

(٢) Roger de Hoveden, op. cit, vol. I, p. 45; Matthew of Westminster, Ibid.

(٣) Roger Hoveden, Ibid.

(٤) Matthew of Westmenoter, op. cit., vol. I, p. 4II.

(٥) Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, p. 45.

(٦) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit, Vol. I, p.177

(٧) Whitelock, D., The Saga book of the viking Society, London, 1954, p. 164.

(٨) The Anglo Saxon Chronicle, Ibid.

الانجليزيه قد لقى حتفه فى عام ٨٧٠، وانتقلت قياده الدانيين بعد موته إلى ابنه الملك هالفدن(١).

استمرت كفه الدانيين هى الراجحه حتى عام ٨٧١م وكانت الحشود الدانيه قد تحركت من انجليا الشرقيه واتجهت إلى مملكه السكسون الغربيين فى وسكس، واستقروا أمام المدينه الملكيه المعروفه باسم ريدنج Reading(٢) والتى تقع عند الضفه الجنوبيه لنهر التيميز فى منطقه بيركشير Bearkshire (٣). وفى اليوم الثالث من وصولهم(٤)، قام جماعه من الدانيين بأعمال السلب والنهب، بينما حاولت جماعه أخرى اجتياز الحواجز التى أقامها الانجليز عند الجانب الايمن لمدينه ريدنج فى المنطقه التى يلتقى عندها نهرى التيميز وكينت. ولما سمع إثيلودف Ethelwulf إيرل بيركشير أنباء هذه التحركات الدانيه، أسرع يجمع قواته، وخرج للتصدى لهم. والتقى بهم فى المنطقه المعروفه باسم انجلفيلد Engle field (ساحه الانجليز)، ونجح فى إلحاق الهزيمه بهم، وإرغامهم على الفرار(٥).

وبعد مرور أربعه ايام على معركه انجلفيلد، قام إثلرد – ملك وسكس – وأخوه الفرد بحشد قوات السكسون الغربيين، وهاجموا معسكر الدانيين

---

(١) Roger of Wendover, of cit., p. 256;
The Anglo Saxon Chronicle, Ibid,
Matthew of Westminster, op. cit, Vol. I,p.

(٢) The Anglo Saxone Chronicle, op. cit, vol. I, p 177.

(٣) Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, p. 45.

(٤) لم تحدد الوثائق الانجليزية تاريخ وصول الدانيين إلى مملكة وسكس، وانما اكتفت بالاشارة الى ان هذه احداث جرت فى عام ٨٧١م.

(٥) The Anglo Saxon chronicle Ibid,
Roger de Hoveden Ibid;
Matthew of Westmnster, op. cit, vol. I, pp.420 - 421.

بالقرب من مدينه ريدنج، وانتهت المعركة بين الجانبين بانتصار الدانيين، ومقتل اثيلووف ايرل بركشير.(١)

وهكذا تأرجح النصر بين الدانيين والسكسون الغربيين، فى معركتى انجلفيلد وريدنج، مما جعل كل منهما ينظم صفوفه، ويستعد لحسم الامر لصالحه. إذ قسم الدانيون قواتهم الى قسمين: الاول بقيادة الملوك أبناء رجنار لوثبروك، والقسم الثانى بقيادة كبار القاده الدانيين(٢). وسار السكسون الغربيين على هذ المنهاج، وقسموا قواتهم إلى قسمين الاول بقياده الملك اثلرد والثانى بقياده اخيه الفرد. والتقى الجمعان عند إشيدون Eschidon وفى بدايه المعركة، جرى الاشتباك بين القسم الذى تولى قيادته الفرد، والقسم الدانى بقياده كبار القاده. ونجح ألفرد فى إلحاق الهزيمه بهذا القسم وقتل خمساً من قادته هم سيدروك Sidroc الكبير، وسيدروك الصغير، واوسبرن Osbearn، وفرانا Freana،وهارولد Harold. أما عن الملك إثلرد، فكان يسمع القداس فى خيمته، وأبى ان يشارك فى المعركه الا بعد الفراغ من سماعه. وقد نجح هو الأخر فى تحقيق النصر على القسم الدانى بقياده الملوك، وقتل اثنين منهما : هما هالفدن(٣) وباسيك Bagsecg(٤)

---

(١) The Anglo Saxon chronicle, op. cit., vol. I, 177; Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, p. 45; Matthew of Westminster, op. cit., vol. I, p 421.

(٢) تطلق عليهم الوثائق الانجليزية اسم الامراء او الايرلات. انظر :
The Anglo Saxon chronicle, Ibid; Roger de Hoveden, op. cit, vol. I, p. 64; Matthew of Westminster, op. cit., vol. I, p. 420.

(٣) يبدو ان هناك اكثر من ملك دانى يدعى هالفدن، وان الذى تلقى مصرعه فى هذه المعركة لم يكن هالفدن ابن انجوار . انظر ما يلى ص ٢٤.

(٤) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, 177; Roger deHoveden,op. cit., vol. I, p. 46; Matthew of westminster, op. cit, vol. I, p.421.

وعلى الرغم من النصر الذى حازه السكسون الغربيون فى معركه إشيدون ونجاحهم فى قتل عدد من القاده الدانيين وملوكهم، الا أنهم لم ينجحوا في إبعاد الدانين عن مملكتهم، أو كبح جماح رغبتهم فى الاستيطان داخل انجلترا، أو القضاء على روح المغامره من نفوسهم أو مواصلة الاعمال العدوانيه، لذلك ، كان من الأمور الطبيعيه أن تتجدد المعارك بين الجانبين فى مواقع عديده.

لم يمض على معركة إشيدون سوى اربعه عشر يوما(١) حتى التقى الجمعان الدانى، والسكسونى الغربى عند باسينج Basing ، ودارت المعركة بينهما، وانتهت بانتصار الدانيين(٢).

وبعد مرور شهرين تقاتل الجيشان ايضا عند ميرتون Meretun ، وانتهت المعركة بانتصار السكسون الغربيين بقيادة الملك إثلرد وأخيه ألفرد(٣).

وهكذا ظل الجانبان يتبادلان النصر والهزيمه خلال هذه الفتره، ولم تحسم المعارك بينهما لصالح احدهما، مما جعل الدانيين يواصلون سياستهم الاستيطانيه، وظلت حشودهم تتوافد على مملكه وسكس(٤)، كما اخذ الدانيون يشددون قبضتهم لتحقيق مزيد من السيطره على بقيه الممالك الانجليزيه .

---

(١) يرى روجر الهوفدنى ان معركة باسينج جرت بعد اربعة أيام من معركة إشيدون أنظر:

Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, p. 47.

(٢) The Anglo Saxin chronicle, op. cit., vol. I, p. 177;

Roger of Wendover, op. cit., p.256; Matthew of Westminster op. cit., vol. I, p. 421.

(٣) The Anglo saxon chronicle, op. cit., vol. I, p. 178;

Matthew of Westminster, op. cit. vol. I, p. 422

(٤) The Anglo saxon chronicle, Ibid.

وجدير بالذكر أن الوثائق الانجليزيه لم تحدد لنا تاريخ المعارك سالفه الذكر بين الدانيين والسكسون الغربيين، وأنما أكتفت بالاشارة إليها ضمن حوادث عام ٨٧١م. ونظراً لأن الدانيين اعتادوا بدء الهجمات العسكريه بعد انقضاء فصل الشتاء فضلا عن أن وفاة الملك إثلرد الذى شارك فى كل المعارك السابقة كانت فى ابريل(١) عام ٨٧١م. اذا يمكن القول : أن المعارك التى دارت بين الدانيين والسكون الغربيين والتى اشرنا إليها آنفا قد جرت فى اوائل عام ٨٧١م.

ومهما يكن من أمر ، فبعد وفاه املك إثلرد انتقل عرش مملكة وسكس إلى أخيه ألفرد الذى لم يدخر وسعا فى مواجهه الدانيين، ومحاوله زحزحتهم بعيداً عن مملكته. إذ لم يمض على توليته العرش سوى شهر واحد، حتى خرج على رأس فرقه صغيره من السكسون الغربيين والتقى بالدانيين عند ويلتون Wiltonفى المنطقه التى تقع على الضفه الجنوبيه لنهر الجيلو Guiloوبالقرب، من مدينه جويلتشير Guiltshire، ونظراً لقله أعداد السكسون الغربيين، فقد انتهت المعركه بهزيمتهم(٢).

ويبدو أن إنشغال الدانين بالمعارك فى مملكه وسكس، قد شجع أهل نورثمبريا على الثوره ضد ملكهم اجبرت صنيع الدانيين، فقاموا بعزله فى عام

---

(١) اختلفت المصادر حول تاريخ وفاته ، فتشير وثائق الانجلو سكسون انه توفى فى ١٥ ابريل، اما متى الوستمنسترى فيرى انه فى يوم ٢٣ ابريل عام ٨٧١م، ويرى روجر الهوفدنى أن إثلرد توفى فى عام ٨٧٢م. أنظر:

The Anglo Saxon chronicle, op. cit., vol. I, p. 178; Mat-thew of westminster, op - cit., vol. I, p. 422; Roger de Hoveden, op., cit., vol. I, p.47.

(٢) The Anglo Saxon chronicle, op. cit., vol. I, p. 178;

Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, p. 48.

٨٧٢م، واختاروا ولفيرWulphere رئيس اساقفه يورك ليحل محله(١)، كما طلبوا من بورجارد ملك مرسيا ان يمد لهم يد العون والمساعده(٢). وكانت هذه التطورت تمثل تهديداً خطيراً لسياسه الدانيين الاستيطانيه، وتتطلب منهم سرعه المواجهه لهذا التحدى السافر.

أسرع الدانيون فى مغادره مملكه وسكس عام ٨٧٣م، وتوجهوا الى مملكة مرسيا التى اعلن ملكها تأييده لموقف نورثمبريا المتحدى لسياسه الدانيين. ويبدو أن التحرك الدانى قد أزعج الملك بورجارد فاسرع بشراء السلم من الدانيين (٣).

إما عن مملكة نورثمبريا، فقد قام الدانيون باعادة الأمور إلى ماكانت عليه، وعزلوا ولفير، واختاروا ريسيدج Ricsigeكى يصبح ملكا على نورثمبريا، وصنيعا لسياستهم فى المملكة(٤).

وحتى يضمن الدانيون عدم تجرأ اجبرت ملك مرسيا على تهديد استقرارهم مرة أخرى، قاموا بعزله عام ٨٧٤م، واختاروا احد الدانيين ويدعى سيولوولف Ceolwulf ليتولى عرش مرسيا(٥)، كاقطاع من الملك الدانى، بعد أن أدى يمين الاخلاص لهم وتعهد بالعمل لتحقيق أهدف الدانيين، وأن يكون مستعداً لمحاربة أعدائهم(٦).. وتمثل هذه الخطوة تطوراً هاماً فى سياسه

---

(١) The Anglo Saxon chronicle, Ibid;

(٢) Roger of Wendover, op. cit., p. 256.

(٣) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, p. 178;
Roger de Hoveden, op. cit., vol. p. 48..

(٤) Roger of Wendover, op. cit., p. 256;

(٥) Roger e Hoveden, Ibid.

(٦) The Anglo Saxon chronicle, Ibid.

الدانيين فى انجلترا وقتذاك. إذ لم يكتف الدانيون بالتدخل فى اختيار ملوك من اهل المنطقة التى استقروا بها يملون عليهم سياستهم مثلما كان فى مملكة نورثمبريا ، وانما أختاروا أيضا من الدانيين من يحكم ممنكة فى الجزيرة البريطانية.

وتشير الوثائق الانجليزيه إلى أن الملك الدانى هالفدن اتجه بجزء من جيشه فى نهاية عام ٨٧٥م وقضى الشتاء فى المقاطعات المحيطة بمملكة نورثمبريا، ثم ما لبث أن قام فى صيف عام ٨٧٦م بالاستيلاء على الاراضى الزراعيه فى المنطقه، وقام بتقسيمها ومنحها لاتباعه كقطاع لهم(١).

وتعتبر هذه الإشارة فى غاية من الأهمية . اذ توضح ان القائد الذى تمكن إثلرد ملك وسكس السابق من قتله فى معركة إشيدون عام ٨٧١م ويدعى هالفدن(٢) ، لم يكن هو بعينه هالفدن الوريث للملك الدانى الجوار، وانما الامر مجرد تشابهه فى الاسماء.

كما تشير الوثائق إلى وجود ملوك آخرين للدانيين وقتذاك وهم جوثروم Guthrum واوستيل Oscetel وانوند Amwend قد اتجهوا ببقية الجيش الدانى من نورثمبريا إلى كامبردج Cambridge، واستقروا لمدة عام(٣).

وتشير الوثائق أيضا إلى أول معركة بحرية بين سفن الدانيين وسفن السكسون الغربيين بقيادة الملك الفريد، كانت فى صيف عام ٨٧٦، عندما تصدت سفن مملكة وسكس لسبع سفن دانيه، وتمكنت من أسر واحدة، وإرغام بقية السفن على الفرار(٤).

(١) The Anglo Saxon Chronicle, op. Cit., Vol. p.178;
Roger of Wendover, op. cit, p. 256;
Matthew of westminster, op. cit. vol. I p. 427.

(٢) انظر ما سبق ص ١٩.

(٣) The Anglo saxon chronicle, op. cit., vol. I, 178.

(٤) Roger of Wendover, op. cit, p. 256.
The Anglo Saxon chronicle, Ibid.

وتعتبر هذه الأشارة أيضا على جانب من الأهمية، اذ توضح أن المعارك التى خاضها الملك، الفرد ضد الدانيين جعلته يتعرف عن قرب على اساليبهم العسكرية سواء على اليابسه أو فوق المياه. فأراد أن يواجههم بنفس أساليبهم، فأمر ببناء سفن طويله، غير مرتفعه الجوانب، مما يجعلها سريعة الحركة(١)، وبذلك يضع حداً للتفوق المطلق للسفن الدانية التى تمخر عباب الانهار دون مقاومة(٢).

ويبدو أن الصعوبات التى أصبحت تواجه السفن الدانيه لم تعد قاصره على تصدى سفن السكسون الغربيين لهم فحسب، وأنما أسهمت الرياح فى إضافة المزيد من هذه الصعوبات. ففى عام ٨٧٧م، عندما دخلت قوة بحرية دانيه مملكة وسكس، اشتدت عليها الرياح، وجعلتها تصطدم بجزيرة صخريه عند سوناج Swanag مما أدى إلى تحطيم مائة وعشرين سفينة دانيه(٣).

ورغم هذه الصعوبات التى أصبحت تقلل تفوق السفن الدانيه، الا أن رغبتهم الجامحة فى الاستيطان جعلتهم يشددون هجماتهم فى مملكة وسكس عام ٨٧٧م، حيث جعلوا الملك الفرد يواجه حرجا شديد أثناء تعقبهم لوجود معسكراتهم داخل الغابات والاحراش والمستنقعات. وأصبح الدانيون حسبما وصفهم روجر الهوفدنى كالذئاب الهائجة يسلبون ويذهبون ويدمرون ما اعترض طريقهم(٤). بينما زاد إصرار الملك الفرد على تعقبهم والتصدى

---

(١) Roger de Hoveden, op. cit, vol. I, p. 58;

Matthew of westminster, op. cit, vol. I, p428.

(٢) Trevelyan, op. cit, p.77.

(٣) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, p.179.

(٤) Roger de Hoveden op. cit., vol. I, p. 49;

The Anglo Saxon Chronicle, Ibid.

لهم. وقد توجه الدانيون فى اغسطس عام ٨٧٧م إلى منطقه وارهام Waraham ، ثم أنتقلوا منها إلى اكستر Exeter عندما شعروا بمطاردة السكسون الغربين لهم بقيادة ألفرد. ويبدو أنهم تعبوا من كثرة الانتقال والمطاردة، لذا عقدوا صلحا مع الملك ألفرد، تعهدوا فيه بمغادرة مملكة وسكس. وتشير الوثائق الانجليزية إلى أن الدانيين غادروا المملكة فى صيف عام ٨٧٧م، وأتجهوا إلى مملكة مرسيا(١).

ولكن يبدو أن هذ الانسحاب كان جزءاً من الخديعة التى أعدها الدانيون لمباغتة أهل وسكس. إذ عادت حشودهم إلى مملكة السكسون الغربيين فى منتصف الشتاء. ويعتبر هذا التحرك العسكرى وقتذاك اول هجوم دانى يتم فى الشتاء. اذ اعتاد الدانيون ان يخلدوا إلى السكينة والراحه فى هذا الوقت. ولعلهم اختاروا هذا التوقيت امعانا فى مزيد من المباغته لاهل وسكس. وقد أثمرت هذه الخديعه فى نجاح الدانيين فى السيطرة على مساحات شاسعة من أراضى السكسون الغربيين. وفى مارس عام ٨٧٨م اتجه الملك ألفرد بجيشه لمحاربتهم . والتقى بهم فى الثالث والعشرين من مارس بالقرب من هامبشير Hampshire فى موضع يعرف باسم إدينجتون Edington حيث دارت الدائرة على الدانيين، وفروا من ميدان المعركة، وظلت قوات السكسون الغربيين تتعقبهم زهاء اسبوعين، حتي اضطر ملكهم جوثروم إلى عقد معاهده سلام مع الملك ألفرد (٢) والتى كانت معظم بنودها لصالح مملكة

(١) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, p. 179;
Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, p. 49;
Matthew of Westminster, of. cit. vol. I,p.428.

(٢) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, p. 180;
Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, p.50 ;
Matthew of Westminster, of. cit. vol. I,pp.430-433..

وسكس(١)، والتى كان من أهمها أن تعهد الملك الدانى جوثروم باعتناق المسيحيه، ولذلك فقد تم تعميده هو وثلاثين من كبار القادة الدانيين(٢).

وكان من نتائج هذه المعاهدة أن توقفت الاشتباكات العسكرية البرية بين الدانيين والسكسون الغربيين حتى عام ٨٨٤م. وفى خلال هذه الفترة لم تشر الوثائق الانجليزية إلى هجمات للدانيين باستثناء ماقاموا به بعد توقيع هذه المعاهدة بالتوجه إلى منطقة كيرنكستر Cinencesterحيث مكثوا هناك لمدة عام، ووفدت عليهم خلال هذه الفترة حشود كبيرة من الفيكنج(٣).

كما تشير الوثائق الى تحرك الحشود الدانيه فى عام ٨٨٠م من كيزنكستر إلى مملكة انجليا الشرقيه حيث استقروا بها(٤)/ وتشير أيضا إلى نجاح سفن السكسون الغربيين فى أسر سفينتين للدانيين عام ٨٨٢م، فأصدر ألفرد أوامره بقتل بحاره السفينتين(٥).

والتساؤل الذى يطرح نفسه هو : هل كان دخول السفن الدانيه، مياه مملكة وسكس خرقا لبنود معاهده السلام بين الفرد وجوثروم؟. ونحن لا نستطيع أن نجيب على هذ التساؤل، وكل ما نستطيع أن نتكهن به فى ضوء ما اشارت إليه الوثائق الانجليزيه هو أن هذا الأمر لم يؤد إلى خرق المعاهده

---

(١) عن هذه المعاهدة انظر بحثنا المعنون « دراسه لمعاهدات السلام بين الانجليز والدانيين فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى.

(٢) Rayner, R. M., Aconsise history of Britain, London, 1939, p.16.

(٣) The Anglo Saxon chronicle, op. cit., vol. I, p. 180; Roger de Hoveden, op. cit, vol. I, p.50.

(٤) The Anglo Saxon Chroniclem op. cit, vol. I, p. 181.

(٥) Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, p.51; The Anglo Saxon Chronicle, Ibid.

بينهما، ، وأن السفن الدانيه التى تجرأت ودخلت مياه مملكه وسكس لا تعدو أن تكون مجموعة من سفن الدانيين الذين وفدوا حديثاً إلى انجلترا، ولم تشارك فى المعاهده سالفه الذكر.

ولكن حدث خرق لشروط هذه المعاهده فى أواخر ٨٨٤م عندما هاجمت الحشود الدانيه مدينه روشستر Rochester فى مملكة كنت . وعندما علم الملك ألفرد بأنباء هذا الهجوم جمع جيشه وأسرع إلى مملكة كنت لمواجهة الدانيين(١). ويعتبر هذا الأمر تطوراً هاما فى الصراع بين الانجليز والدانيين فى هذه المرحلة. إذ أن الملك ألفرد لم يعد يعتبر نفسه مسئولاً عن الدفاع عن مملكة وسكس من الهجمات الدانيه فحسب، وإنما حمل على عاتقة مهمة الدفاع عن كافةالممالك فىالجزيرة البريطانيه أمام الخطر الدانى.

وقد اثمرت هذه المواجهه بين قوات ألفرد، والدانيين عن انتصار الأولى، وفرار الدانيين تاركيين متاعهم وخيولهم غنيمه لقوات ألفرد(٢).

وفى ضوء المهام الجديده التى تحملها الملك الفرد بالدفاع عن الممالك الأخرى، أرسل فى نهاية عام ٨٨٤م اسطوله ليتصدى للسفن الدانيه التى استقرت فى مصب نهر ستور Stour فى انجليا الشرقيه. وفى أوائل عام ٨٨٥م دارت معركة بحرية بين الجانبين انتهت بانتصار الدانيين(٣).

---

(١) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, p.181;
Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, p. 55;

(٢) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, p182.

(٣) he Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, p.182;
Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, p.55;
Matthaw of Westminster, op. cit., vol. I, p. 451.

واذا كان الدانيون قد أحرزوا نصراً بحرياً عام ٨٨٥م. فإن ألفرد قد نجح في إحراز نصر برى في العام نفسه عندما تمكن من دخول مدينة لندن وطرد الدانيين منها ، ثم شرع في إعادة بنائها، وإزالة آثار الحرائق التي اشتعلت بها نتيجة للهجمات الدانيه(١).

ويبدو ان هذه التطورت قد ازعجت الملك الداني جوثروم، الذي كان وقتذاك في مملكة انجليا الشرقية، فأسرع في عام ٨٦٦م إلى عقد معاهدة سلام أخرى مع الملك ألفرد كان من أهم شروطها اتفاق الجانبين على خطوط الحدود التي تفصل مناطق النفوذ الداني والاخرى التي تخضع لنفوذ الملك ألفرد.بحيث تمتد هذه الخطوط بطول نهرى التيميز ولى Lea من منابعه حتى مدينه بيدفوردBedford، وبطول الطريق الروماني القديم المعروف باسم ولتنج Walting(٢) وبهذا التقسيم أصبحت مملكة انجليا الشرقية ونورثمبريا في حوزه الدانيين، بينما أصبحت لندن وغالبية مملكة مرسيا بالاضافة الى مملكة وسكس في حوزه الملك الفرد(٣).

ومهما يكن من أمر، فلقد أدت هذه المعاهده إلى استقرار الأحوال بين الانجليز والدانيين في خلال هذه الفتره، وتمتعت انجلترا بالسلم منذ التوقيع على هذه المعاهده عام ٨٨٦ وحتى عام ٨٩٢م(٤)، وجه

(١) .The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol, I, p.183.

(٢) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, p 182;
The treaty between Alfred and Guthrum (886), cf. E.
H,D., pp. 380 - 381; Also:
Louis, L. S., Basic Documents in Medieval history,
New York, 1959, pp. 39-40.

(٣) Stenton, op. cit., p258.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق، ص ٢٣٤ – ٢٣٥.

الدانيون خلالها جهودهم شطر الممالك الفرنجيه(١).

وتشير الوثائق الانجليزيه إلى أن مملكة كنت قد تعرضت في عام ٨٩٢ لهجوم أسطوليين للدانيين: الاول يتألف من مائتين وخمسين سفينة دخلت نهر ليمينLympneواستقرت عند مصبه، حيث نزل من عليها من الدانيين ومعهم خيولهم التي جلبوها معهم، وقاموا بمهاجمة حصن صغير شيدة اهل المنطقه كي يحتمي المزارعون بداخلة، واقاموا لانفسهم معسكراً عند مصب النهر في المنطقة التي تحيطها الاشجار الضخمة(٢).

أما الاسطول الثاني فكان يتألف من ثمانين سفينة بقيادة أحد الزعماء الدانيين ويدعى هاستن Hastein، ودخلت نهر التيميز، واستقرت في المنطقة المعروفة باسم ابلدورAppledare(٣).

وبالرغم من وصول هذه الحشود الدانيه، والتي كانت تمثل عونا جيداً للدانيين الذين استقروا في انجلترا من قبل. الا ان الدانيين في نورثمبريا وانجليا الشرقية عندما توفي مليكهم جوثروم عام ٨٩٤م، اسرعوا بتجديد معاهدة السلام التي سبق ان عقدت بينهم وبين الملك الانجليزى ألفرد(٤).

أما عن الحشود الدانيه التي استقرت في مملكة كنت، وأصبحت تهدد

(١) The Anglo Saxon Cronicle, op. cit., Vol. I, pp. 183-184.

(٢) The Anglo Saxon Chronicle op. cit., vol. I,p. 184; Matthew of Westminster, op. cit., vol. I, p447.

(٣) The Anglo Saxon Chronicle, Ibid, Roger de Hovden, op cit., vol. I, p.58.

(٤) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, p .185; Roger de Hoveden, Ibid. Matthew of westminster, op. cit. vol. I, p.448.

مدينة لندن، وهامبشير، وبيركشير Berkshire، فقد حشد لهم ألفرد قواته وتوجه إليهم ، وقسم جيشه إلى قسمين ،تولى بنفسه قيادة أحدهما لمراقبة الحشود الضخمة للدنيين عند نهر ليمن، والتصدى لهم اذا حاولوا الخروج من معسكرهم. وجعل القسم الثانى من جيشه يواجه الحشود الدانيه عند ابلدور. واستمرت الاشتباكات بين الجانبين حتي عام ٨٩٦، كان النصر خلالها يتارجح بين الجانبين إلى أن نجح ألفرد فى أن يحسم الامر لصالحه، ويرغم الدانيين على الفرار والرحيل بسفنهم بعد مقتل زعيمهم هاستن. كما نجح الجيش الأنجلو سكسونى بقياده ألفرد فى أن يتصدى خلال هذه الفترة للهجمات التى شنها الدانيّون الذين كانوا قد استقروا فى نورثمبريا وانجليا الشرقية، وجددوا المعاهدة مع الملك ألفرد، ولكنهم مالبثوا أن خرقوا شروط المعاهدة، وهاجموا سواحل دوفر، وقدموا العون لاخوانهم فى مملكة كنت أثناء صراعهم مع الملك ألفرد(١).

وفى عام ٨٩٩ انتهت حياة الملك ألفرد(٢) بعدما ابلى بلاءاً حسناً فى الدفاع عن غالبية الاراضى الانجليزية، وبعدما نجح لأول مره فى جمع الممالك الجزيرة البريطانية على هدف واحد الا وهو مقاومة الدانيين(٣)، والحيلولة دون سقوط مزيد من الأراضى فى قبضتهم.

وجدير بالذكر أن الهجمات الدانية لم تتوقف عند هذا التاريخ بل استمرت خلال القرن العاشر الميلادى بعدما أصبحت هجماتهم تمثل غزو أمه مترابطة انتهت باعتلاء كانوت Canute الدانى ابن ملك الدانمرك والنرويج عرش انجلترا بأسرها عام ١٠١٦م(٤).

---

(١) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, pp.185-189,
Roger de Hoveden, op. cit., vol. I, pp. 58-59;
Matthew of Westminster, op. cit., vol. I, pp. 449-452.

(٢) The Anglo Saxon Chronicle, op. cit., vol. I, p189;
Symeon of Durham, Historia Regum, cf . E. H.D., op. cit., p251.

(٣) محمد محمد مرسى الشيخ :المرجع السابق، ص ٣٠٢.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق ، ص ٢٣٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الاصلية :

-Annals of St. Bertins, cf. English historical Documents (E.H.D.), Lonon, 1968, pp. 314-318.

-Anglo Saxon Chronicle, cf. E.H.D., pp.135-235.

-Asscr, The lige of king Alfre, ed. by W.H. stevenson, Oxford, 1904.

-Letter of pope John VIII to Ethelar archlichop of Canterbury, cf. E..D. p.811.

-Mattew of Westminster, The Flowers of history, 2 vols, Lonon, 1853.

-Memorials of St. Edmund's Abley, ed. by M.T. Arnold, 2 vols, Lonon, 1882.

-Roger deHoveden,The Annals, 2 vols., London, 1853.

-Roger of Wendover, Flores Historiarum, cf., E.H.D., pp. 255 - 258.

Symeon of Durham, Historia Regum, cf. E. H.., pp. 239-254.

-Symeons Monashi opera, ed. by M. T. Arnald, 3 vols, London, 1882.

-The Treaty between alfred and Guthrm (886), cf. E.H.. pp.380 - 381.

-Whitelock, D., Saga book of the vinking society, Lonon, 1954.

ثانيا : المراجع الأجنبية :

Haskins, H., The Normans in European history, New York, 1959.

Koenigsberger, H. G., Medieval Europe (400 - 1500), New York, 1987.

Louis, L.S., Basic Documents in Medieval history, New York, 1959.

Morris, B., The Middle Ages, New York, 1983.

Oman, C., The Dark Ages (476 - 918), Lonon, 1962.

Rayner, R.M., Aconsise history of Britain, London, 1939.

Stenton, F. M., Anglo- Saxon England, Oxford, 1947.

Trevelyan, G.M., History of England, Lonon, 1924.

Whitelock, D., The Beginning of the England Society, London, 1954.

ثالثا : المراجع العربية :

السيد الباز لعرينى (دكتور) :

«تاريخ اوربا فى العصور الوسطي» ، بيروت ١٩٦٨م .

جوزيف نسيم يوسف (دكتور) :

«تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور الوسطي» الاسكندرية ، ١٩٨٧م

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

«اوربا العصور الوسطى» (التاريخ السياسى) . القاهرة ١٩٦٦م.

محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور) :

«تارخ أوربا فى العصورالوسطى» ، الاسكندرية ١٩٩٠ .

الفهــــــرس